

ألكسندر دوماس

الفرسان الثلاثة



الترجمة الكاملة

دار الإفاق الجديدة



Bibliotheca Alexandrina

السير د. ر. و. ماسي

الفردوس في التلافة

نقلها إلى العربية
حبيب نحوي

الترجمة الكاملة

منشورات دار الإفاق الجديدة بيروت



- ولد الكسندر دوماس في بلدة
Villers-Cotterets فياركوتريه
في عام ١٨٠٣ ومات في عام
١٨٧٠ .
- انتسج عدداً كبيراً من قصص
المغامرات والفروسية التي تميزت
بها القرون الوسطى في فرنسا
وأوروبا .
- اشتهر بين مؤلفي القصص بسرعة
انتاجه وضخامته ، حتى أن
مؤلفاته بلغت المئة خلال خمسة
عشر عاماً .

لمحة عن المؤلف

- عندما مثل امام الامبراطور نابليون الثالث راح يتباهى بان انتاجه من القصص قد زاد عن الف ومئتي قصة .
- من اروع قصصه روايات « الفرسان الثلاثة » « وبعد مرور عشرين سنة » « والفيكونت ده براجيلون » « والكونت ده مونت كريستو » .
- نالت قصة الفرسان الثلاثة وتتمتها « بعد مرور عشرين سنة » اعجاب الادباء والقصصين والقراء على اختلاف احوالهم ونزعاتهم ...
- كتب الاديب الانكليزي ديكسون عنها يقول : « إن دوماس عندما كتب هذه القصة ، قد نقلها عن الحياة الواقعية التي عاشها الفارس دارتنيان في القرن السابع عشر ولقد عرف كيف يسبق عليها من تخيلته الخصب سلسلة من المغامرات وحوادث الفروسية ، التي خلقت من بطل القصة شخصية فذة خالدة في التاريخ .
- وذات يوم وجده ابنه يذرف الدموع السخينة وهو يكتب الفصل الاخير من قصة « الفيكونت ده براجيلون » وعندما سأله عن سبب بكائه اجابه بصوت متهدج : « ان الاسى يحسز قلبي ، لانني أكتب نهاية القصة ؛ وبنهايتها تنتهي حياة البطل بورتوس .. ولهذا تراني لا استطيع ان امسك دمعى ... »

١

في العام الذي تبدأ فيه وقائع قصتنا هذه ... ربيع عام ١٦٢٥ ، كان الذعر والفوضى يعمان معظم المقاطعات الفرنسية ، نتيجة الصراع الدامي المستمر بين حكام فرنسا ونبلائها ... حتى ان الملك نفسه كان في صراع خفي مع الكردينال لاستعادة سلطته المتقلصة ، وبالإضافة الى ذلك الصراع الرهيب بين سادة فرنسا ، راح السوقة وقطاع الطرق والشحاذون والهوكنتوت يعتدوون على المواطنين الآمنين ، فيساهمون بقسط وافر في زيادة الفوضى والاضطرابات في طول البلاد وعرضها !

وفي غمرة هذه الفوضى والاحداث الجسام المتتابة ، ظهر في احدى قرى غاسقونية ، شاب في مقتبل العمر ، طويل القامة ، عريض المنكبين ، مفتول الساعدين ، أثمر البشرة ، قوي البنية ، تظهر على محياه الصبوح دلائل العزم والذكاء ، حذق صناعة السيف وركوب الجياد منذ نعومة اظفاره ، على يد امهر الفرسان واشدهم بأساً ودهاءاً ، بمن رفعوا اسم مقاطعة غاسقونية عائياً ، وسجلوا لها صفحة مجيدة في سجلات البطولة والفرسية . ولم يكن

هذا الشاب سوى دارتنيان الابن الوحيد للفارس المغوار دارتنيان الكبير !

وفي ذات يوم من ايام الربيع الجميلة من العمام نفسه ، حزم هذا الشاب أمره على مغادرة منزل والديه في غاسقونية ، قاصداً باريس مدينة المجد والمغامرات ومطمح آمال الشباب المغاوير . . . آملاً بالحصول على شرف الانخراط في فرقة الفرسان الشهيرة الخاصة بالملك لويس الثالث عشر . ومع ان الشاب كان وحيد والديه ، وحبهما له يقرب من العبادة ، الا ان الأب لم يعارض رغبة ابنه ، بل شجعه على تحقيقها . وربت الاب الحنون على كتف وحيدته وخاطبه بلهجة حازمة قائلاً :

- ارجو يا بني ان يحالفك الحظ والتوفيق هناك ، لتتمكن من الاحتفاظ بشرف اسرتك الرفيع واجدادها المتوارثة ، كما فعل ابوك في الماضي . . . وهذه المناسبة اقدم لك بجوادي الاصيل فهو مازال قوياً ونشطاً رغم بلوغه الثالثة عشرة ، فاوصيك بان لا تبيعه ، واذا عجز وهرم ، فدعه وشأنه ليحوت بسلام وكرامة تتفقان مع شيخوخته وخدماته المجيدة . واذا خضت غمار المعارك على ظهره فاعتن به بعد كل معركة كما تعنى بخادم مخلص امين لك ، فهو بنظري افضل بكثير من بعض البشر !

وتابع السيد دارتنيان الاب عظته لابنه قائلاً :

... واذا حالفك الحظ ، وتمكنت من الدخول الى البلاط الملكي والانخراط في سلك فرقة الفرسان ، فتذكر ان عليك واجباً مقدساً ، الا وهو الاحتفاظ بشرف اسرتك لكونك تحمل لقب

« فارس » ناله ابوك ، ومن قبله اجداده ، عن جدارة واستحقاق
منذ خمسة عام تقريباً . واحرص على ان تكرس حسامك
وساعدك للدفاع عن الكردينال والملك فقط ...

ثم تحامل الاب على نفسه ونهض من كرسيه ليقلد ابنه سيفه
الطويل ، وقال له وهو يحدق فيه بشكل جمع بين الخنو والخيلاء :
واذكر يا بني ان الفتي النبيل مثلك ، يتمكن ببسالته ،
وبسالته ، فقط من ان يشق طريقه نحو الشهرة والمستقبل الزاهر .
فانت الآن في مقتبل العمر ، ومن واجبك ان تكون شجاعاً
لسبيين . اولاً : لانك تنتمي الى مقاطعة غاسقونية ، التي اشتهرت
بانجاب الفرسان الاشاوس . وثانياً : لانك ابني ! ولهذا فلا تخش
المخاطر ، واندفع وراء المغامرات غير هياب ، واهجم على الردي
يهرب منك . لقد احسنت تدريبك على حمل السيف واصول
المبارزة وفنونها ، فاحسن انت بدورك استخدام سيفك وفنك
واحتفظ برباطة جأسك في اشد اللحظات حرجية ، تخرج من جميع
المبارزات التي تخوضها ظافراً . فانت تملك والحمد لله ساعدين من
حديد ، وقبضة من فولاذ ، وقلباً قد من صخر ، وعزيمة متقدة
اتقاد شمس غاسقونية في شهر تموز ، فقاتل ولا تخف ، وبارز
ما استطعت الى المبارزة سبيلاً ... ولست اجهل ان المبارزة
اصبحت محظورة في هذه الايام ، غير ان هذا الحظر له بنظري
قيمة مضاعفة ، اذ هو دليل واضح على شجاعة مزدوجة ، لاث
المبارز يتحدى خصمين معاً هما : مبارزته والقانون !
واخيراً ليس في جيبي يا بني سوى خمسة عشر جنيناً ، اقدمها

لك لتستعين بها على شق طريقك في خضم الحياة بباريس..بالإضافة الى جوادى الاصيل ، وسيفي الصقيل ، ونصائح النجاة التي قدمتها لك ، ولا تنس يا بني ان تطرق باب صديق قديم لي ، هو السيد دي تريفيل ، الذي تمكن ببضع سنين ان يصبح قائداً لفرقة الحرس الملكي ، لتسلمه هذه الرسالة ... فاعله يأخذ بيدك ويساعدك على شق طريقك نحو المجد ، ويحقق بفرقتك ، فهو مقرب من الملك ، كما ان الكوردينال يخشى جانبه .

ثم عانق الاب دارتنيان فتساءل بحنو وضمه الى صدره وباركه وطبع على وجنتيه قبلة ابوية حارة قائلاً : سر يا بني الى هدفك بحراسة الله ورعايته !

وخرج الفارس الشاب من حجرة ابيه ، لتتلقاه امه بالعناق وتضمه الى صدرها الحنون ، وهي تردد على مسجعه بين الدموع السخينة نصائحها الغالية ، وقبل ان تدعه يبدأ سفرته الى باريس ، سلمته قارورة صغيرة بداخلها بلسم اخذت تركيبه عن احدي العجريات ، وارشدته الى كيفية استعمال هذا المركب العجيب الذي يشفي الجراح بسرعة مذهلة . وكان التأثير قد بلغ من الشاب حده الاقصى ، فلم يقو على مغالبة عواطفه المتأججة ، وعندما اكب على والدته يطبع على يدها قبلة ، كانت الدموع الغزيرة تنحدر على يد امه فتقبلها .

ثم تخلص دارتنيان من احضان امه واسرع يمتطي صهوة جواده والده الاصيل ، ليمبدأ سفرته الطويلة الى باريس ، وكان يلتفت بين لحظة واخرى ليشير بقبعته الى والديه الحزينين اللذين وقفا على باب المنزل يلقيان نظرة الوداع على وحيدهما .

كان دارتنيان في مستهل الثامنة عشرة من عمره عندما غادر منزل والديه ، الا ان الناظر اليه ، كان يعجب بقوامه ، فقد كان يبدو وهو على صهوة جواده كأنه أحد فرسان القرون الوسطى الاشداء ، فقد تدلى سيفه الصقيل الى جانبه ، وغطى رأسه بقبعة جميلة تزينها ريشة طائر على طريقة النبلاء في ذلك العصر . اما جواده فكان من الغرابة والشذوذ بحيث يستلفت نظر اقل الناس فضولاً ، اذ كان متنافر التقاطيع ، طويل العنق ، ومع ذلك لم يكن ليعوقه عن ان يقطع بفارسه ثمانية فراسخ في اليوم . وكان الفارس الشاب وجواده مدعاة اهتمام وفضول المارة في كل مكان مر به ، اذ كانت ترتسم على شفاه المارة لدى رؤية الفرس الاشعث ، ابتسامة سخوية ، سرعان ما تتلاشى عند سماعهم قعقة الحسام الصقيل المتدلي على جنب الفارس ، وتحت قوة النظرات النارية التي كان يرسلها الشاب .

ولم يكن دارتنيان يجهل انه مهما بالغ في عنايته بظهوره وتأنق في ملبسه ، فان مشهده على صهوة هذا الجواد الغريب الشكل ، على ما بينهما من تناقض ظاهر ، من شأنه ان يبعث على الضحك والسخرية ، ومع ذلك فلم يكن هذا ليجنعه من ان يظهر بظهور العظمة وعدم المبالاة ، متغاضياً عن كل ما يراه ماساً بكرامته او مثاراً لغضبه ، اذ كان جلّ اهتمامه منحصراً في الوصول الى باريس بأسرع ما يمكن .

كانت الشمس تميل الى المغيب ، عندما وصل فارسنا الشاب الى بلدة صغيرة تدعى « مينغ » فلوى عنان جواده الى اول نزل

صادفه في البلدة وكان اسمه : « فران مونييه » ، وبينما كان يتوجّل عن صهوة جواده ، حانت منه التفاتة فابصر من خلال نافذة مفتوحة في الطابق الارضي من النزل ، رجلاً تدل سياؤه على النبيل ، مديد القامة ، عسن الهندام ، يرتدي سروالا قصيراً وجوارب طويلة تصل حتى الركبتين ، وهو الذي السائد في ذلك الحين ، راح يرمقه بنظرات فضولية وهو يتحدث الى رجلين يصغيان اليه باهتمام كلي ، بما يدل على انها من اتباعه .

وبينما كان دارتنيان يقترب من باب النزل الخارجي ، طرقت اذناه قهقهة صادرة عن الرجال الثلاثة ، فانتفض غضباً ، لانه ادرك بالبداهة انه هو المقصود ، او جواده لغرابة شكله .

وتذكر فارسنا اولى وصايا ابيه ، الا وهي الاحتكام الى السيف في مثل هذه الحالات وعدم السكوت على اية اهانة اوسخرية توجه اليه .

وحدج دارتنيان غريمه بنظرات حادة ، فألفاه في العقدة الرابع من عمره ، اسود العينين ، حاد النظرات ، يتمنطق بسيف طويل تدلى الى جنبه . . . فاحسّ بشعور غريزي ، ان هذا الرجل الذي رماه القدر في طريقه ، سيكون له اكبر الاثر في تقرير مصيره ومستقبله . . .

والظاهر ان الرجل النبيل قد احسّ بنظرات الشاب تصوّب اليه ، فظهر الاستياء عليه ، وسرعان ما التفت الى الاثنين الراقفين بجواره ، وتلفظ بعبارة ضج لها الاثنان بقهقهة عالية ، بما زاد في حق دارتنيان ، وتأكد من انه هو المقصود بها . . فخطا نحو

النافذة ويده على مقبض حسامه الطويل المتدلي الى جنبه وخاطب
الرجل النبيل بلهجة التحدي قائلاً :

- هل لك ايها السيد ان تخبرني عما يملكك على الضحك
ورفيعيك ، فلهي اشار ككم هذه الغبطة !؟

فالتفت الرجل النبيل اليه وقد ارتسمت على شفثيه ابتسامة
صفراء وأجابه بشيء من القحة وعدم الاكتراث قائلاً :

.. انا لا أوجه الحديث اليك ايها السيد ..

فأجابه دارتنيان بغيظ مكبوت :

- ولكن انا اوجه الكلام اليك فأجبي ..

فصعده الرجل الغريب بنظرات فاحصة يشوبها الاستخفاف
والسخريه ، وبعد لحظات انسحب من امام النافذة ، واستدار
ليواجه دارتنيان وجهاً لوجه امام الباب الخارجي وبادره بقوله :
من عادي ان لا اضحك ايها السيد الا فيما ندر ، غير اني
احرص على الاحتفاظ بحقي في الضحك عندما يطيب لي ذلك ..
فصاح دارتنيان بصوت حائق وقد انتفخت اوداجه من شدة
الغضب :

.. اذا جاز لك ان تسخر من جوادي فلن يكتك ان تسخر

من صاحبه ايها السيد ..

ثم ما لبث ان جرد سيفه من غمده لمواجهة خصمه الذي راح
يعن النظر باهتمام زائد في جواد دارتنيان ، غير عابئ بتصرفات
الفارس وغضبه المتزايد ، ثم التفت الى تابعيه اللذين ما زالوا يقفان
امام نافذة المنزل وقال موجهاً كلامه اليهما :

— اجزم ان هذا الجواد كان من اكرم الجياد في الماضي البعيد .
والى هنا كان غضب دارتنيان الشاب قد بلغ اقصاه ، فخطا
خطوتين نحو غريمه وسيفه مشهر بيده مهدداً ، يدعو الى تحكيم
السيف بينهما . .

ولم يكن الرجل الغريب ينتظر هذه المفاجأة والاصرار
الغنيذ من قبل شاب مغرور ، فبان عليه التردد لحظات معدودات
عندما رأى الامر ينقلب من المزاح الى الجد . . . ولكنه سرعان
ما استعد وباطة جأشه ، فاستل سيفه من غمده وحيا خصمه التحية
المألوفة في المبارزة ، واستعد للنضال غير هياب وهو يتم بصوت
خافت قائلاً :

— اراني قد وقعت على هدية حسنة ترضي ولا شك نيافته ،
وهو الذي يبحث في كل مكان عن الشبان البواسل ليضمهم الى
فرقة الفرسان التابعة لنيافته .

ولم يكذب يقرغ من حديثه الى تابعيه حتى كان دارتنيان يسدد
الى صدره طعنة صائبة من تلك الطعنات التي دربه والده عليها
منذ نشأته ، ولو لم يقفز خصمه الى الوراء بسرعة خاطفة لمتفادى
السيف المسدد الى صدره ، لكان النصل اخترق فؤاده وقضى عليه
بلحظات معدودة !

وفجأة انقض الرجلان بمساعدة صاحب النزل على دارتنيان
ليحولوا دون متابعة هذه المبارزة ، وانهمالوا على الفارس الشاب
بعضيهم وبخارفهم . . وكان هذا الهجوم مفاجأة للشاب جعلته
ينصرف عن خصمه لتحاشي الضربات المنهالة عليه من الخلف بشدة

وعنف .

وتنفس الرجل النبيل الصعداء ارتياحاً ، واعد سيفه الى غمده وراح يتتبع باهتمام زائد شجاعة الشاب وقوة احتماله ومتانة اعصابه . واخيراً كان لا بد للكثرة ان تتغلب على الشجاعة ، فاستنفذت هذه المعركة غير المتكافئة قوى دارتنيات فوقع السيف من يده اثر ضربة عنيفة أصابت رأسه من الراء ، طرحته ارضاً مضرجاً بدمائه فاقد الرشـد .

وفي هذه اللحظة بالذات ، كان الجيران الفضوليون قد تراكضوا من كل جهة الى مكان الحادث ، ليشبعوا فضولهم ويشاهدوا عما تسفر عنه هذه المعركة الفريدة وخاف صاحب النزل الاعمى ، الفضيحة ، فارعز الى اربعة من خدمه ان ينقلوا الشاب الجريح الى مطبخ الفندق لتضميد جراحه والاعتناء به . بينما عاد الرجل النبيل مع تابعيه الى داخل النزل وهو يرمق الجمع الذي احتشد امام بابه بنظرات حائرة وصبر نافذ ، وسرعان ما استدعى صاحب النزل وسأله :

— كيف حال ذلك الشاب الأرعن ؟

فأجابه صاحب النزل بقوله :

— انه احسن حالاً ، فهو لم يصب الا باغماء بسيط اثر الضربة التي اصابت رأسه من الخلف ...
وابدى الرجل النبيل اهتماماً ظاهراً بأمر الشاب الجريح والتفت الى صاحب النزل يسأله باهتمام :
أو لم يذكر عندما استعاد صوابه شخصاً معيناً يستدل منه

على مكانته وهويته ؟

اجاب صاحب النزل :

— اجل يا سيدي ... لقد هددنا بالويل والثبور عندما يصل الى باريس ، وراح يردد في سورة غضبه قائلاً : « سنرى غداً ما سيكون موقف السيد تريفيل من هذه الاهانة التي لحقت باحد اتباعه المقربين » والطريف اننا عثرنا في جيبه علي رسالة موجهة الى السيد دي تريفيل قائد فرسان الملك ، كما وجدنا خمسة عشر جنياً كان يحتفظ بها في جيبه الداخلي وهي كل ما يملك من مال . ولم يلاحظ صاحب النزل ، لغباوته ، يرق عيني الرجل الغريب النبيل ، عندما اتى على ذكر دي تريفيل قائد فرسان الملك ، الذي راح يردد اسم دي تريفيل ، وهو يتنهم بصوت غدير مسجوع ببعض العبارات ... واطرق مفكراً بضع دقائق ، ثم التفت الى صاحب النزل وخاطبه بقوله :

... ان هذا الشاب يسبب لي بعض الازعاج ... ولكن ضميري لا يطاوعني على قتله ... أين هو الان ؟
— لقد تركته في حجرة امرأتى اتعنى به وتضمد جراحه .

— وهل ثيابه وامتعته معه ؟

... كلا .. لقد تركها جميعها في الطابق الارضي ، حيث نقله خدمي ، عندما كان مغشياً عليه .. وهي مازال هناك . ولكن اود ان اعرف يا سيدي اذا كان هذا الاحق يسبب لك ازعاجاً فانا مستعد ...

فقاطعه الرجل النبيل قائلاً :

- انه يزعجني حقاً .. كما انه قد يسبب متاعب لنزلاء فندقك انا
انا فقد قورت الرحيل حالا ..

- هل يعني سيدي انه ميروحل عن فندقتي بسبب ذلك الشاب اللعين ؟
فجدجده النبيل بنظرات نارية قاسيه جعلت صاحب النزل
ينسحب من امامه وهو ينحني له بخضوع .

ولما اصبح الرجل الغريب وحده راح يحدث نفسه قائلاً :
من الافضل ان لا تشهد « ميلادي » هذه المهزلة ، وهي
ان تلبث ان تحضر الى هنا ، حسب الاتفاق ، ومن الانسب ان امتطي
صهوة جوادي وأهب الى ملاقاتها خارج الفندق .
ثم اطرق مفكراً بضع لحظات واستطرد يحدث نفسه : « بودي
لو استطعت معرفة ما تحويه الرسالة التي يحملها الشاب الى السيد
دي تريفيل ! »
وانجبه بمركة لا شعورية الى الطابق الارضي حيث ترك الشاب
امتعتة .

وفي هذه الاثناء كان صاحب النزل قد أبلغ دارتنيان بان
رجال الشرطة سيلقون القبض عليه لانه تحرش بأحد النبلاء ،
واقنعه بالفرار حالا رغم ضعفه فاسرع دارتنيان يهبط الدرج بشاغل
وقد لفّ رأسه بالاربطة ، وما ان وصل الى باب النزل الخارجي
حتى وقع نظره على غريمه النبيل واقفاً امام عربة فخمة ، يتحدث
باهتمام كلي الى فتاة رائعة الجمال شقراء في العشرين من عمرها ،
كانت تطل عليه من نافذة العربة . ولما اصبح دارتنيان قريباً منهما
دون ان يشعرا به ترمى الى سمعه صوت الفتاة الشقراء تخاطب الرجل

الغريب قائلة :

— اذن فصاحب النيافة الكرد ينال يأمرني بالعودة فوراً الى انكسرتا ، لأننا أكد اذا كان الدوق قد غادر لندن ام انه لا يزال فيها ؟ ولكن هل هناك تعليمات اخرى ؟

واجابها الرجل الغريب بصوت حازم :

— اجل ، انها موضوعه في هذه العلبة ، وعليك ان لا تفتحيها الا بعد ان تعبري ببحر المانش .

— حسناً ، وانت ما ذا تنوي ان تفعل ؟

— سأعود حالاً الى باريس .

وفجأة حانت من الفتاة الشقراء التفاتة فوقع نظرها على دارتنيان الذي كان يفتوب بتؤدة من العربة فباتت الدهشة والاستغراب على حياها الجميل والتفتت الى النبيل تخاطبه بقولها :
— ولكن الا تنوي ان تعاقب هذا الشاب الوقح قبل رحيلك ؟

وقبل ان يفتح النبيل فمه ليجيب على عبارة الفتاة ، كانت دارتنيان قد اندفع نحوه ليمسك بتلابيبه قائلاً بصوت جهوري :
... والآن لن نفلت من يدي هذه المرة ، وتستعين بخدمك كالجناء كما فعلت في المرة الاولى !

فاجابه النبيل الغريب وهو يتميز غيظاً :

.. خست .. فمثلي لن يخشى مبارزة غلام تافه مثلك .

— انني على يقين تام ، بانك لن تجرؤ على الفرار امام سيدة حسناء !
وهنا صاحت « ميلادي » بالرجل النبيل ، عندما رآته يضع يده على قبضة سيفه قائلة :

.. تذكر انه لأقل تأخير يحدث الآن ، نفقد كل شيء !

اجابها النبيل :

انت على حق فيما ذهبت اليه .. هيا اسرعي بالرحيل الى حيث
تقصدين ، وها سير بطريقتي عائداً الى باريس .
ثم حياها بانجلاء من رأسه ، وقفز الى ظهر جواده وانطلق
يمدو به غير عابى . بالشتائم التي شيعه بها الشاب دارتنيان ، ولما
حاول اللحاق به ، تذكر ان حسامه قد تحطم اثناء المباراة الاولى
فاستند الى جوار النزل وهو يحرق عني الارم .

وراح ينظر الى العربية الفضة تبتعد بسرعة عن انظاره . بينما
اسرع تابعا الرجل النبيل الى جواديهما ليلحقا بسيدهما .. وحاول
دارتنيان المرة الثانية ان يهجم على التابعين ليثار لنفسه ، ولكنه
ما ان سار بنسج خطوات حتى خارت قواه وسقط على الارض
والدم ينزف من جرحه ، وهو يكيل الشتائم لعريمه :
.. يا له من جبان !..

وهنا اقترب منه صاحب النزل محاولا استرضاء خشية ان
يصب جام غضبه عليه ... فقال له :

.. حقاً انه جبان وحقيير يا سيدي ... تصور انه لم يسدد
حسامه لي قبل ان يفر هارباً من وجهك . فتبسم دارتنيان قائلاً :
انه جبان حقاً ... ولكن المرأة التي تحدث اليها كانت آية
في الجمال والانوثة ! آه ! لقد تذكرت لقد دعاها « ميلادي »
انه اسم غريب وجذاب !

وعاد دارتنيان بمساعدة صاحب النزل ، الى الفندق ليقتضي

ليلته هناك ، وفي الصباح الباكر نهض من فراشه وقد استعاد قواه ، فتناول من جيب معطفه قارورة البلسم العجيب الذي اعطته اياها امه ، وصب بغض النقطة منها على جراحه ، ثم تناول وجبة دسمة ، مع زجاجة من النبيذ المعتق .

ولما نزل الى الطابق الارضي ليمتدح امتعته هناك ، وجد كيس نقوده مالم ، اما رسالة السيد دي تريفيل فقد اختفت ، فراح يبحث عنها بين امتعته ، ويقلب جيوبه بدون جدوى ! فراح يملأ النزل صرخاً كمن اصاب بالجنون ، مهدداً متوعداً صاحب النزل وخدمته الذين وقفوا يراقبونه عن كسب ، ثم التفت اليهم يقول .

- اريد ان تأتوني بالرسالة حالاً ، والا جعلت سميني يفتروا صدوركم الهزيلة ايها الجبناء ... اريد رسالة السيد دي تريفيل ، لان مستقبلي معاق عليها . أين هي ؟
ويبدو ان صاحب النزل ارتأى ان يتجنب فضيحة جديدة في فندقه ، وتذكر حديثه مع الرجل الغريب واهتمامه بشخصية الشاب ، فالتفت اليه يقول :

- ان الرسالة لم تفقد ضمن فندقي ، ايها السيد ، واغلب ظني ان الرجل الغريب الذي بارزته ، هو الذي استولى عليها لاسباب اجهلها ... فقد شاهده بأم عيني يبحث بامتعتك وكأنه يبحث عن شيء معين ... وكنت قد ذكرت له انك تحمل رسالة خاصة بالسيد دي تريفيل قائد فرسان الملك .
فسأله دارنيان بنقاد صبر :

— اذن انت تعتقد ان ذلك السافل هو الذي سرق رسالتي ؟
 — بل اجزم بذلك ، خاصة بعد ان ابلغته انك من اخضاء
 السيد دي تريفيل ، ولما علم انك تحمل رسالة اليه ، سألني عن
 مكانها .

— اذن فهو سارق الرسالة ، وسأشكوه الى السيد دي تريفيل
 الذي يتولى بدوره ايبال شكواي الى الملك . .
 ثم تناول من كيس نقوده جنيهين اعطاها لصاحب النزل ،
 وغادر الفندق ، ليستطي صهوة جواده ويستأنف رحلته الى
 باريس .

ودخل دارثنيان باريس من بوابة سان انطوان ، وهناك
 باع جواده الامين بمبلغ ثلاثة جنيهات ، وتابع سيره مشياً على
 اقدامه ، في شوارع العاصمة الفرنسية وازقتها الى ان وفق الى
 استئجار حجرة بسيطة بأجر زهيد يتناسب مع نقوده القليلة ، وهي
 عبارة عن مخدع ضيق خالي الرياش ، يقوم في الطابق الاعلى من
 احد المنازل الواقعة في شارع « فوسوايير » المجاور لحديقة
 لوكسمبورغ ، وما ان استقر به المقام في حجراته ، حتى رتب
 ثيابه وامتنعه ، ثم قصد الى سوق الاسلحة والحدادة ، حيث
 اصلىح سيفه المحطم ، وتوجه بعد ذلك الى قصر اللوفر واستدل
 من اول فارس صادفه في باحة القصر عن منزل السيد دي تريفيل ،
 وعلم ان منزله قريب من الحجرة التي يقيم بها ، فسر كثيراً لهذه

المصادفة واعتبرها فالاً حناً .
وآوى الى فراشه مبكراً ، وما لبث ان استغرق في نوم
عميق ، وهو يحلم بمقابلته غداً للسيد دي تريفيل قائد فرسان الملك
والرجل العظيم الثالث في فرنسا بعد الملك والكردينال ، حسب
زعم والد دارتنيان .

٢

من هو دي تريفيل ؟



السيد دي تردافيل ، كما كانت تدعوه أسرته في غامقونيه ،
 او دي تريفيل كما دعا نفسه فيما بعد ، عندما لمع نجمه ببـاريس ،
 كان شاباً منجوراً لمرأته دارتنيان ، لا يملك من حطام الدنيا ،
 عندما قدم لأول مرة الى باريس ، سوى شجاعة نادرة وعزيمة
 قوية ، رشيته لأن يحتل مركزاً مرموقاً في بلاط الملك لويس
 الثالث عشر خلال سنين معدودة ، بعد ان حارب الى جانب
 الملك الشاب وتغافى في الدفاع عن عرشه وسطوته ، وظل يرتقي
 في وظائف الحرس الماسكي حتى اصبح قائداً له وصاحب الكلمة
 المسيووعة لدى الملك لويس الثالث عشر ، الذي كان يعلق عليه
 وعلى فرقة الفرسان اهمية كبرى لتنفيذ خططه واوامره ،
 واحباط المؤامرات التي تدبر في الخفاء ضده ، من اقرب المقربين
 اليه ، وفي مقدمتهم الكاردينال ريشليو .

وكان من الطبيعي ان لا ينظر الكوردينال بارتياح الى تصرفات دي تريفيل وتفانيه في خدمة الملك ، فراح هو بدوره يعمل على حشد الانصار من الفرسان ليؤلف منهم حرساً خاصاً ، يناوئ به فرقة الحرس الملكي وقائدها ، محاولاً الاحتفاظ بسيطرته ونفوذه على الدولة .

ونتيجة طبيعية لهذا التنافر الحثي بين الملك والكوردينال كانت تقع من وقت لآخر ، وفي طول البلاد الفرنسية وعرضها مناوشات واصطدامات دامية بين فرسان الملك وفرسان الكوردينال ريشليو تسفر في اغلب الاحيان عن فوز فرسان الملك ...

وكان فرسان الملك فخورين بقوتهم وتفوقهم على خصومهم ، يذرعون طرقات باريس باعتزاز وخيلاء ، لا يجروا احد من المارة على التعرض لهم .

وكان القصر الذي يسكنه قائد فرسان الملك السيد دي تريفيل يقع في شارع « فيوكولومبيه » يربط في باحته الواسعة خمسون فارساً شايكي السلاح ، يقومون على حراسة القصر طيلة النهار . . وفي ذلك الصباح الذي وصل فيه الشاب دارتنيان الى قصر دي تريفيل ، كانت باحة القصر وغرفة الانتظار تعج بعدد كبير من النبلاء والفرسان واصحاب الحاجات والرسول الذين قدموا خصيصاً من كافة مقاطعات فرنسا لمقابلة السيد المطاع دي تريفيل . وكان فريق منهم قد تجمع حلقات متفرقة في الباحة وعلى جوانب الدرج العريض المؤدي الى مكتب القائد الكبير ، كما راح

بعضهم يتسلى بالمبارزة وألعاب السيف بانتظار دوره في مقابلة قائد فرسان الماك .

وتقدم دارتنيان وسط هذا الخليط العجيب من البشر ، وهو بادي التردد ، الى حاجب يقف امام باب ردهة الانتظار ورجاه بلطف زائد ان يأذن له بمقابلة السيد دي تريفيل ، ولم ينس ان يذكر امام الحاجب انه مواطن للقائد العظيم ، ثم انتهى زاوية في الردهة الواسعة والغاصة بالفرسان والرسل ، بانتظار جدول موعد المقاتلة .

وما ان استقر بدارتنيان المقام ، حتى حانت منه التفاتة الى يساره ، فشهد حلقة مؤلفة من ثلاثة فرسان ، تدل ملاحظهم على البأس والصلابة ، واسترعى انتباهه احدهم ، اذ كان طويل القامة حاد النظرات ، يرتدي معطفاً ثميناً من الخمل النفيس ، ويتسدى الى يمينه سيف طويل ، احاطت به جملة جميلة مطرزة بخيوط من الذهب ، وقد علم من مجرى الحديث الذي يدور بينه وبين رفيقه انه يدعى الفارس (بورتوس) اما رفيقه ، فاحدهما شاب بمشوق القد في الثالثة والعشرين من عمره ويدعى « اراميس » والفارس الثالث وكنت في العقد الثالث من عمره ويدعى « آتوس » .

وقد سمع دارتنيان المحاورة التي جرت بين الفرسان الثلاثة ، وكانوا قد انتهوا من نوبتهم في الحراسة .

فالتفت الفارس آتوس الى رفيقه بورتوس مداعباً وخاطبته

قائلًا :

لا تحاول ان تخدعنا بان هذه الجمالة الرائعة والمتقنة الصانع ،
هي هدية من والدك او احد افاربك . . . لقد علمت انها هدية
من تلك السيدة الحسنة المحببة ، التي التقينا بها ، عندما كنا سوية
يوم الاحد الفائت في شارع سانت أونوريه .
فبان الارتباك على بورتوس بعض الشيء ، واجاب رفيقه بشيء
من الحدة والجد :

- اقسم لك بشرفي ، انني اشتريتها من مالي الخاص . . .
فاجابه آتوس بدعابة :

-- كما اشتريت انا هذا الكيس المحملي بالمال الذي وضعته
عشيقتي الحسنة بالكيس القديم . . .

وهنا التفت الفارس آتوس الى رفيقه الآخر اراميس يستشهد
به على صحة قوله ، وما لبث ان اغرقا بالانجفاك والسخرية من
رفيقهما الذي راح يقسم باغلاظ الايمان مؤكدا انه ابتاعها من
الخاص .

ثم تحول الحديث بين الفرسان الثلاثة الى ناحية اخرى ،
تناولوا فيها سيرة الكردينال ريشليو وتصرفاته الخاصة ، بشيء من
التهكم والسخرية ، اثارت حفيظة الفارس دارتميان ، الذي
تذكر وصية والده ، بان يكون ملصا ووفيا للمالك اويس
الثالث عشر وللكردينال .

وكاد يتدخل بين الفرسان ليمنعهم من السخرية بالكردينال
الا انه فضل ، في اللحظة الاخيرة ، ان يخلد الى السكينة وينتظر .
واستمر الفرسان الثلاثة في مزاحهم يتناولون بالحديث

والسخرية الشخصيات الكبيرة .. حتى أتوا على ذكر الملكة
وعلاقتها بالورد بوكنهايم ... الانكليزي ..

وهنا بان الغضب الشديد على وجه الفارس بورتوس ووجه
حديثه الى رفيقه اراميس الذي اثار حديث الملكة وراح يتناول
سيرتها الخاصة بشيء من النقد اللاذع وطلب اليه ان يكف عن هذه
السخرية ويحترم سيرة الملكة .. ولكن اراميس لم تعجبه
ملاحظة رفيقه فأجابه بشيء من الحدة :

دعني انتقد من اشاء ، فلي ملء الحرية بذلك ، وانني كما ترى
فارس ، ويمكنني ان اصرح بما يحول بخاطري دون خوف او
وجل ..

وقبل ان تبلغ المشادة بين الفرسان الثلاثة حدها ، دوى
فجأة صوت الحاجب ينادي قائلاً :

السيد دي تريفيل في انتظار الفارس 'دارتنيان' .
وخيم السكون على الردهة الواسعة الغاصة بالفرسان والرسل
وفي غمرة هذا السكون تقدم الشاب دارتنيان نحو المكتب الفخم
الذي يجلس فيه قائد فرسان الملك !

دارتنيان يقابل دي تريفيل



عندما دخل دارتنيان مكتب السيد دي تريفيل ، كان هذا
 الاخير في حالة عصبية ظاهرة ، ومع ذلك فقد استقبل موطنه
 الشاب دارتنيان بشيء من الترحاب والايانس ، وقابله بالابتسام
 عندما راح الشاب يتحدث عن وطنه غاستونية وابنه الفارس
 دارتنيان في لهجة غسقونية ، أعادت الى ذهنه ذكريات شبابه .
 واقترب دي تريفيل من الباب المظلم على الردهة الغامضة
 بالفرمان ، بعد ان أشار بيده الى دارتنيان كمن يستأذنه للقيام
 بامر خاص . . ونادى بصوت تجلج فيه الحلق الشديد :
 -- اين الفرسان الثلاثة . . اتوس وبورتوس وارانيس ! ؟
 وفي لمح البصر ، كان بورتوس وارانيس يقفان امام قائدهما
 دي تريفيل في كثير من الأنفة والتأهب .
 وما ان وقع نظر القائد عليهما ، حتى راح يحديق بهما بعينين

تفويض غيظاً ووعيداً .

وتوقع دارتيان قرب انقراض الصاعقة على رأس الفارسين .
ثم راح القائد دي تريفيل يذرع حجرة مكتبه ذهاباً وإياباً
عدة مرات ودلائل الغضب بادية بوضوح على قسمايت وجهه ...
وفجأة توقف عن السير والنفت الى الفارسين وصاح بهما قائلاً :
أتعلمان ماذا قال لي جلالة الملك امس ايها الفارسان ؟!

فأجابه الفارس اراميس بشيء من التهذيب :
.. كلا ياسيدي القائد ، وبعيننا جداً ان نعلم ماذا تحدث
جلالته عنا ؟ !

فأجابه القائد بلمحة حائقة :
-- لقد قال لي جلالته انه قرر من الآن وضاعداً ، ان يلحق
بعض فرسانه ، وانتم في الطليعة ، بحرس نياافة الكردينال ...
فتدخل الفارس بورتوس بالحديث وقال له بلمحة ساذجة
وجافّة :
.. ولماذا يريد جلالته ان يضمنا الى حرس نياافة الكردينال ؟!

اجابه القائد دي تريفيل :
-- لان جلالته قد تأكد بصورة قاطعة ، انه بحاجة ماسة الى
فرسان جدد من اصحاب السيوف الماضية والجرأة الكافية .
فامتقع وجه الفارسين احمراراً من شدة الحزي والحجل ، لهذه
التهمة التي توجه اليهما من قائدتهما لأول مرة ..

وتابع القائد دي تريفيل حديثه بلمحة القاسية وقال :
اجل .. لقد كان جلالته على حق فيما ذهب اليه ... واقسم

لكما بشر في بان جميع فرسان الملك قد اصابهم الحزي والعار ، اذ
تعهد الكردينال ان يتندر امس في البلاط الملكي ، وعلى مسامع
جلالة الملك ، باحاديث انهم امس فرسانه البواسل ، كما تعهد
بصورة خاصة ان يردد عبارته الاخيره بكثير من الشدة ، وكأنه
قصد ان يصيبني في الصميم ، بوصفي قائداً لفرسان الملك .

لقد تحدث نيافته واطال الحديث عن تلك المعركة التي نشبت
بين رجال جرسه ، وعدد من فرسان الملك ، وكنتم انتم الثلاثة
في الطليعة : بورتوس ، آتوس ، وراميس . وكان ذلك ليلة اول
امس وفي شارع « فارو » باحدى الحانات . اذ بينما كانت دورية
من فرسان الكردينال مكافئة بالقضاء القبض على المخيلين بالامن والنظام
أوقفت بعض زملائكم من فرسان الملك بحجة انهم يخاون بالامن ا
وكنتم انتم معهم ... ولا يمكنكم النكران لانهم تعرفوا عليكم
ونقلوا الى سيدهم الكردينال ، اوصافكم وتفاصيل المعركة وكيف
اسفرت عن فوزهم ... وانهم امس ، وقد ذكر الكردينال بنفسه
اسماءكم واحداً واحداً ، زيادة في النكابة والتعدي .

ونوقف دي تريفيل بضع لحظات ليستود انفاسه ثم تابع
حديثه بحدة :

.. انها غايطي ، لقد اسأت الاختيار ، لاني اخترتكم
واعتمدت عليكم .

ثم التفت الى الفارس اراميس مخاطباً اياه بلهجة ساخرة :
.. لا اعلم يا اراميس ما الذي دعاك الى ارتداء زي الفارس ،
وانت جدير بك ان تكون كاهناً في احد الاديرة . اما انت يا

بورتوس فلعلك لم تلبس هذا المعطف الجميل الا لتعلق الى جانبه
سيفاً من الخشب لا يصلح لشيء . اما آتوس ... فاني لا اراه ،
فاين هو الآن ؟

فبادره اراميس بقوله :

.. انه مريض يا سيدي القائد ، بسبب الدماء التي نزفت من
جرحه في تلك الليلة المشؤومة !
فقاطعه القائد قائلاً :

.. يا للمساكين ! ستة من فرسان الملك يتعرضون لهجوم من
سنة من فرسان الكردنيال .. فيستكينون كالجبناء الصعاليك
ويفرون من امامهم هاربين ! ان تصرفكم هذا يحلمني على الاستقالة
من قيادة فرقة فرسان الملك ، واستعويض عنها بوظيفة ضابط بسيط
في حرس الكردنيال .. واذا رفض نيافته قبولي ، فسادخل الدير
لاصبح راهباً بسيطاً !

فاجابه الفارس بورتوس بحزم :

.. مهلاً يا سيدي القائد ، لنوضح لك موقفنا . لقد كنا ستة
فرسان ، وكانوا ستة .. الا اننا اخذنا على حين غرة ، وقبل ان
يفسح المجال امامنا ، لاستخدام سيوفنا سقط اثنان منا صريعين
بضربات غادرة من فرسان الكردنيال ، كما اصيب آتوس بجرح
بالغ واضطربنا لتركه مضرجاً بدمائه بين الموت والحياة ، وتمكننا
من النجاة. بانفسنا ، ولا تنس يا مولاي ان الحرب سجال . يوم
لك ويوم عليك . فانتظر وسترى ما يسرك ويعيد ثقتك بفرسانك
وبسالتهم .

وفي هذه الاثناء كان فارسنا الشاب دارتنيان يستمع الى هذا
الحوار بشيء من الدهشة ، وكأنه يشارك الفارسين هزيمتهما !
وفجأة بان القلق والاضطراب على محيا القائد دي تريفيل
وسألهما :

-- لم اكن اعلم ذلك .. ويبدو ان نيافة الكردينال قد بالغ
في رواية الحادثة محارلاً اظهار رجاله بمظهر الابطال ، وهل اصيب
آتوس بجرح خطر ؟

فأجابه اراميس بلهجة يشوبها الحزن :

-- اجل يا سيدي القائد ، لقد اخترق السيف كتفه ونفذ الى
جنبه من ناحية اليمين ، وقد بادرت الى نجدة ، وتمكنت من ان
اغمد نصل سيفي في صدر ذلك الفارس الجبان الذي غدر بآتوس
فسقط لتوه صريعاً . وارجو يا سيدي ان لا تصل الى مسامع
جلالة الملك هذه الانباء المزعجة ..

وما ان اتم عبارته الاخيرة ، حتى فتح الباب وبدأ وجهه
جميل بادي النبيل ، قد علتة صفرة ظاهرة .. فهتف الفارسان
بصوت واحد :

-- آتوس !!

وردد القائد دي تريفيل قولهما بشيء من الارتياح والغبطة :

-- آتوس ! لماذا جئت وانت على هذه الحالة ؟!

واجابه آتوس بصوت حازم خافت :

-- قيل لي يا سيدي القائد انك دعوتني ، فبادرت الى المثل

بين يديك ! وها انا رهن اشارتك ! فبان التأثر والانفعال على

وجه القائد دي تريفيل ، وخطاب آتوس بصوت متهدج :
- لقد كنت اتحدث الى رفيقك ، باني حريص كل الحرص على
الدفاع عن كرامة فرسان فرقتي ، خاصة وان البواسل منهم قليل ،
ولأن جلالة الملك يعلم حق العلم ان فرسانه من اشجع الفرسان . .
وما ان انتهى من حديثه حتى اقترب من الفارس آتوس
ليصافحه بحرارة وعطف زائدين .

والظاهر ان المجهود الذي بذله آتوس في المجيء الى قصر
قائده ، قد اثر عليه ، فحاول جهده ان يتعامل على نفسه ، فلم
يستطع ، وانتهى آتوس الى الارض ، بينما كان قائده دي تريفيل
يشد على يده بعطف امام انظار عدد من فرسان الملك الذين
شاهدوا هذا المنظر المؤثر .

وعلى الاثر صاح القائد دي تريفيل باعلى صوته :
. اسرعوا باستدعاء الطبيب .

وفي لحظات معدودة حضر الطبيب الذي امر بنقل الفارس
الجريح على جناح السرعة الى غرفة مجاورة ، فاسرع الفارسات
بورتوس وراميس الى نقل رفيقهما الجريح ، وتبعهما الطبيب الى
حجرة القائد دي تريفيل ليعلن امام الجمع الذي احشد في الردهة
ان حالة الجريح لا تدعو الى القلق ، وانه استرد وعيه .

فبان الارنياع على وجه دي تريفيل ، بعد ان اطمن أن على
فارس من اشجع فرسان فرقة واشدهم بأساً . وبشارة من يده
انسحب الجميع ، ولم يبق في حجرة سوى الفارس دارتيان ، الذي
ظل محتفظاً بهدونه يراقب ماجري حوله من احداث .

فالتفت اليه دي تريفييل وقال له ببشاشة :
 — عذراً يا مواطني العزيز ، لقد كدت انساك ، ولكن ما
 حيلتي ، فالفائد كالوالد الحنون ، يرعى فرسانه ويدفع عنهم
 الاذى ، كما يرعى الاب ابناءه . والجنود اطفال كبار ، بحاجة
 دائماً لمن يرعاهم ويوجه اليهم النصيح .
 واردف يقول :

— لقد ذكرني وجودك ، بوطني غاسقونية وخاصة والدك ،
 فقد احببته كثيراً ، ولا ازال اكن له في قلبي اجل الذكريات .
 ويهمني ان اقدم لوالدك اية خدمة يطلبها مني . . فقل ماذا تطلب ؟
 فأبدى دارتليان رغبته في الانخراط بسلك فرقة فرسان
 الملك ، وانه قدم الى باريس سعيماً وراء هذه الامنية الغالية .
 فأجابه دي تريفييل :

— ان تحقيق امنيتك ايها الشاب صعب ، لان ذلك مرتبط
 بجلالة الملك وحده ، فهو الذي يختار فرسان فرقة ، من بين
 الشبان الاكفاء البواسل ، ويجب ان يتوفر في راغب الانخراط
 بفرقة الملك احد امرين : اما ان يكون قد برهن عن بسالة وكفاءة
 في مبارزات ومعارك خاضها ، او ان يكون قد خدم في احدى
 فرق الجيش العامل مدة سنتين على الاقل . وسكت برهة ليتفكر
 بوجه دارتليان ليستجلي بواطنه ، ثم استطرده يقول :

— ولكن بما ان والدك هو صديق عزيز علي نفسي ، فانني
 سأبذل جهدي لمساعدتك ، خاصة وقد تكون ظروفك المالية
 لا تساعدك على الاقامة طويلاً في باريس بلا عمل .

فرجع دارتنيان رأسه بشيء من الكبرياء ، وكأنه يريد ان يقول للقائد دي تريفييل ، انه لم يسعَ اليه طمعاً بالحصول على هبة مالية او احساناً . الا ان دي تريفييل لم يفسح له المجال ليعبر عما يجول برأسه ، بل تابع حديثه قائلاً :

— حسنأ ايها الشاب ، انني اقدر عزة نفسك واباءك ، ولا تنس انني عندما حضرت الى باريس لأول مرة ، كنت لا املك في جيبى سوى اربعة جنيهات ، تمكنت بواسطتها من شق طريقي نحو المجد .

وقد قررت ان اعطيك كتاب توصية الى مدير الاكاديمية الملكية للفروسية ، وهناك ستتدرب على ركوب الخيل واتقان فنون المبارزة واستخدام السيف ، وبذلك تصبح اهلاً للانخراط في سلك فرسان الملك .

فأجابه دارتنيان بشيء من الامتعاض :

— مع الاسف يا سيدي القائد ، لقد اخطأت التقدير بالنسبة لمقدرتي ، فانا لست بحاجة الى الانتساب الى معهد للتدريب ، لاني تدربت على يد امهر الفرسان في حمل السيف منذ نعومة اظفاري . ثم اثار عرضاً الى ما تعرض له من حوادث في بلدة «مينغ» وتكيف سرقت منه رسالة ابيه الموجهة الى دي تريفييل ، ووصف بدقة الرجل الغريب الذي استولى على الرسالة .

فقاطعه دي تريفييل باهتمام زائد وسأله :

الم تلاحظ وجود اثر جرح خفيف على خد ذلك الرجل ؟

اجابه :

- اجل ، وكأنه اثر منظمة رصاصه .
- او لم يقابل احداً هناك ؟
- نعم لقد قابل سيدة شقراء في عربتها قرب باب النزل .
- وهل علمت ما دار بينهما من حديث ؟
- لقد سامها صندوقاً صغيراً مقللاً ، وقال لها انه يحتوي على تعليماته ، وطلب اليها ان لا تفتحه الا عند وصولها الى لندره
- وهل السيدة انكليزية ؟
- .. لا ادري ، لقد دعاها باسم « ميلادي » ..
- وبدا الاهتمام الشديد على محيا القائد دي تريفيل ، واطرق مفكراً بضع لحظات ، وراح يحدث نفسه بصوت خافت قائلاً :
- انها ميلادي ! .. لقد كنت اظنها ما تزال في بروكس !
- وهنا التفت دارتنيان الى دي تريفيل وخاطبه بقوله :
- ارجو يا سيدي ان تذكر لي اسم ذلك الرجل الغريب ،
- واين يمكنني ان اجده . لان لي معه حساباً عسيراً يجب ان اصفيه حالاً
- فقاطعه دي تريفيل قائلاً :
- انني احذرك ايها الشاب من هذا الرجل ، وانصحهك بان لا تتعرض له ، فهو جبار مخيف !
- فاجابه دارتنيان بحزم :
- ان ذلك يزيدني رغبة وحماسة في السعي وراءه مهما كان مخيفاً ..
- وعاد دي تريفيل الى التفكير بامر هذا الشاب ، وذهبت به الشكوك الى اساءة الظن به ، خشية ان يكون مرسل من قبل

الكردينال لنصب مكيدة جديدة للإيقاع به .
ويبدو ان دارتنيان ادرك بشاقب بصره ما يحول في حجبلة
القائد ، فقال :

لقد اوصاني ابي عندما غادرت المنزل بان اكون مخلصاً
لجلالة الملك ولنيافة الكردينال ، وانخشي ان لا نسيء الظن بي
لهذه الصراحة المتناهية ، لانني بعيد عن المناورات والمؤامرات
السياسية التي تجري في باريس .
فتأثر دي تريفييل بهذه الصراحة ، وتقدم من الشاب يشد على
يده بتأثر بالغ وقال :

.. تأكد انني اثق بك ، وسأعمل على الحافك بفرقة فرسان
الملك في القريب العاجل ، وان ابواب قصري مفتوحة امامك
تدخلها ساعة تشاء .
فأجابه دارتنيان :

... شكراً لك يا سيدي على هذا العطف ، ولن يطول الوقت
لأقناعك بقدرتي وسجدارتي بحمل لقب فارس فرقة الملك .
ثم حياً القائد دي تريفييل ، وهم بالانصراف ، فاستوقفه دي
تريفييل قائلاً :

— مهلاً ايها الشاب ، لاسررك الكتاب الى مدير الاكاديمية
الملكية .

فتردد دارتنيان لحظة ، ثم وقف ينتظر الرسالة ، بينما جالس
القائد الى مكتبه وبدأ يحرق الرسالة .
وراح يتسلى دارتنيان بالتطلع من النافذة التي تطل على الشارع

وفجأة استدأر على عقبه واندفع راكضاً من حجرة القائد وهو

يصيح :

.. فجأً بالله انه ان بعلت من يدي هذه المرة !

فرفع القائد رأسه منضلاً وصاح به متسائلاً :

- ومن هو هذا الشخص ؟!

فرد عليه دارنيان وكان قد اصبح خارج الحجرة :

- انه هو .. سارق رسالة ابي ...

٤

مشاكل الفرسان الثلاثة !



بينما كان داورتيان خارجاً بسرعة خاطفة من حجرة القائد دي تريفيل ، اصطدم عن غير قصد بفارس كان خارجاً من غرفة مجاورة ، فبادر الى الاعتذار اليه ، وتابع طريقه قائلاً للفارس :
- معذرة يا سيدي الفارس ، فهناك ما يحملني على الاسراع في الخروج ...

ولمّا همّ بمتابعة سيره ، شعر بيد من حديد تمسك به من الخلف وصوتاً حازماً يقول :

- اذا كنت على عجل ، فهذا لا يسمح لك ان تصدم الناس برعونة ، وتكتفي بالاعتذار او تنظن ان ذلك يكفي ... او تعتقد لانك شاهدت كيف يعاملنا القائد تريفيل ، انه بات من حقك ان تكلمني بنفس الالهجة التي يخاطبنا بها القائد ... انك واهم ، فانت لست السيد دي تريفيل !

واجابه دارتنيان بعد ان عرف فيه آتوس الفارس الجريبح .
 -- لم اتعمد الاصطدام بك ، واكرر اعتذاري لك ، واقسم
 بشر في باني مضطر للاسراع في الخروج ، فارجوك ان تـ...دعني
 وشأني الآن .

اجابه اتوس بلهجة حازمة :
 -- مهلاً ايها السيد ، اظنك قادم حديثاً من الارياف . . ولهذا
 فاني اعلمك بانني بانتظارك عند الظهر تماماً قرب دير « كارم ديشو »
 وآمل ان لا تتخلف .

اجابه دارتنيان :
 -- حسناً سأوافيك الى ذلك المكان في الموعد المحدد ...
 قال عبارته هذه ، واسرع راكضاً الى الخارج ، آملاً ان
 يلحق بغريمه .

وبينما كان يجتاح باب القصر الكبير مسرعاً ، تعثر بمعطف
 بورتوس الذي كان واقفاً يتحدث الى اثنين من رفاقه من رجال
 الحرس الملكي ، وكاد ينطرح ارضاً من شدة الصدمة . فزجر
 بورتوس وراح يقذف دارتنيان بسيل من اللعنات ، فرد عليه
 دارتنيان بمثل لهجته القاسية ، وانتهت المشادة الكلامية الى
 دعوة ثانية للمبارزة في الساعة الواحد من بعد الظهر في حدائق
 الاكسمبورغ .

وتابع دارتنيان جريه نحو الشارع ، دون ان يعبأ للنتائج التي
 تترتب على هذه المبارزة ، اذ كان جل همه ان يظفر بخصمه المجهول
 ولكن مساعيه ذهبت ادراج الرياح ، اذ عندما اصبح في الشارع
 كان خصمه قد توارى في احدى المنهطفات المجاورة ، واحس بخيبة

امل مريرة ، ونقم على نفسه ، لان تهوره قد جره للتورط بمبارزين
قد لا يخرج من احدهما سليما .

وراح يسير الهوينيا في الشارع القريب من قصر دي تريفيل ، وهو
يحدث نفسه ويضرب اخماساً باسداس ، وكان قد وصل في سيوره امام
قصر « اوكيون » حيث يقطن الكردينال « ريشليو » وعلى مقربة
من القصر شاهد الفارس اراميس بادي الغبطة يتحدث الى بعض رفاقه
من فرسان الملك ، ومع ان اراميس لمح ، الا انه تظاهر بعدم
الاكتراث به ، وتعمد ان يتجاهله ، ذاكراً التعنيف القامي الذي
نالته ورفاقه من قائدهم دي تريفيل ، بحضوره . اما دارتنيان فقد
انحنى بكل احترام الى اراميس ورفاقه الفرسان ، عندما حاذاهم
فرد عليه اراميس بالحناءة بسيطة ، دون ان ينتهم ، وحاول
دارتنيان ان يكون مهذباً أكثر من اللزوم ليتعاشى الوقوع في
ورطة جديدة ، فلمح مندبل الفارس اراميس ، يسقط منه الى
الأرض ، فبادر الى التقاطه بكل لياقة واحترام وقدمه اليه امام
انظار رفاقه . . . وتشاء الصدفة ان المندبل الحريري الذي سقط
من جيب معطف اراميس ، كان مندبلاً نسائياً ، مما اخرج
اراميس وجعله سخرية أمام رفاقه ومصدرو دعاياتهم ، فما كان منه
الا ان انتزع المندبل الحريري من يد دارتنيان بمجدة وحنق . . .
وبادر احد رفاق اراميس يعلق على ذلك بقوله :

.. ومع ذلك تحاول ان توهمنا بأنك على خلاف مع السيدة
« بوادي تراسي » ورغم هذا الحلاف المزعوم ، لا تمنع السيدة
في اعارتك مناديلها الحريرية الخاصة لتستعملها ! .

ولم يطق اراميس هذه الدعابة من احد رفاقه ، فحجج دارتنيان بنظرة حادة وخاطبه بقوله :

— انك واهم يا سيدي فليس المنديل الحريري يخصني ، اذ انني احمل منديلي الخاص في جيبتي ثم تناول منديله من جيبه ، وكانت مندبلاً عادياً نسيج على احد اطرافه الحرف الاول من اسمه ، وهنا شعر دارتنيان ، انه ارتكب هفوة فظيعة بحق اراميس عن غير قصد ، وقبل ان يحاول اصلاح خطأه ، تدخل احد رفاق اراميس بالموضوع وقال مخاطباً اراميس :

— اذا كنت تدعى ان هذا المنديل لم يسقط من جيبك ، فاني مضطر يا عزيزي اراميس ، ان احتفظ به ، لان السيدة « بوادي ترابي » من معارفي ، ولا اريد ان يساء استعمال حاجياتها الجميلة !

وشعر الفارس اراميس ان موقفه يزداد حرجاً ، فاسرع الى اخفاء المنديل الحريري في جيبه والتفت الى دارتنيان بقوله :

— لقد حاولت توجيه الاساءة اليّ ، وقبل ان نفرق ، عليك ان تحدد موعداً للقائنا لتصفية الحساب

فأجابه دارتنيان :

— موعدنا الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم في قصر القائد دي تريفيل ، ومن هناك نحدد المكان الصالح للمبارزة !

٥

فرسان الملك وحرس الكردينال



لما كان دارتنيان لا يعرف احدآ ببأريس ، فقد ذهب الى موعد المباراة الاولى مع الفارس آتوس ، دون ان يصلح مع شاهدته ، حسب العادة . . وقد صمم في قرارة نفسه ان يتخلص من مباراة آتوس ، لان ذلك الفارس كان مصابا بجرح لم يئس عليه سوى ايام معدودة . ولهذا قرر ان يعتذر له ، بلباقة وشهادة ، محاولا تسوية الخلاف بينهما بالتى هي احسن ، ليكسب صداقة الفارس آتوس ، وعن طريقه يمكن لدارتنيان ان يصفى حسابه مع الفارسين بورتوس وراميس .

ولما وصل الى الساحة المجاورة للدير ، كان الفارس آتوس قد سبقه الى هناك منذ خمس دقائق ، وبعد ان تبادلآ التحية بأدب كما تقضي ذلك اصول المباراة الشريفة ، اعلن الفارس آتوس ان شاهده سيحضران عما قريب ، وسأل عن شاهدهي دارتنيان ،

فاعتذر هذا ، بأنه لم يتمكن من احضار شهادته ، لانه غريب
عن باريس ، ولم يمس على وجوده فيها الا بضعة ايام ، وقال ان
الشخص الوحيد الذي يعرفه في بار هو القائد دي تريفييل .
واطرق اتوس يفكر بضع لحظات ثم هال وكأنه يخاطب نفسه :
- اذا تورطت معه بمبارزة وقتلته فكيف اقدمت على قتل
فقي ناشىء ...

فاجاب دارتنيان بحدة وابهاء ...

- لا تسترسل بغرورك ايها السيد ، فانت تستحق العطف
اكثر مني ، لكونك جريحاً ، وجرحك لم يندمل بعد .
اجابه اتوس :

- انت على حق ايها الشاب ، فلن استطيع استخدام يميني ،
وسأعتمد على اليد اليسرى في مبارزتك ، وتأكد انني انقنت
استخدام كلتا اليدين في المبارزات .

قال دارتنيان بشيء من الاحترام والتأثر :

- ارى انك ما تزال يا سيدي بحاجة ماسة الى مزيد من
الراحة والعناية بجرحك .

وهنا حاول اتوس مغالبة ألمه ، وتحامل على نفسه ليجلس على
مقعد حجري ليستريح بعض الوقت ..

واقترب منه دارتنيان وخاطبه بلهجة تشوبها البساطة قائلاً :

- اتسمح يا سيدي ، ان ادهن جرحك ببلسم عجيب يشفي
الجراح بسرعة عجيبة ، وهذا البلسم اعطيتني اياه امي وقد جربته
بنفسي .. كما يمكننا ان نرجى المبارزة الى موعد آخر تحدده

أنت بنفسك .

فشكره الفارس آنوس بتأثرو قال :

-- الواقع انني احب الرجال النبلاء امثالك ، وعلينا قبل ان نبت بالامر ، ان ننتظر وصول شاهدي لنبحث المسألة بوجودهما . .

وما ان أتم عبارته الاخيره ، حتى حانت منه التفاتة ، فلم يح احد شاهديه وهو الفارس بورتوس قادمًا من بعيد . . فهتف دارتنيان قائلاً :

- عجباً وهل احد شاهديك هو الفارس بورتوس ؟
اجابه اتوس متسائلاً :

-- وهل لك اعتراض على ذلك ؟

-- كلا ، ليس هناك اي اعتراض .

وهنا حضر الفارس الثاني ولم يكن سموي اراميس ، فاشار اليهما اتوس وقال :

- ها هما شاهديّ : بورتوس و اراميس !

فهتف دارتنيان بدهشة :

-- يا لها من مصادفة غريبة !

اجاب اتوس :

-- ولم العجب ، فنحن لا نفترق عن بعضنا البعض ، وقد اطلقوا علينا لقب الفرسان الثلاثة الذين لا يفترقون .

وفي هذه الاثناء كان بورتوس قد اقترب منهما ، وتبسم ملامح دارتنيان فصاح :

-- ماذا ارى ، فهذا هو السيد نفسه الذي دعوته الى المبارزة

اليوم ايضاً !

فبادره دارتنيان بانقة :

- نعم ياسيدي ، ولكن موعدا عند الساعة الواحدة .

وصاح اراميس ، وكان قد اقترب وسمع مجرى الحديث قائلاً :

- وانا ايضاً لي معك حساب يجب تصفيته .

فقال دارتنيان :

- انني على تمام الاستعداد ، لتصفية هذا الحساب وموعدا عند

الساعة الثانية من بعد الظهر ، والان اسمعوا لي ايها السادة وقد

جمعتكم الصدفة في مكان واحد ، ان اعتذر اليكم ...

وعند سماع عبارة دارتنيان الاخيرة ، تبادل الفرسان الثلاثة

النظرات فيما بينهم ، وادرك دارتنيان معنى هذه النظرات

فاستطرد يقول بأباء :

- لقد اسأتم فهمي ايها السادة ، لاني قصدت باعتذاري هذا ،

انني لن اتمكن من تنفيذ وعدي اليكم جميعكم .

وما لبث ان استل حسامه من غمده بحركة تجلت فيها معاني

الفرسية والبسالة ، وحذا الفارس اتوس حذوه ، وقبل ان

يلتحم السيوف بالتحية التقليدية ، برز من الطرف الآخر للساحة

بعض حرس الكردينال بقيادة القائد دي جوساك .

فصاح بورتوس و اراميس بصوت واحد ، يحذران المتبارزين :

- اوقفوا المبارزة .. لقد حضر حرس الكردينال !

ويبدو ان تحذيرهما جاء متأخراً ، فقد فاجأ رجال الكردينال

المتبارزين بالجرم المشهود ، ولم يعد من سبيل للانكار او التهرب ،

وتقدم قائد الحرس دي جوساك ، مخاطب الفرسان قائلاً :

— عجباً ! ارى ان فرسان الملك يتبارزون في رابعة النهار دون ان يقيموا وزناً لقوانين الملك التي تحظر المبارزة .. هيا سيروا امامنا ايها السادة والا اضطررنا الى استخدام القوة لالقاء القبض عليكم !

فأجابهم اراميس بلمهجة ساخرة :

— لقد حظر علينا قائدنا دي تريفيل ان لا ننفذ سوى اوامره ولهذا تراءنا مضطرين لعدم تلبية رغبتك ايها السيد ، وارى ان تتابع طريقك مع رجالك وتدعنا وشأننا .

فصاح دي جوساك مجدة :

— اننى احملك عواقب هذا العصيان !

فقال آتوس بصوت خافت مخاطباً رفيقيه :

— ارى ان القوى غير متكافئة ، وعلى الرغم من اننى غير واثق بالفوز ، فأرى ان نخوض هذه المعركة ضدهم لنفصل العار الذي لحقنا في معركة ليلة اول امس ، وهي فرصة لا يجب ان ندعها تفلت من ايدينا .

وفي لمح البصر ، اقترب الفرسان الثلاثة من بعضهم البعض وشكلوا صفاً واحداً في وجه دي جوساك ورجاله الخمسة . وهنا تقدم دارتنيان من الفرسان الثلاثة وخاطبهم بقوله :

— لقد سمعتمكم تقولون انكم ثلاثة ، مع اننا اربعة ، لاننى اعتبر نفسي واحداً منكم ، وها حسامى رهن اشارتكم !

فهتف آتوس جذلاً :

— يا لك من فارس شهيم ايها السيد !

وفي هذه الانثناء جرد الطرفان سيوفهم واستعدوا للمعركة
الفاصلة ، وسرعان ما اشتبكت السيوف في معركة دامية .
فاشتبك بورتوس مع بيكرات وارانيس مع اثنين من الحرس
بينما اشتبك دارتنيان مع القائد دي جوساك نفسه ، اما اتوس
فعلى الرغم من جرحه الذي لم يندمل ، فقد وجد نفسه يبارز الفارس
كاهوساك احد المقربين من الكردينال . وكان القائد دي جوساك
من اشهر رجال السيف في ذاك العهد واشدهم بأساً ، ومع ذلك
فقد لاقى صعوبة كبيرة في الدفاع عن نفسه ضد ذلك الشاب
الغاسقوني دارتنيان ، الذي راح يكيل له الطعنات تلو الطعنات
برشاقة ومهارة ، بما اثار غضبه وراح يضرب بسيفه على غير هدى
ووروية ويرتكب اخطاء فادحة في المبارزة ، جعلت دارتنيان ينتقده
ويعده له اخطاءه .

واستجمع دي جوساك قواه وسدد طعنة صائبة الى صدر
خصمه دارتنيان محاولاً تصفية الحساب معه بسرعة ، الا ان الشاب
زاغ منها برشاقة ورد عليها بطعنة بارعة من حسامه اخترقت
كتف دي جوساك وجعلته يسقط ارضاً مضرجاً بدمه والتفت
دارتنيان بسرعة لينجد رفاقه فوجد اتوس يعاني بعض المشقة بسبب
جرحه ، فقفز الى جانبه وصاح بكاهوساك الذي كان يبارز اتوس
قائلاً :

- حذار ايها الرجل ، فانني قاتلك !

فصاح به اتوس :

... لا تقتله ايها العزيز ، فلي معه حساب قديم ، يجب ان

اصفيه بنفسه في فرصة اخرى ، واكتف الان بان تجرده من ملاحه .

وما ان تلفظ اتوس بعبارته الاخيرة ، حتى كان سيف كاهوساك يطير من يمينه ليستقر بعيداً عنه ، الا انه جرد من جنبه سيفاً اخر كان يحتفظ به ، وهجم على اتوس الذي كان قد استجمع قواه وسدد له ضربة عنيفة اخترقت جانب صدره وطرحت ارضاً .

وفي هذا الاثناء كان اراميس قد تغلب على خصمه الاثنين ، اما بورتوس فكان ما يزال مشتبكاً مع خصمه بيكرات في معركة حامية ، على الرغم من اصابة الاثنين بجراح .

ولما كان الامر يستدعي العجلة ، خشية ان تمر بالسكان فرقة العسس ، فتسوق الجميع الى السبعين ، فقد أحاط آتوس و اراميس ودارتيمان بيكرات الذي كان غسقونياً صعب المراس قوي الشكسية ، واندروه بان يستسلم حالاً ، فلم يفعل ، الا بعد ان امره قائده دي جوساك الجريح .

وقبل ان يغادر الفرسان الاربعة الساحة جميع اراميس السيوف في حزمة واحدة ، وتقدم من جرس الديو يقرعه بشدة ، لينبه انظار الرهبان ، فيسرعوا الى نجدة الجرحى وتضميد جراحهم ، ثم اسرعوا يغادرون الساحة ، عائدين الى قصر القاء دي تريفيل ، يحملون اليه بشرى الثأر من فرسان الكرديناز .

٦

الملك لويس الثالث عشر



وانتشرت انباء هذه المعركة التي جرت بين فرسان الملك وفرسان الكردينال ، حتى وصلت انباؤها الى مسامع القائد دي تريفيل ، قبل وصول الفرسان الاربعة ، اتوس ، بورتوس اراميس ودارتنيان ، الى القصر .

وعندما وصل الفرسان الاربعة الى قصر دي تريفيل ، صاح دارتنيان جذلاً :

— اذا لم اصبح حتى الان ، فارساً في حرس الملك ، فأنا على الاقل استطيع القول انني قبلت كفارس متدرج في هذه الفرقة ولما وقع نظر القائد دي تريفيل على الفرسان الاربعة ، تظاهر بالغضب الشديد وراح يعنفهم بصوت مسموع امام رجاله ، الا انه ما لبث ان هناهم على فوزهم الباهر ، بصوت منخفض لم يسمعه سوى الفرسان الاربعة .

وامرّع الى قصر اللوفر ينقل الى الملك هذه البشري ، فوجدته
مختلياً بنيافة الكردينال ، فارجاً ذلك الى المساء وعندما حضر في
المساء ، كان جلالاته قد جلس الى مائدة اللعب ، ولما كان بجيلاً
بطبعه ، فقد فرح بما كسب ، وتعهد مقابلة قائده دي تريفيل
بوجه عبوس امام الحضور متظاهراً بان الربح لم يهز مشاعره ...
وخاطبه بقوله :

... تعال ايها القائد .. الا تعلم ان نيافة الكردينال قد حضر
خصيصاً الى هنا ، ليشكو تصرفات بعض فرسانك ، وابلغ دليل
على ذلك ان نيافته قد توقعت صحته بسبب هذه الحادثة المؤسفة .
فاجابه دي تريفيل :

.. لم يكن فرساني هم البادئون بالاعتداء ، بل ان فرسان
نيافته هم الذين يتحشون باستمرار رجالي ويحاولون الاستباك
مهمهم بهارك ، وكان رجالي ، حرصاً منهم على كرامة الفرقة التي
ينتمون اليها يضطرون الى الدفاع عن انفسهم وعن كرامة
فرقتهم ... م .

وفي تلك اللحظة بالذات ، بدأ الحظ يتخلى عن جلالاته ، ففسر
بعض المال الذي ربحه ، فازداد غيظة وتظاهر انه استاء من
اجوبة قائده ، وتعهد الانسحاب من اللعب معتذراً الى الاشراف
الذين يلاحظونه ، بانه مضطر الى التحدث مع قائده بامور خطيرة .
وانتهى بقائده في احدي الشرفات البعيدة وخاطبه بلهجة
لطيفة :

اذن أنت تؤكد ان حرس نيافته هم الذين يتحشون

بفرسانك !

- اجل يا مولاي !

-- وكيف وقعت الحادثة ايها القائد العزيز ، اذ لا بد من قاضي عادل يسمع دفاع الطرفين ليفصل بينهما .

- لقد جرت المعركة بطريقة طبيعية ، فكان عدد الرج الى ثلاثة من خيرة فرسان فرقتي ، وجلالتك تعرفهم بالاسم ، وقد ادوا جلالتك خدمات جلبي في الماضي وبرهنوا على اخلاص وتفان . وهم آتوس ، بورتوس ، وراميس وكانوا قد اجتمعوا في منطقة سان جرمان لتصفية حساب بينهم وبين شاب غاسقوني ، كان والده قد ارسله اليّ لاحقه بفرقة فرسان الملك . وقد فوجئوا بحضور دي جوساك وكاهوساك وبيكرات واثنين من حرس الكردينال ويبدو انهم لحقوا برجالي الثلاثة عمداً للتعرض بهم ، وازاء هذا التحدي تناسوا مشاكلهم الخاصة ، واندفعوا بحماسة يدافعون عن شرف فرقته ، ولا شك ان جلالتك تعلم ان فرسان الملك هم في خدمة الملك دون سواء ، وهم بطبيعة الحال اعداء لحرس الكردينال !

فهز الملك لويس الثالث عشر رأسه أسفاً وعلق على عبارة قائده الاخيرة بقوله :

- اعلم ذلك يا تريفيل ، ويؤسفني جداً ، ان اري في فرنسا فريقين او بالاحرى نفوذين يتصارعان في المملكة ، ولكن تأكد ان لكل شيء نهاية ...

وتابع القائد دي تريفيل حديثه واسهب في وصف المعركة ،

وكيف تمكن رجاله بمعونه ذلك الشاب الغاسقوني من اصابة
اربعة من حرس الكوردينال بجراح بليغة واستسلام الخامس .
ولما انتهى دي تريفيل من حديثه هتف الملك مغتبطاً :

— حقاً انه لنصر مبين لرجالك يا عزيزي دي تريفيل ، ولكن
من هو ذلك الشاب الغاسقوني ؟!

اجابه دي تريفيل :

— انه شاب ناشئ ، يا مولاي ، ولكنه يتجمع بجرأة وبسالة
تدعو للاعجاب والتقدير ، واسمح لي يا مولاي ان اذكىه
بجلالته ، بعد ان ابدي شجاعة ونبلأ نادرين في تلك المعركة ، فقد
تناسى حقه وانضم عن طيب خاطر الى فرسان الملك واشتبك
مع قائد حرس الكوردينال دي جوساك بمبارزة حامية الوطنى ،
خرج منها منتصراً ، بعد ان اصاب دي جوساك بجرح بليغ في
كتفه جعله ينطرح ارضا ، فبادره الملك بقوله :

— وما اسم الشاب الذي جرح دي جوساك ؟!

دارتنيان يا مولاي ، وهو ابن لاحد اصدقاء القدماء ،
وقد كان فارساً مغواراً خدم جلالة والدك باخلاص وامانة في
حرب الانصار .

— اود رؤية هذا الشاب يا دي تريفيل !

— متى يرغب مولاي ان يتشرف الشاب بمقابلة جلالتهكم .

— غداً عند الظهر في قصر الافر ، ولا تنس ان تصطحب

معك الفرسان الثلاثة الذين اشتركوا في المعركة لاشكرهم ، لان

الرجال المخلصين الامناء قلائل في هذه الايام !

وارى ان تأني بهم الى جناحي الخاص من باب القصر الخلفي ،
لكي لا يثير قدومهم ريبة الكردينال .
- سمعاً وطاعة يا مولاي !

وحول الملك نظره الى ناحية اخرى ، علامة على انتهاء
الحديث مع دي تريفيل ، الذي انسحب بعد ان حيا الملك بالحناءة
واسرع الى قصره يزف الى الفرسان الاربعة آتوس وبورتوس
واراميس ودارتنيان ، بشرى تعطف الملك بمقابلتهم غداً ،
ليشكرهم على اخلاصهم واندفاعهم في المحافظة على كرامة الفرقة
التي ينتمون اليها . .

فقابلوا هذه اللقطة الملكية بالعبطة والارتياح ، وكان اكثرهم
سروراً وحفاة لهذه الزيارة ، الشاب دارتنيان الذي علق آمالاً
كبيرة عليها .

وبكر الفرسان في الذهاب الى فراشهم ليكنونوا على استعداد
تام في صباح اليوم التالي لمقابلة جلالة الملك ، على احسن حال .
وفي الصباح قصد دارتنيان لمقابلة اصدقائه الجدد ، فوجدهم قد
ارتدوا احسن ملابسهم استعداداً للمقابلة الملكية ، ولما كان لديهم
متسعاً من الوقت فقد اقترح بورتوس بان يقصدوا نادياً للفرسية
قريب من حدائق اللوكسمبورغ ، فقرر الفرسان الاربعة الذهاب
الى ذلك النادي المتضمنة الوقت ريثما يحين موعد المقابلة .

وتشاء العدف السدنة ان يتورط دارتنيان بمشكلة جديدة مع
احد فرسان الكردينال ريشابو المدعو « برناجو » ، فما كان من

دارتنيان الا ان تحداه بآباء وطلبه الى المبارزة حالاً ، مما جعل فارس الكردينال المعتقد بنفسه يستاء من تجاهل ذلك الشاب شهرته الواسعة في ميدان الفروسية .

وخرج الاثنان من النادي الى الشارع الذي كان خالياً من المارة ، وتبعهما اتوس وفارس آخر من اتباع الكردينال كشاهدين ، والتصم سيفان في مبارزة دامية بين شاب مغامر لا يعرف للخوف معنى ، وبين فارس مجرب شديد المراس يحسب له ألف حساب . . هو « برناجو » . ولاقى فارس الكردينال الجرب الأمرين في مناوشة دارتنيان ، وعجز رغم ما بذله من براعة وجهد عن النيل منه . . وانتهر دارتنيان وضع خصمه المخرج ، وتمكن بعد دقائق قليلة من ان يصوب نصل سيفه الى كتف « برناجو » بضربة بارعة من ضرباته الفنية ، ويصيبه بجرح بليغ . . وما كان من « برناجو » الا ان صاح باعلى صوته طالباً النجدة من رفاقه فرسان الكردينال ، ليجهزوا على الشاب الارعن الذي اصابه بجرح ، فبادر الى نجدة اثنان من حرس الكردينال ، وهجما على دارتنيان محاولان الفتك به ، الا ان رفاقه اتوس وبورتوس وارانيس ، بادروا في اللحظة الاخيرة لانقاذه ، واشتبكوا مع فرسان الكردينال بمعركة جديدة ، كانت الغلبة فيها لرفاق دارتنيان . ولما ادرك برناجو وفارسا الكردينال حرج مركزهم ، هرولوا مسرعين يطرقون باب قصر الدوق دي ترمويل القريب من مكان الحادث ، والمعروف عن هذا الدوق انه من اعداء الملك ، ومن المقربين من الكردينال ريشليو . .

وخرج عدد من حرس الدوق لنجدة رجال الكردينال ،
وجردوا سيوفهم محاولين الهجوم على فرسان الملك الاربعة ،الذين
بدورهم راحوا يصيحون طالبين النجدة وتبرع احد المارة ،فمرول الى
قصر دي تريفيل ينقل تفاصيل الحادث ويعلم ان رفاقهم في خطر .
وفي لحظات معدودة كانت حداثي اللوكسبورغ قد تموت الى .
ساحة حرب تعجج بفرسان الملك الذين اسرعوا بالعشرات لنجدة
ورفاقهم .

ودارت الدائرة على فرسان الكردينال وحافاتهم حرس
دي ترمويل ، فاركن الجميع الى الفرار ، ولجأوا الى قصر الدوق
بعد ان احكموا اغلاق الباب الكبير خلفهم .

وتسكأ عدد فرسان الملك والجنود ، وراحوا يحشدون امام
باب القصر متحينين الفرسان الجيوشاء الذين فروا من المعركة ،
واقترح احدهم تحطيم الباب او اشعال النار بالقصر لارغام المعتصمين
بالداخل على الاستسلام وكادت تنفيذ الحطة لولا حكمة انوس
الذي صاح برفاقه قائلاً :

— هلموا الى قصر اللوفر ، انروي لجلالة الملك تفاصيل الحادثة
كما جرت كيلا يشوه الكردينال الحقيقة كما فعل في السابق .
وعند باب قصر اللوفر الخلفي كان القائد دي تريفيل بانتظارهم
على اخر من الجسر ، بعد ان علم بالحادثة ...

ولما دخل دي تريفيل مع فرسانه الاربعة الى اللوفر ، قيل له
ان جلالة الملك قد ذهب ليصطاد في غابة سان جرمان ، ولم
يعد بعد .

فبان الاستياء والقلق على وجه دي تريفيل وسأل رئيس الحجاب :

-- وهل كان جلالة عازماً على الصيد امس ؟
-- كلا يا سيدي .

-- وهل قابل جلالة نيافة الكردينال اليوم ؟
-- لا اعتقد ، ألا اني شاهدت عربية نيافته معدة ، وقيل لي انها قاصدة غابة سان جرمان .

واكتفى دي تريفيل بما سمعه من رئيس الحجاب ، والتفت الى رجاله يخاطبهم :

-- انني مضطر ان اقابل جلالة الملك هذا المساء ، اما انتم فانصحكم بالابتعاد عن ذلك ، لان نيافة الكردينال قد سبقنا الى ابلاغ جلالاته تفاصيل حادثة اليوم على طريقته الخاصة .

وعاد القائد دي تريفيل مع فرسانه الاربعة الى قصره ، يفكر في مخرج للمأزق الحرج الذي وضعه فيه فرسانه ، وفقت له الحيلة بان يكون البادئ في تقديم الشكوى والاحتجاج على الاعتداء الذي تعرض له رجاله ، فبادر الى ايفاد احد رسله مع كتاب خاص الى الدوق دي ترومویل ، يحتج فيه على اعتداء رجاله ، وقد رد دي ترومویل بانه يستغرب هذا الاحتجاج ، لانه يعتبر ان فرسان الملك هم البادئون في الاعتداء . لا سيما وان رجال دي تريفيل قد هاجموا قصره وحاولوا تحطيم بابه واشعال النار فيه .

واستمرت المحادثات بين الدوق والقائد دي تريفيل ، واصر كل منهما على موقفه ، واخيراً اعتزم دي تريفيل ان يذهب بنفسه

لمقابلة الدوق في قصره ، ويحاول تسوية القضية معه ، قبل ان
تصل الى مسامع الملك .

ونفذ قراره فوراً ، وقصد الى قصر دي ترمويل الذي قابله
بادب ، وافتتح دي تريفيل الحديث قائلاً :

— لقد وجدت انه من الافضل ان احضر بنفسى الى قصرك
لتسوية هذا الخلاف الذي شب بيننا بطريقة حمية .
اجابه الدوق :

— حباً وكرامة ... ومع ذلك فاني اسمح لنفسى بان ألفت
نظرك الى ان رجالك هم المسؤولون عن المعركة .
اجابه دي تريفيل بهدوء :

— قبل ان تدخل في التفاصيل يا سيدي الدوق ، لدي اقتراح
يحسم الخلاف بيننا في هذه القضية هو ان نجعل الحكم بيننا
في هذه القضية ، الضابط « برنابو » الذي اصيب في تلك المعركة
فاين هو الآن ؟!

— انه ما يزال في قصري ، وحالته سيئة جداً ، فهو مصاب
بضربة سيف نفذت الى الرئة اليمنى .

— وهل مازال محتفظاً بوعيه الكامل ؟

— لقد استعاد وعيه منذ ساعات ، ولكنه يتكلم بصعوبة ..
— اذن فلنذهب اليه ونسأله من المسؤول عن هذا الاشتباك
واؤكد لك سلفاً يا سيدي الدوق ، اني اقبل بقراره مهما كانت
النتيجة .

واطرق الدوق دي ترمويل يفكر بهذا الاقتراح ، ثم ما

لبث ان وافق عليه . . .

وتوجه الاثنان الى غرفة الجريخ الذى كان يتساوه في سريره من فرط الالم وهو في حالة يرثى لها ، الا انه كان في كامل وعيه ، اذ ما ان شاهد الدوق يقف الى جنب سريره حتى حاول النهوض فمنعه الدوق من الاتيان باية حركة خشية ان يعاوده النزيف من جرحه .

واقترب دي تريفيل من الدوق وهمس باذنه ، بان يتولى بنفسه استجواب الجريخ ومعرفة المسؤول الحقيقي عن الحادث ؛ وسمع دي ترمويل من فم الجريخ الحقيقة الجردة ، والتي تدین حرس الكردينال بالتهرش عمداً بفرسان الملك .

فأقترع ثغر القائد دي تريفيل عن ابتسامة ارتياح ورضى ، واستأذن الدوق بالانصراف بعد ان تمنى للجريخ المسكين شفاء عاجلاً ، واسرع الى قصره يدعو الفرسان الاربعة لمشاركنه طعام الغداء .

وبعد الساعة السادسة مساءً ، قصد القائد دي تريفيل مع فرسانه الاربعة الى قصر اللوفر لمقابلة الملك . وكان جلالته لم يرجع من رحلة الصيد ، فدخل دي تريفيل مع رجاله الى الردهة المجاورة لحجرة الملك ، يتتظرون عودته ، ولم تمض على وجودهم دقائق قليلة حتى فتح الباب الكبير واعلن عن قدوم جلالة الملك لويس الثالث عشر ، واجتاز جلالته الردهة متبعها نحو غرفته وكانت ما يزال في لباس الصيد ، يحمل بيجهينه سوطاً يلوح به بعصبية ظاهرة ، وقبل ان يدخل الى حجراته القى نظرة غابرة على الحضور ، لم

- وهل جئت لتحتجمني به ؟

فأجابته بشيء من السخرية :

- لا اقصد ذلك ، بل جئت لسبب آخر ..

فسألها دارتنيان :

- وما هو هذا السبب ؟

اجابته :

- لا يمكن التصريح به ، لانه سر خطير لا يخصني .

فقننه دارتنيان لامر وقال :

- اعتقد ان هذا المكان لا يصلح لتبادل الاسرار ، خاصة

وان الرجال الذين اختطفوك لا بد ان يحضروا الى هذا المنزل

للتعقبوك .

اجابته :

- انك على حق ، دعنا نغادر هذا المنزل حالا .

وما ان تفوهت بالعبارة الاخيرة ، حتى تقدمت من دارتنيان

تتأبط ذراعه وتسرع بالخروج من المنزل ..

ولما ابتعدا عن المنزل مسافة طويلة التفت دارتنيان الى السيدة

الجميلة يسألها :

- الى اين تريدان ان اوصلك يا سيدتي ؟

اجابته :

- انني لا اعرف ماذا افعل .. فقد كنت عازمة على الاتصال

بالسيد دي لا بورت عن طريق زوجي ، لاحصل على التعليمات الجديدة

التي يجب ان اسلكها ، وأقف على التطورات الاخيرة التي جرت

تريفيل :

— وهل عينتك قائداً لفرقة حرسى ، لكي تتغاضى عن اخطاء بعضهم ، وتشجعهم على قتل رجل بريء ، ومهاجمة قصر احد النبلاء لاحراقه دون ان تحرك ساكناً ، وتضع حداً لتصرفاتهم الشاذة ، وتطرح بالسجن المسؤولين عن هذا الحادث الفظيع ؟
فبادره دي تريفيل :

— جئت يا مولاي اطلب مكافأة جديدة لفرسان جلالتك ، لانهم قاموا بواجب يستحقون الشكر والثناء عليه .
واجابه الملك ساخرآ :

— وهل تريد ان تقول ان فرسانك اتوس وبورتوس واراميس مع رفيقهم الغاسقوني كانوا ضحية اعتداء جديد من قبل المسكين «برناجو» ؟ انك ان تحاول اقناعي بانهم لم يحاصروا قصر الدوق دي ترمويل ويحاولوا احراقه ! . . رغم انه لم يتعرض لمثل هذه المحاولة ايام الحرب الاخيرة . . . عندما كان قصره مركزاً رئيسياً لجماعة « الهوكنوت » .

فبان الاستياء على وجه دي تريفيل وقال :
— ومن الذي تبرع بابلاغك هذه المعلومات الخاطئة يا مولاي ؟
اجابه الملك بضيق :

— او لم تدرك من هو الذي يادر الى ابلاغي هذه المعلومات .
انه هو الذي يلاحقني بطلباته واحتجاجاته التي لا نهاية لها . . .
اجابه دي تريفيل :

— انا لا ارى يا مولاي ان فوق سلطتك ، الا سلطة الله عز

وجل .

- اريد ان اقول ان الذي نقل لي تفاصيل الحادث الاخير هو
نيافة الكردينال بنفسه .

- ان نيافته يا مولاي لا يتمتع بالحصانة والعصمة التي يتمتع
بها قداسة البابا . . ولا اريد ان اقول اكثر من ذلك .

- وماذا تعني بقولك هذا يا دي تريفييل ؟

- اعني ان قداسة البابا وحده وهو الذي يتمتع بالعصمة ،
وان هذه العصمة لا تشمل الكرادلة امثال الكردينال ريشليو ،
وهل تريد ان تقول ان نيافته يحاول خداعي . . . وخيائتي ،
اذن انت قتله ؟!

كلا يا مولاي ، فانا اعني ان نيافته يخدع نفسه ويضلها ،
وازيد ان نيافته قد تسرع في توجيه الاتهام الى فرسان جلالته ،
قبل ان يطلع بنفسه على تفاصيل الحادث .
- ان الاتهام موجه من قبل الدوق دي ترمويل . . فماذا
تقول فيه ؟

- اعتقد ان دي ترمويل رجل نبيل وصادق ، وان شرفه
يمنعه من ان يشوه الحقائق ، ولهذا فانا اصر على دعوتـه شخصياً
للقوف منه على تفاصيل الحادث والمسؤول عنه .

فرحب الملك بهذا الاقتراح وامر رئيس حجابـه باستدعاء الدوق
دي ترمويل لمقابلة جلالته لامر هام .
ثم التفت الى دي تريفييل وخاطبه :
- والآن يمكنك الانصراف ، وموعدا غداً صباحاً .

وعاد دي تريفيل مع رجاله الاربعة الى قصره ، مضطرب
البال ، وبات ليلته يتقلب في فراشه على احمر من الجمر ، بانتظار
بزوغ فجر اليوم التالي ، لمعرفة ما سيسفر عنه الصراع العنيف بينه
وبين الكردينال .

وما ان طلع فجر اليوم التالي ، حتى اسرع دي تريفيل الى
قصر اللوفر مع فرسانه الاربعة . آتوس وبوتوس وارانيس
ودارنزيان ، وعندما دخل الى الردهة المجاورة لحجرة الملك ،
صادف رئيس الحجاب الذي عهد اليه الملك باستدعاء الدوق دي
ترومبل ، فابله ان الدوق قد سبقه منذ دقائق الى مقابلة جلالته .
فبدا الارتياح على وجه دي تريفيل ، وجلس ينتظر دوره .
وبعد فترة انتظار لم تدم سوى دقائق قليلة ، خرج الدوق
من قاعة الملك ، وما ان لمح دي تريفيل حتى اقترب منه وباده
بقوله :

— لقد استدعاني جلالة الملك يستوضحني عن الحادث الذي
جرى بقرب قصري ، وقد رويت لجلالته التفاصيل كما جرت ،
وصارحت بجلالته بان رجال الكردينال كانوا البادئين بالتعحرش .
فشاع السرور الارتياح على محيا القائد دي تريفيل وقال :
— لقد كنت واثقا من نبلك وشهامتك يا سيدي الدوق ،
ولهذا رجوت من بجلالته ان يستفسر منك عن الحادث ، فشكراً
لك يا سيدي الدوق ، واحمد الله انه ما يزال في فرنسا رجال
يتحلون بالنبل والكرامة ، واسمح لي ان اتشرف واعتبر نفسي
صديقاً لك منذ الساعة ...

ويبدو ان الملك لويس الثالث عشر ، كان يصغي الى الحوار الذي يدور بين الدوق وقائد حرسه ، فاقتوب من باب غرفته ووجه كلامه الى دي تريفيل قائلاً :

— اهنتك واغبطك يا عزيزي دي تريفيل على هذه الصداقة الجديدة ، وارجو ان تبلغ الدوق اني انا ايضاً اعتبر نفسي من اصدقائه ، مع انه انقطع عن زيارتنا منذ ثلاثة سنين ، بلا مبرر . قل له هذا عن لساني ، لان مثل هذه الامور لا يمكن للملك ان يقولها بنفسه .

فبان التأثير على وجه الدوق وقال :

— شكراً والى شكر يا مولاي على هذا الشرف العظيم الذي اولبتي اياه ... وثق يا مولاي باني سأظل من اخلص رعاياك واكثرهم اندفاعاً في الدفاع عن عرشك ...

— حسناً .. اذن فانت سمعت يا دوق ما قلت لقائدي دي تريفيل . . وتأكد اني اعني ما اقله يا عزيزي دي ترمويل . وكان الملك قد تقدم بضع خطوات ، حتى اصبح في وسط الردهة ، في اللحظة التي انحنى الدوق فيها حتى كادت جبهته تلامس الارض مكرراً شكره وولائه لجلالته غادر الردهة .

وفرك الملك يديه دلالة الانشراح ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة . ثم التفت الى دي تريفيل يسأله :

— اين فرسانك الاربعة البواسل ؟

— انهم في ساحة القصر يا مولاي ، ينتظرون اوامر جلالتك .

— اسرع باحضارهم الى هنا . !

وفي لحظات معدودات كان الفرسان الاربعة يقفون في حضرة الملك لويس الثالث عشر ، وبعد ان تفقد جلالته فرسان فرقته الثلاثة اتوس وبورتوس وارانيس ، التفت الى دي تريفل وقال :
-- اين الشاب الغسقوني ؟

وكان دارتنيان في تلك اللحظة منزوياً في طرف الردهة ، يراقب عن كثب ما يجري ويصغى الى اقوال الملك وامارات الغبطة تملو وجهه ، ولما سمع عبارة الملك الاخيرة ، خطا الى الامام ، وانحنى لجلالته باحترام كلي ، ثم راح يروي تفاصيل المباراة مع رجال الكردينال بلهجة غسقونية ساحرة ، استهوت الملك ، واساعت الانشراح في نفسه فهتف قائلاً :

-- مرحى ايها الابطال ، اظنكم مرتاحين الى نتيجة مغامرتكم الاولى والثانية ، مسكين الكردينال اني ارثي حاله ، فقد اصيب سبعة من خيرة رجاله خلال يومين .

ثم التفت لجلالته الى دي تريفل وخاطبه :

-- ارى ان تليق هذا البطل الغاسقوني بفرقة السيد دي ايسار ، زوج شقيقتك ، على ان تضمه في المستقبل الى فرقة الحرس . ووصيتي الاخيرة لكم ايها الفرسان بأن لا تفرقوا عن بعضكم ، وتظلوا متضامنين .

فاحنى الرجال الاربعة رؤوسهم وهتفوا بحياة جلالته في صوت واحد .

وقبل ان يستأذنوا بالانصراف منحهم الملك اربعين ديناراً ذهبياً مكافأة لهم على بسالتهم .

٧

عندما يلهو فرسان الملك



عندما أصبح الفرسان الاربعة خارج قصر اللوفر ، استشار دارتنيان رفاقه في الطريقة التي ينقق فيها نصيبه من منحة الملك وقدرها عشرة دنانير ذهبية ، فاشار عليه آتوس ان يستأجر بجزء من المنحة ، خادما نشيطا يدبر شؤونه ويسهر على راحته ، اما اراميس فقد اشار عليه ان يتخذ عشيقة شقراء يستمتع بجهاها في لياليه ... واقترح بورتوس حلاً عملياً قابلاً للتنفيذ حالاً ، وهو دعوتهم على حساب دارتنيان الى غداء فاخر في حانة « غابة الصنوبر » فرحب دارتنيان بهذا الاقتراح ، وبادر الى دعوة رفاقه الثلاثة الى الحانة وهناك طلب لهم غداء فاخراً وخبزاً معققة. وفي اثناء المأدبة قدم بورتوس لصديقه دارتنيان خادماً يدعى « بلانشيه » ونصحه بان يتخذه تابعاً له ، فهو قنوع ومخلص فقبله دارتنيان . واحس هذا الخادم الساذج بالغرض الشديد ، عندما رأى

سيده الجديد دارتنيان يخرج من جيبه حفنة من الدنانير الذهبية ليدفع ثمن الغداء ، وبات على اليقين ان الحظ قد حاله وضمن لنفسه مستقبلا باهرا في خدمة دارتنيان . الا أنه اصيب بخيبة أمل ، عندما وصل إلى شقة سيده ووجدها مؤلفة من حجرة نوم واسعة وسرير واحد وإلى جانبها غرفة صغيرة خالية من الاثاث اضطر ان يتخذها مكانا لنومه .

وكان لآرتوس خادم يدعي « غريمو » اشتهر بأنه شديد الكتمان لا يمكن ان تنتزع منه اي سر عن سيده .

وما دام الحديث عن آرتوس ، فالمعروف عنه ، انه منذ خمس سنين ، وهو يعيش حياة مليئة بالغموض والاسرار ، حتى ان صديقيه المقربين بورتوس وارانيس ، لم يستطيعا ازالة الستار عن جزء من حياته الخاصة . فكان دائم العبوس ، لا يفترغره عن ابتسامة مريحة ، يتحدث بعبارات كثيرة ومعبرة ، وكان معروفا بين زملائه فرسان الملك ، بأنه يقول ما يريد به عبارات مختصرة بعيدة عن التحقيق والتزييق . وكان خادمه « غريمو » يحترمه ويعليه طاعة عمياء وينفذ اوامره بحذافيرها .

اما خادم بورتوس فكان يدعي « بونيفاس » الا ان هذا الاسم لم يعجب بورتوس فأسماه « موسكينون » ، وكان من أصل نوره اندي ولما التحق بخدمة سيده ، اشترط على بورتوس ان يؤمن له الطعام واللباس وقبل بورتوس بهذه الشروط. فكان يحول ثيابه القديمة الى خادمه الذي يسلّمها بدوره الى خياط سيده فيمنع منها ملابس لا تة موسكينون الذي يرتديها ويفخر بها

بأبي الخدم من أقرانه .

وفي كل مرة كان يمر بورتوس تحت شرفة غرفته الواقعة في شارع المحطة القديمة ، كان يرى خادمه موسكينون واقفاً في الشرفة يَحْتَال في ثوبه الجميل ، فيرفع بورتوس رأسه مباهياً ويشير بيده الى فوق قائلاً لرفاقه :

... هو ذا مسكيني ... وهذا خادمي المطيع !

ولكنه لم يكن يدعو احداً من رفاقه الفرسان الى زيارة مسكنه ، باستثناء أتوس وأراميس ، لذلك كان الجميع يجهلون وضع بورتوس وظروفه الخاصة ، ويعتقدون انه يملك ثروة ضخمة ويتمتع بحياة سعيدة !

أما خادم أراميس فكان يدعى « بازان » وهو في العقد الرابع من عمره ، هادئ الطبع ، كئوم للسحر ، أمين ومخلص اخلاصاً لا تنال منه الحن . ولما كان سيده قد انضم في الماضي ، الى سلك الكهنوت ، فقد غلبت عليه طبيعة رجال الدين الاتقياء فكان يرتدي دائماً ملابس سوداء ، ويحرص على مطالعة كتب اللاهوت في اوقات فراغه ، وفيما عدا ذلك كان لا يتدخل بشؤون سيده .

وعندما أصبح دارتنيان يؤلف جزءاً من مجموعة الفرسان ، فقد حاول ان يتعرف على أوضاع رفاقه الاجتماعية ومشاكلهم العاطفية ولكن لم يحصل على شيء ذي بال ، وكل ما علمه ان أتوس ينتمي الى طبقة الاشراف وانه اصيب بصدمة اليمة في حياته العاطفية ، فان هناك مأساة رهيبة حدثت له في الماضي ، سميت حياته .

ولهذا لم يكن يتحدث عن النساء قطعاً . وكان يقطن مع خادمه غريمو
في شارع « فيرو » القريب من حدائق اللوكسمبورغ ، في
شقة مؤلفة من غرفتين مفروشتين باثا بسيط ، في نزل تملكه
سيدة في العقد الثالث من عمرها ، ما تزال تحتفظ بمسحة من الجلال
والفتنة ، وطالما حاولت التحرش باتوس وجعله يميل اليها . . الا
ان محاولاتها باءت بالفشل ، اذ كان اتوس كعادته ، يتجاهلها
ويعاملها بشيء من الاحترام المقرون بالبرود .

وكان يحتفظ في حجرة نوميه ببعض الادوات والاسلحة الاثرية
الشمينة ومن بينها سيف ثمين يعود تاريخه الى عهد الملك فرنسوا الاول ،
وقد قدر ثمنه بمئتي دينار ذهباً . ومع ان آتوس قد مر بضيق مالي ،
الا انه لم يفكر ابداً ببيع هذا السيف الثمين . وذات مرة كان بورنوس
على موعد مع عشيقته الحسناء « الدوقة » فتوسل الى آتوس ان
يميره السيف الاثري ليعمله في زيارته فابدى آتوس اسفه الشديد
وبادر الى تقديم جميع ما يملك من تحف نادرة الى بورنوس قائلاً :
— خذ جميع ما املك . . اما السيف فلن انزعه من مكانه
المعلق فيه ، الا عندما افارق هذا المنزل !

وكان اتوس قد علق الى جانب السيف الاثري ، صورة
زيتية من عهد هنري الثالث تمثل سيداً من نبلاء فرنسا في ذلك
العهد ، والناظر الى ملامح هذا السيد يلاحظ دون عناء وجود
شبه ظاهر بينه وبين آتوس . . مما يستدل انه احد احفاده
البارزين .

وكانت شقة بورنوس تقع في شارع « فيو كولومبيه » ومؤلفة

من غرفتين واسعتين وشرقة .
 اما اراميس فكان يقطن مع خادمه بازان في شقة متواضعة
 مؤلفة من حجرة نوم وغرفة صغيرة للطعام تقع في الطابق الارضي
 من احدى البنايات .

والشيء الراهن ان الفرسان الثلاثة رغم صداقتهم المتينة
 واختلاصهم لبعضهم البعض ، كان كل واحد منهم يخفي عن صديقه
 بعض الاسرار الخاصة به ، حتى ان اسماءهم الحقيقية لم يصارحوا بها
 بعضهم البعض ، فقد عرفوا باسمائهم المستعارة : آتوس . بورتوس
 و اراميس كما اشتهروا بها بين فرقة فرسان الملك .

وتوطدت الصداقة المتينة واخوة السلاح بين الفرسان الثلاثة
 ودارتنيان ، وسارت الامور بينهم على ما يرام رداً من الزمن .
 فكان دارتنيان بوصفه فاعلاً في فرقة القائد « دي زيسار »
 يرافق اصدقاءه الثلاثة كل صباح ليحصل على كلمة السر من القائد
 دي تريفيل .

وكسب دارتنيان محبة وتقدير جميع رفاقه الحرس ، لدماثة
 اخلاقه وتواضعه ، كما ازداد اعجاب دي تريفيل بمواطنه الغامضوني ،
 فكان لا يفتأ يذكره لدى الملك ويوصي به خيراً .

ومنذ الساعة التي انضم بها دارتنيان الى فرقة « دي زيسار » ابدى
 الفرسان الثلاثة رغبتهم في الالتحاق بذات الفرقة ليكونوا الى
 جانب صديقهم ورفيقهم .

٨

مؤامرات البلاط



ومرت الايام تسلو الايام والفرسان الاربعة ينعمون بالعيش
الرضي والحبوبية ، دون ان يفكروا بالعسر الذي ينتظروهم عندما
تفرغ جيوبهم من الدنانير الذهبية التي نالوها مكافأة من الملك .
وجاء هذا اليوم ، والفوا انفسهم خالي الوفاض لا يملكون
درهماً ، وراحوا يتسكعون في الحانات باحثين عن صديق موثر
يضيفهم على غداء او عشاء دسم وزجاجة من الخمر المعتقة .
واستمرت ايام الضيق وطالت والرفاق الاربعة ينتظرون ساعة
الفرج !

وذات يوم فوجيء دارتليان بزيارة رجل يدعى « بوناسيو »
وقدم نفسه بوصفه صاحب المنزل الذي يسكنه الشاب ، واخبره
بان امراته الحسنة والتي تعمل وصيفة للملكة ، وهي على جانب
عظيم من الجمال والذكاء ، قد اختطفت ليلة امس ، بينما كانت

عائدة الى المنزل ، وقال انه يشك بان خاطفي زوجته هم اشخاص يعملون لمصلحة رجل ذي نفوذ كبير ، وان هذا الرجل النافذ راح يتعقب خطواتها منذ اشهر .. وانه اوغز لرجاله باختطافها ليجبرها على افشاء اسرار خطيرة لها علاقة بالملكة .

وانهى يوناسيو حديثه الى دارتنيان : ان زوجته شديدة الاخلاص له ، وقد اسرت اليه قبل اختفائها بيومين ، بانها مضطرة للبقاء الى جانب الملكة معظم ايام الاسبوع ، لان مولاتها في حالة قلق نفسي انتابها منذ ايام .

ولما انتهى الرجل من حديثه سأله دارتنيان :

- وما سبب المخاوف التي تثتاب الملكة ؟

اجابه الرجل :

- سببها ان الكردينال ورجاله قد زوروا عن لسان الملكة رسالة بعثوا بها الى الدوق دي بوكنفهام ، ليحضر الى باريس ، بقصد ايقاعه بمكيدة ينصبها له الكردينال للتشهير بالملكة واخضاعها لاوامره .

وسأله دارتنيان متعجباً :

- وما دخل زوجتك بهذه المكيدة ؟

- انهم يعرفون اخلاص زوجتي للملكة ، ولهذا فهم يحاولون ابعادها عن مولاتها ، واجبارها على افشاء سر الملكة ، واغرائها بالعمل لمصلحة الكردينال .

- وهل تعرف الرجل الذي تعقب زوجتك ؟

- لقد وقع نظري عليه مرة واحدة ، وكان ذلك قبل اختفاء

امراتي بايام معدودة ، وكان يرتدي زي النبلاء . وامسهب
بوناسيو في وصف الرجل ، بما حمل دارتنيان على الجزم ، بات
هذا الوصف ينطبق تمام الانطباق على الرجل المجهول الذي تصدى
له في نزل « مينغ » وسرق منه رسالة والده .

وقبل ان ينصرف بوناسيو ، اخرج من جيبه رسالة قال انه
استلمها صباح اليوم ، فتناوها دارتنيان وفضها وقرأ فيها العبارة
التالية :

— لا تحاول البحث عن امرأتك ، لانها ستعود اليك قريباً .
واذا حاولت ان تقوم بأي مجهود للبحث عنها ، فتأكد انك تحكم
عليها وعلبك بالموت . . .

فرفع دارتنيان رأسه وخاطب الرجل :

— انهم يهددونك بالموت انت وزوجتك !

— اجل وان هذا التهديد يرعبني ، فأنا كما ترى لست من
رجال السيف وسجن الباسمئيل يخيفني !

فربت دارتنيان على كتفه محاولاً تهدئة روعه وادخل
الطمانينة الى نفسه ، بينما استطرد الرجل يقول :

— انني يا سيدي الفارس ، اعرف ان لك صداقات متينة مع
عدد من فرسان الملك وقائدهم دي تريفيل . . . وهم اعداء
الكردينال . ولهذا جئت راجياً منك ان تمد لي يد المساعدة
لاناقاذ زوجتي المسكينة .

فاجابه دارتنيان :

— ثق يا سيدي بوناسيو بانني سأبذل جهدي لمساعدتك . . .

وبالمناسبة لقد استحق علي بدل الجوار الشقة ولم يتمكن من تسديدها لك ..

فقاطعه صاحب النزل بقوله :

- لاشك ان نفقاتك يا سيدي الفارس عديدة ، فلا ترجع نفسك بهذا الامر ... وانني اضع تحت تصرفك مبلغ ٥٠ ديناراً لكي تنفق منها على نفسك .

فشكره دارتليان من صميم قلبه ، واكد له بأنه سيعمل على انقاذ زوجته بمساعدة رفاقه الفرسان الثلاثة آتوس وبورتوس وارانيس ، وهم من خيرة فرسان الملك .

وفي هذه الاثناء حانت من بوناسيو التفاتة الى الشارع القريب من خلال النافذة فصاح مدعوراً :

- يا الهي ماذا ارى ! انه هو !!

فسأله دارتليان بلهفة :

- ومن هو هذا الذي تعنيه ؟

فاشار الرجل باصبعه قائلاً :

- انظر انه يقف في زاوية من الشارع المقابل لهذه النافذة ..

انه يرتدي معطفاً طويلاً ..

فاقترب دارتليان من النافذة ، ونظر من خلالها الى المكان الذي اشار اليه بوناسيو ، وفجأة انتفض في موقفه ، وفي لمح البصر التقط سيفه واسرع يغادر الحجرة بسرعة خاطفة وهو يردد بلهجة حائقة :

- أما هذه المرة فلن ينجو من سيفي !

وبينما كان يهبط الدرج بسرعة فائقة اصطدم برفاقه الفرسان

الثلاثة : آتوس وبورتوس و اراميس ، فسألوه عن هدفه ، فبادروهم
بقوله :

— انه الرجل المجهول الذي سرق رسالة ابي والذي التقيت به
في بلدة « مينغ » .

وكان دارتنيان قد قص على رفاقه مغامراته في تلك البلدة
عشرات المرات واعلن في كل مرة رغبته بان يلتقي بذلك الرجل
الذي غدر به .

نطق بعبارة هذه واندفع مهرولاً نحو الشارع تاركاً رفاقه
الثلاثة يقفون مذهولين من تصرفاته ...

دارتنيان يرسم الخطاط !



وكما توقع رفاقه اتوس وبورتوس وارااميس فقد عاد دارتنيان بعد مضي نصف ساعة الى حجراته وهو يلهث من شدة التعب ، والعرق يتصبب من جبينه ، بينما راج يكييل الشتائم والسباب لذلك الرجل المجهول ، الذي اختفى وكأن الارض انشقت وابتلعتة !

وصاح به رفيقه اتوس قائلاً :

— اولم تتمكن من الظفر به ؟

فأجابه دارتنيان وهو يقذف بسيفه على سريره :

— بتُعتقد ان هذا الرجل اللعين ، هو الشيطان بعينه ،

فلقد تبخر من امامي وكأنه شبح ، فما ان لحته يستند الى باب منزل مجاور ، حتى اسرعت اليه ، الا انني لم اجد احداً . . . وظننت انه دخل ذلك المنزل ، فرحت اقارع بابه بشدة ، فقييل

لي ان المنزل غير مأهول بالسكان منذ ستة اشهر !
ونادى دارتنيان خادمه بلانشيه وامره بان يذهب الى صاحب
المنزل السيد بوناسيو ، ويطلب منه احضار ست زجاجات من نبيذ
« بوجاسي » .. ولما سمع حديثة بورتوس هتف به قائلاً :
اذن فانت لك حساب مفتوح مع صاحب المنزل ؟ انني
اهنئك على هذه الثقة يا صاح !
فأجابه دارتنيان بخبت :
- ابتداء من اليوم فقط ..
ثم راح يروي لرفاقه الثلاثة ما سمعه من صاحب المنزل بوناسيو
وكيف اختطفت امرأته ، لكونها وصيفة للملكة ، وقال ان
الزوج يتهم اعداء الملكة ، اي الكردينال ريشليو واتباعه في
تدبير اختطاف زوجته .
فأجابه آتوس ، وكان قد تذوق النبيذ الجيد الذي ارسله
صاحب المنزل :
ان هذه القضية خطيرة وممتعة بالوقت نفسه ، وكل ما فيها
انها ولا شك ، مستودنا الى مغامرة جديدة مع رجال الكردينال
« الاشواس » دفاهاً عن الملكة .
فقاطعه بورتوس قائلاً :
- وعن شخص آخر له صلة وثيقة بالملكة ..
اجابه آتوس :
- تريد ان تقول الدوق دي بوكنفهام عشيق الملكة ، حقاً
انه جدير بان يستولي على قلب الملكة ، فهو شاب جميل ، يتجلى

بجميع الصفات الطيبة ، الا تذكر يوم نثر علينا الذهب في زيارته
الاخيرة !؟

فعلق دارتيان على ذلك بقوله :

— اصبحت مشوقاً الى رؤية هذا الدوق الانكليزي النبيل ،
حتى ولو كان عشيقاً للملكة !.. خاصة وان الكردينال ورجاله
يحاربونه ، كما ارجو من صميم قوايدي ان نسمح لنا الفرص ان نركب
الكردينال ومؤمراته ضد الملكة الى نحره .

فقال آنوس :

— والذي اخشاه ان يكون الدوق بوكتنهام قد جازت
عليه الحيلة ، واسرع بالقدوم الى باريس ، بناء لرسالة مزرورة ارسالت
اليه باسم الملكة .

فضرب دارتيان على جبهته وصاح :

— يا آلهي ! بت اجزم ان لاختطاف زوجة بوناسيو وهي
وصيفة الملكة ، علاقة مباشرة في قدوم الدوق بوكتنهام الى
باريس .

فعلق بورتوس على ذلك بقوله :

— حقاً ان الغاسقونيين يمتازون بذلكاء حارق بالاضافة الى
بسالتهم !

وهنا هتف اراميس برفاقه قائلاً :

— اممهموا لقد وقعت لي مصادفة غريبة ليلة امس ، قد يكون
لها علاقة وثيقة بموضوعنا .. كنت ليلة امس في زيارة خاصة لاشد
العلماء المشتغلين بالتنجيم وعوالم الفلك ، وهو يقطن ضاحية مقفرة ..

وبينما كنت اغادر منزله ، التقيت بفتاة رائعة الجمال ، هي حفيدة ذلك الرجل ، وكانت تهم بمغادرة المنزل ، فحيتها وقدمت لها ذراعي لارافقها حتى عربتها الواقفة على مقربة من المنزل ، وفجأة برز لنا رجل طويل القامة تدل ملامحه على انه من النبلاء ، وشبيه بالرجل المجهول الذي الذي يلاحقه دارتنيان ..

فقاطعه دارتنيان بقوله :

... لا شك انه هو بلحمه وشحمه !

وتابع اراميس حديثه :

... واقترب الرجل مني ، يتبعه خمسة رجال ، يسرون على بعد خطوات منه ، وفي لهجة مهذبة خاطبني بقوله :

... هل تسمح يا سيدي الدوق اثم التفت الى الحساء التي تتأبط ذراعي وخاطبها بقوله :

... وانت يا سيدي ... تفضلي الى عربي فهي بانتظارك !
وبدون ضجة او اية مقاومة ، انجبت الفتاة نحو العربية ...

فقاطعه دارتنيان بقوله :

... اعتقد انه حسبك الدوق بكونهم كما حسب الفتاة الملكة
اجابه اراميس :

... ان هذا محتمل جداً .

وعلق بورتوس على هذا الافتراض بقوله :

... الواقع ان هناك بعض الشبه بين الدوق و اراميس ، ولكن كيف جازت الحيلة عليه ، مع ان اراميس كان يرتدي زي
فرسان الملك ؟!

فاجابه اراميس :

- لقد كنت أرتدي معطفاً طويلاً يخفي زي الفرسان ، كما كنت اضع على رأسي قبة عريضة الاطراف اخفت معالم وجهي .
وهنا هتف دارتنيان برفاقه :

- ايها الرفاق ، يجب ان لا نضيع وقتنا سدى ، فعلينا ان نحزم امرنا ونبادر الى البحث عن وصيفة الملكة - زوجة بوناسيو - فهي مفتاح المؤامرة ، لأنها المقربة من الملكة وموضع ثقتها وسرها واعتقد ان وراء هذه المؤامرة رؤوساً كبيرة وفي مقدمتها الكردينال ريشيليو !

وفي هذه اللحظة تراءى الى مسامع الفرسان الاربعة ضجة وصراخ صادرين من الطابق الاسفل ، حيث يسكن بوناسيو ، وبعد لحظات معدودة ، فتح الباب واندفع بوناسيو وهو في حالة ذعر ، يصيح :

- انقذوني .. النجدة ايها السادة ، لقد حضر اربعة رجال مسلحين يحاولون القاء القبض عليّ ..

فانصب الفرسان واقفين ، وقد وضعوا ايديهم بحركة آلية على مقابض سيوفهم استعداداً ، بينما صاح بهم دارتنيان قائلاً :
- لا تنسوا ايها الرفاق ان هذا الموقف لا يتطلب شجاعة ، بقدر ما يتطلب دهاء وروية ..

فابدى آتوس اعتراضاً على قول دارتنيان ، الا انه اقتنع اخيراً بوجهة نظره .

وفي تلك اللحظة كان رجال الحرس الاربعة قد وصلوا الى

الطابق العلوي ، ليذهبوا بصاحب ، يونسو ، فوقع نظرهم على
اربعة فرسان على تمام الالهة ، فبان عليهم التردد ، وحاولوا
النكوص على اعقابهم ، الا ان دارتنيان بادرهم بلهجة رفيقة قائلاً:
- ادخلوا ايها السادة ، فذهبن جميعنا في خدمة جلالة الملك
ونياقة الكردينال .

وتشجع قائدهم وتقدم الى الامام يخاطب دارتنيان بقوله :
... اذن فانتم لا تعترضوا على تنفيذ الاوامر التي نعملها ؟
فاجابه دارتنيان :

- بالعكس ، فذهبن نضع سيوفنا لمساعدتك في تنفيذ الاوامر
التي تحملونها .

وحاول صاحب المنزل يونسو ، ان يستدر عطف الفرسان
وحماستهم لحمايته وعدم تسليمه الى حرس الكردينال ، فهمس
بأذنه بورتوس قائلاً :

- لا تقلق يا صاح ، فلا يمكن انقاذك وانقاذ زوجتك ، الا
بانتهاج هذه الحطة ، ودع لنا الامر .
وهنا اشار دارتنيان الى الحرس : بعد ان افسح لهم المجال
قائلاً :

- هلموا ايها السادة ، ونفذوا الاوامر ، وشكراً لكم على انكم
انقذتوني من هذا الرجل الذي جاء يطالبني بايجار الشقة التي اسكنها
ويلج في المطالبة ..

وتقدم اثنان من الحرس واخرجوا يونسو خارج الغرفة ، بينما
تظاهر الفرسان الاربعة بعدم الاكتراث ، وبعد ان شكر رئيس

الحرس دارتنيان ورفاقه لحق برجاله وهو غير مصدق انه نجى
بنفسه مع رجاله .

وما ان اصبح الفرسان الاربعة لوحدهم ، حتى انبرى اتوس
يقول :

— تباً لنا من فرسان شرفاء ، لا ننجدر جالاً مسكيناً ، اسرع
الى الاجتماع بنا !

فقاطعه بورتوس بقوله :

— لا تكن غيبياً يا صاح ، لقد احسن دارتنيان صنعا ، اذ ليس
من الحكمة ان نحول دون تنفيذه اوامر جاء ينفذها حرس
الكردينال .

وبعد مناقشة حامية حول هذه القضية ، اعان اتوس افتنائه
بما حدث ... بينما اقترح دارتنيان على رفاقه بان يعود كل منهم
الى منزله حالا ، وكان شيئاً لم يحدث ، استعداداً لما سيقع في
المستقبل من مفاجآت وحوادث ؟

١٠

•

لم يكتف رئيس حرس الكردينال باعتقال صاحب المنزل
 بوناسيو ، بل اتخذ احتياطات مشددة ، فترك بعض رجاله في الطابق
 الارضي الذي يقطنه بوناسيو ، واوعز اليهم بان يتحروا كل قادم
 للمنزل ، واستجوابه بدقة للوقوف على غرضه من الزيارة .
 اما سقة دارتنيان الواقعة في الطابق العلوي فكان لها مدخل
 خاص يؤدي الى حجراته مباشرة ، وكان القادمون اليه لا يتعرضون
 لاية مراقبة أو استجواب من قبل رجال الكردينال المرابطين في
 الطابق الارضي من المنزل . وعلى اثر الحادثة ، لزم دارتنيان
 حجراته ، بعد ان اتخذ منها مركزاً لمراقبة ما يجري في الطابق
 الارضي من حوادث وتطورات ، اذ كانت يرى من النافذة
 الاشخاص الذين يقودهم سوء الطالع الى الوقوع في براثن حرس
 الكردينال ، الذين كانوا لا يدعونهم الا بعد ان يمتطرونهم بالاسئلة

المخرجة عن الغاية من الزيارة .
وكان دارتنيان ايضاً قد انتزع بعض المربعات من ارض
حجرته ، وبات باستطاعته ان يسمع بسهولة ما يدور من احاديث
بين رجال الكاردينال والقادسين .
وفي هذه الاثناء كان رفاقه الثلاثة يسمعون كل من جهته للوقوف
على تطورات القضية .

وفي مساء اليوم التالي من الفاء القبض على بوناسيو ، تراسى الى
سمع دارتنيان حركة غير طبيعية صادرة عن الطابق الارضى ، ثم
أعقبها صوت خافت وكأنه صوت امرأة ، فاسرع الى الانبطاح على
ارض الغرفة ، يرهف السمع ، فاذا به يسمع صراخ امرأة تستغيث
وتقول بصوت تخنق :

... اؤكد لكم ايها السادة ، اني ربة هذا البيت ، زوجة السيد
بوناسيو ، وانني وصيفة الملكة ...
فازداد اهتمام دارتنيان بالحوار الذي يجري بين المرأة وحرس
الكاردينال . وخاطب نفسه قائلاً :

- انها زوجة بوناسيو التي نبحث عنها في كل مكان !
وهنا سمع دارتنيان صوتاً خشناً يجيبها بقوله :
... اذن فانت السيدة التي ما برحنا ننتظر عودتها ...
وبدا صوت السيدة بوناسيو يخفت شيئاً فشيئاً ، ثم تلاشى ، بما
يدل على ان الرجال الاربعة كمنوا فاها ليمنعوا من الصراخ .
وهنا انتصب الفارس دارتنيان على قدميه ، ونادى : مه بلانشيه
وامره بان يسرع الى منازل رفاقه الثلاثة آتوس ، رتوس ،

واراميس ، يطلب اليهم الحضور على جناح السرعة ، او يستدعي على الاقل من يجده منهم في منزله ، اما هو فقد تمنطق بسيفه ، ووثب فوراً من النافذة الى شرفة الطابق الارضي ، وراح يقرع الباب بعنف ، وما ان فتح الباب حتى اقتحمه شاهراً سيفه .

وفي هذه اللحظة سمعت صرخات عالية وصاويل السيوف وجلبة وبعد دقائق كان اربعة من ذوي الملابس السوداء من حرس الكردينال يفرون هاربين مذعورين ، بعد ان خلفوا وراءهم امعتهم . . . وهكذا اصبح دارتنيان وحيداً مع السيدة بوناسيو فتقدم منها يحل وثاقها ، وكان قد اغمي عليها من فرط الرعب . وراح يتأملها بدقة ، فألفاها رائعة الجمال ، في الخامسة والعشرين من عمرها ، لها بشرة سمراء وعينان زرقاوان وقوام بديع متناسق وتدل ملاحظها على انها من سيدات المجتمع الراقي . . وبينما كان دارتنيان منصرفاً الى تأمل فتنتها ، استعادت وعيها ، وراحت تتطلع بشيء من الدهشة الى وجه الفارس الشاب المائل امامها ، فقابلها بابتسامة مشبعة وأحنى رأسه تحيياً ، فمدت له يدها تصافحه بجرارة وقد ارتسمت على ثغرها الشهي ابتسامة مغرية جذابة وخاطبته بقولها :

— انت الذي انقذتني من اولئك الاوغاد فاسمح لي ان اشكرك من صميم قلبي .

فأجابها دارتنيان :

— لم افعل يا سيدتي الا ما يفعله كل شاب شهيم ، تجاه سيدة حسناء مثلك . .

فكرت له شكرها و اردفت تقول :
- ولكن اري ان زوجي غير موجود في المنزل ، أين
هو يا ترى ؟!

اجابها دارتنيان :
- ان الذين افتحصوا منزلك هم رجال الكردينال ريشليو ،
ما زوجك المسكين فقد ألقي القبض عليه امس ومضى الى سجن
الباستيل !
فصاحت :

- يا الهي ! أنقول ان زوجي في سجن الباستيل... ل ؟! وماذا
أقترف حتى يستحق هذه العقوبة ؟
اجابها دارتنيان بخبت :

- اعتقد ان جرمته الوحيدة انه زوجك يا سيدتي .
- اذن فانت واقف على تفاصيل الحادث منذ بدايته وتعلم
انني اشتطفت .

- اعلم جميع هذه التفاصيل يا سيدتي . . والسؤال الذي لم اجد
له جواباً بعد ، هو كيف تمكنت من الافلات والعودة الى
منزلك ؟

- لقد انتهرت فرصة تركي وحيدة في المنزل الذي سجنتم فيه
فاسرعت الى النزول عن طريق نافذة الغرفة التي وضعت فيها ،
مستعينة باغطية السرير كوسيلة الوصول الى ارض الحديقة سالمة ،
ومنها اسرعت عائدة الى منزلي لأرى زوجي . .
فقاطعها دارتنيان :

يرتج لها الفارس آتوس ، فخطب رفاقه مداعباً :
 - اعتقد ان مزاج جلالته معكر هذا المساء ، ولن نحظى
 بمقابلة ماهرة ، تتيح لنا الحصول على رتبة « شفاليه » . وكان القائد
 دي تريفيل قد تمهياً لمقابلة جلالته فالتفت الى رجاله وخطبهم
 بقوله :

سادخل وحدي لمقابلة جلالته ، لاهند لكم الطريق ،
 فانتظروني ...

ودخل دي تريفيل الى حجرة الملك ، فالفاه في حالة غير طبيعية
 وكان غارقاً في مقعده يابوح بسوطه بعصبية .

وسأله دي تريفيل عما يقلقه ، فاجابه بامتعاض ظاهر :
 - انني ملك تعس يا دي تريفيل ! .. تصور انني قضيت ساعات
 متواصلة اركض وراء وعل لاصطاده ، فلم يخذمني الحظ ..
 لقد فر مني .. اختفى كأن الارض ابتلعته ! ان هذا لا يطاق ،
 والانكى من ذلك كله ، ان نيافته لا يدعني اتمتع بصيدي ،
 ف..تراه يلاحقني بطلباته واحتياجاته باستمرار ، فتارة يحدثنني
 عن مشا كل فرنسا مع اسبانيا وتارة اخرى عن مشا كلنا مع
 النمسا وانكاترا و ...

رحمت جلالته لحظة ، ثم رفع رأسه يخاطب دي تريفيل :
 - وبالمناسبة ، اصارحك يا تريفيل بانني مستاء منك !
 فاحس تريفيل بهبوب العاصفة واستعد لمجابهة الامر وقال :
 - وهل يمكنني يا مولاي معرفة سبب استياء جلالتك ؟
 واستطرد الملك يقول وكأنه لم يسمع سؤال قائده دي

في قصر اللوفر خلال الايام الثلاثة الماضية ، رفيما اذا كان من خطر
ينتظرني اذا قصدت الى هناك . .
فأجابها دارتنيان :

- انني على تمام الاستعداد لان اتولى الاتصال بالسيد دي
لابورت .

فراحت تتأمله بضع لحظات . ثم قالت :
- انك شاب شهيم ، وسافضي اليك بكلمة السر التي تتيح
لك الدخول من باب خاص الى قصر اللوفر ، وارجو ان تعديني
بان تناسي هذه الكلمة .
اجابها دارتنيان :

- اعدك بشرفي انني لن استعمل كلمة السر الا مرة واحدة .
- اني اثق بك ثقة عمياء لأنت دلائلك تشير الى انك رجل
شهيم .

- انني افعل ذلك حباً في خدمة الملك والملكة المتعسة !
فافتترعها عن ابتسامة حلوة وقالت :
- أين سأنتظر دعوتك ؟

اجابها :

- انا على مقربة من منزل أحد رفاقي الفارس آتوس ، وأرى
أن تنتظري عودتي في منزله .
فقبلت اقتراحه ودخلا منزل الفارس آتوس ، فوجداه غائبا ،
فقاداهما تورا الى حجرة زميله وخاطبها بقوله :
- انك هنا في مكان حريز ، وفي مأمن من كل شر واعتداء ،

فارجو أن تقفلي الباب على نفسك من الداخل ، ولا تفتحي الا اذا سمعت الباب يقرع ثلاث قرعات متواصلة .

فهمزت رأسها موافقة على تعليماته ، والتفتت اليه تقول :-

- والآن جاء دوري لأسر اليك بكلمة السر لتمكن من الدخول الى قصر اللوفر ، عليك أولاً ان تشيخ الى باب القصر السكائن في شارع الشينيل ، وتسأل عن جرين ، وسيقال لك ماذا تريد منها ، فتجيب بهاتين الكلمتين : « تور و بروكسل » ... وحالاً تفسح أمامك الطريق وتدخل ويكون من في الداخل رهن اوامر ك. فاطلم بمقابلة السيد دي لا بورت حالاً ... وهو وصيف الملكة وكاتم اسرارها ... وعند ما تقابله ابلغه انني ارغب في مقابلته ههنا في المنزل ولا تنس أن تذكر له عنوان المنزل بالضبط .

فأحنى دارتيان رأسه احتراماً ، بعد ان ان تزود بنظرة مليئة من جمال تلك الغادة الفاتنة ، وغادر المنزل مسرعاً لينفذ أوامرها بعد ان شعر أنها استولت على شغاف قلبه بجهاها الرائع وفنتها الطاغية .

وحالفاً الحظ ، اذ تمكن من مقابلة السيد دي لا بورت ونقل اليه رغبة السيدة بوناسيو الذي أسرع لمقابلتها في منزل اتوس . بعد ان نصح دارتيان بأن يعود حالاً الى قصر دي تريفيل ، ليعده عنه اية شبهة بالتدخل في أمور خطيرة قد تعود عليه بالوبال . فعمل دارتيان بنصيحة السيد دي لا بورت وبادر لتوه الى قصر دي تريفيل ، فدخله ، وكانت الساعة تعلن العاشرة ، فطلب مقابلة قائد الحرس لامر خطير جداً ، فأسرع دي تريفيل الى

استدعائه الى حجراته الخاصة ، وسأله عن غايته ، فلفق له دارتنيان
حوادث وهمية نسبها من خياله تدور حول المؤامرات التي يقوم بها
الكردينال واتباعه ضد الملك والمملكة والدوق دي بوربونهمام .
دون ان يشير ولو تلميحاً الى الدور الذي لعبه في انقاذ السيدة
يونسبو ، وتسهيل اجتماعها بالسيد دي لابورت .
ولما انتهى من حديثه اثنى القائد دي تريفيل على اهتمامه
واخلاصه للملك والمملكة وطلب اليه ان يتابع تحرياته وسهره
لعرقلة مؤامرات الكردينال ورجاله .
وعاد دارتنيان الى منزله مغتبطاً بنجاح مهمته ...

١١

المكيدة تفشل



عندما آوى دارتنيان الى فراشه ، راح يستعرض الحوادث الخطيرة التي مرت به ، وتمثلت في خياله السيدة بوناسيو بجهاها وفتنتها الطاغية ، وبما تحويه من اسرار غامضة. تتعلق بالبلاط الملكي ...!

وكما كانت العادة المتبعة في ذلك الزمن ، ان يتقبل الفرسان من ملوكهم الهدايا والهبات في كل مناسبة ، كذلك كانت العادة المتبعة ان تقدم العاشقات النبيلات الى عشاقهن من الفرسان الاقربان هدايا ثمينة لا تنسى ...

وتخيل دارتنيان الشاب في خاطره الهدايا الغالية التي ستهال عليه من حبيبته الجديدة ، ونام وهو يحلم بها . وفي مساء اليوم التالي غادر دارتنيان منزله ، بعد ان ارتدى ثيابه على عجل ، وقصد لتوه الى منزل صديقه الفارس اراميس .

وعندما اصبح على مسافة خطوات من المنزل ، في تقاطع شاري
 كاسيت وسرفندوني ، وقع نظره على شبح امرأة ملتفة بمعطف
 طويل يخفي معظم معالم جسدها ، تقترب بحذر وقلق من احدي
 نوافذ المنزل الذي يقطنه صديقه اراميس ، وتقر عليها نقرأ خفياً
 متفكراً عليه ، فتفتح فجأة النافذة ، ويضاء نور سخافت ، ثم تمتد يد
 السيدة المجهولة بمنديل حريري ، يشبه المنديل الذي وجدته
 دارتنيان يقع من جيب اراميس عندما قابله اول مرة . . . كانت
 دارتنيان يراقب بدقة وحذر ما يجري ويتوقع ان يرى صديقه
 اراميس بنفسه يقف في النافذة ، ولكن لشدة دهشته وذهوله ،
 شاهد امرأة اخرى تظهر في النافذة ، وتمتد يدها بمنديل
 آخر تناوله للسيدة المجهولة ، وازدادت دهشة دارتنيان واستغرابه
 عندما مرت السيدة المجهولة من امامه وكانت لا تبعد عنه سوى
 خطوات معدودة ، وعرف فيها زوجة بوناسيو . . . أي فتاة
 احلامه ، فبادر الى الاحاق بها ، ولما شعرت بان شخصاً يتبعها ،
 التفتت مذعورة خلفها ، ولما تعرفت عليه اطلقت صيحة فرح
 قائلة :

— هذا انت يا عزيزي . . . لقد افزعني ! . .

فاجابها دارتنيان :

— أجل هذا انا . . ان العناية الالهية ارسلتني لارعاك وارد
 عنك كل اعتداء . . .

فسأله بشيء من الدلال :

— وهل كنت تتبع خطواتي ؟

اجابها :

- كلا .. ان الصدفة وحدها هي التي وضعتني في طريقك ،
فقد وقع نظري على سيدة مجهولة تقرر نافذة احد اصدقائي ..
فسألته بدهشة :

- أتقول احد اصدقائك ؟

اجابها :

- بلا شك ، ان الفارس اراميس من خيرة اصدقائي .
ثم قدم لها ذراعه واصطحبها الى المنزل الذي تقصده والذي لم
يكن بعيداً عن المكان الذي التقيا به ، وقبل ان يدعها تدخل
سألها :

- اتريدني ان انتظرك ؟

فأجابته :

- لا تجشم نفسك عناء الانتظار .

- وهل يعني ذلك انك ترغبين العودة بمفردك ؟

- قد اعود بمفردتي ، وقد يرافقني شخص ..

- ومن هو هذا الشخص الذي سيرافقك ، هل هو رجل
او امرأة ؟!

- لا يمكنني تحديد ذلك .

- اما انا فساأعرف ذلك .

- وكيف ؟!

- لانني سانتظرك حتى تخرجين من هذا المنزل .

- في هذه الحالة ، اقول لك وداعاً منذ الآن ، ولن نلتقي

بعد اليوم !

- ولماذا ؟

- لانني لست بحاجة اليك !!

- وعجباً ، فخذ لحظات رحبت بمعونتي !

فاجابته بشيء من القهيز :

- كنت انظر اليك كرجل شهيم ، وليس كرجل يتجسس

على شؤون النساء .

فأجابها بلهجة عتب :

- انت قاسية في الحكم علي يا سيدتي !

- لقد اخرجتني فاخرجتني !

- كانت غايتي من الانتظار ان ارد عنك الاخطار التي قد

تصادفك عند خروجك من هذا المنزل .

- ليس هناك من خطر يهددي .

فامسك دارتنيان بيدها وضغط عليها بشدة وهو يتأمل

تقاطع وجهها ملياً وقال :

- ولكن ملاحظتك نبوءة بالعكس تماماً ، اذ أرى دلائل

الاضطراب بادية بوضوح عليك ، فلماذا لا تصارحيني بوضعك

الحقيقي ، وغايتك من زيارة هذا المنزل في مثل هذه الساعة

المتأخرة من الليل ؟ .. واعتقد انك تأكدت مما اخبره من

اخلاص فحورك ...

- انني اقدر ما تقوله ، وانا مستعدة لأن اطلعك على اسراري .

ولكنني أرى نفسي مضطرة ان احتفظ بأسرار اوئمت عليها ..

فقاطعها دارتنيان بقوله :
— ولكن هذه الاسرار قد نثر على بحري حياتك فيجب ان اطلع
عليها ، لا شاطر ك مصيرك ..
فبان الامة عاض على وجهها البديع وقالت :
— ارجو ان لا تتدخل باي امر اقوم به ، ولا تسع لمساعدتي ،
كما انني لن انسى الخدمات الجلى التي قمت بها في الماضي ..
فأجابها :
— اعتقد ان اراميس اجدر مني بالحصول على ثقتك وتقديرك .
— لقد وددت على مسمعي هذا الاسم مراراً ، واؤكد لك
انني لا اعرفه ابداً ..
— عجباً !.. اذن فانت لا تعرفين صاحب المنزل الذي
طرقت بابه ؟!
— اصبحت اعتقد انك نسجت هذه الرواية الخيالي على الافشاء
بالاسرار التي احتفظ بها ..
— انني لا انسج شيئاً من الخيال ، وكل ما ذكرته هو الحقيقة
بعينها .
— وهل تصر على ان احد رفاقك يسكن ذلك المنزل ؟
— اصر على ذلك ، واكرر قولي للمرة الثالثة بان ذلك المنزل
يسكنه صديقي الفارس اراميس .
— لا بد من توضيح هذه الالغاز في المستقبل ، والآن دعنا
من هذا الحديث .
فأجابها دارتنيان بلوعة :

- لو امكنتك يا سيدتي ان تقرأي صفحات قلبي ، لوجدت
انني احفظ لك الحب الخالص ..
فقاطعته بقولها :

- انك تتعجل الحديث عن الحب يا عزيزي !
- لان الحب جاءني فجأة ، ولاول مرة ، وانا لم ابلغ العشرين
من عمري ..

فرمته السيدة بوناسيو بنظرة حائرة بينما اردف يقول :
- اسمعي يا سيدتي ، ان الشكوك التي ساورتني اليوم ، يعود
تاريخها الى ثلاثة اشهر خلت عندما اصطدمت بالفارس اراميس بسبب
منديل من نوع المنديل الذي اخذته المرأة منك في منزل اراميس .
- ومن هو اراميس هذا !?

- دعينا من المغالطات ، اتريدين ان تقولي انك لا تعرفين
اراميس ؟

- اؤكد لك ان هذه اول مرة اسمع بهذا الاسم .
- اذن فهذه اول مرة تترددين فيها على هذا المنزل .
- اجل ...
- وقد لاتعلمي ان هذا المنزل يسكنه فارس من حرس الملك .
- كلا ...

- اذن فانت لم تأتي الى هنا لمقابلة رجل معين ؟
- كلا ... انني جئت لمقابلة سيدة معينة .
- ولكن هذا المنزل يقطنه صديقي الفارس اراميس ، ولا بد
ان تكون السيدة التي قابلتك عشيقته .

- هذا لا يعني ..

- حقاً انك امرأة غامضة ، بالاضافة الى جمالك الرائع وفتنتك

الطاغية ...

فاجابته بلهجة رقيقة :

- دعنا من هذا الحديث الآن ، ففي هذا المنزل من يتوقب

قدومي بفارغ الصبر ، ولديّ فوق ذلك اشياء اخرى غاية في
الاهمية يجب اتمامها .

فرد عليها دارتنيان بلهجة يائسة :

- كدت اتمنى ان لا ألتقي بك !

فأجابته بشيء من الدلال وهي تضغط على يده :

- اما انا فلا اشاطرك هذا الرأي ، لان الشيء الذي تفتقده

اليوم ، قد تناله في المستقبل ، ومن يدري عندما اصبح طليقة فقد
اشبع فضولك .

فشد على يدها وقال :

- وهل تعدينني الوعد نفسه بالنسبة لحبي ؟

- اما من هذه الناحية ، فلا يمكنني ان اعدك بشيء مضمون ،

ان ذلك يتوقف على الشعور الذي يولد في سويداء قلبي .

وهنا رفع دارتنيان يد السيدة بوناسيو الى فمه وراح يشبعها

لثماً وتقبيلا بلهفة وشغف ، ثم ودعها وابتعد مسرعاً ، ليفي بوعده

لها بانه لن يراقب حركاتها ، وعاد الى منزله فوجد خادمه بلانشيه

بانتظاره ليبلغه نبأ اللقاء القبض على رفيقه الفارس آتوس ...

فسأله دارتنيان بقلتي :

- ولماذا القبي القبض عليه ؟

فأجابه بلانشيه :

- لقد وجده رجال الكردينال في منزلك ، فظنوه انت ،
ولم يحاول الاعتراض ، لكي يفسح لك المجال لتدبر امرك .
فهاتف دارتنيان قائلاً :

- ياله من صديق شهم ونبليل ... وابن ذهبوا به يا ترى ؟
فأجابه بلانشيه :

- لقد اقتاده اربعة من حرس الكردينال ، ولا ادري الى
اين ذهبوا به ، واعتقد الى سجن الباسميل ، او الى قلعة
« فورفيك » بينما ظل اثنان من الحرس في المنزل ، وقاما بتفتيشه
بدقة ، ولكنهما لم يعثرا على شيء .
وهنا سأله دارتنيان :

- أولم يحضر بورتوس وراميس ؟
- كلا لم يحضرا .

- اذن فلا بد من حضورهما بين ساعة واخرى ، فعليك ألا
تفارق المنزل ، واذا حضر احدهما ، فابلغه بما جرى بالتفصيل ،
واطلب اليه ان ياتقني الى حانة (غابة الصنوبر) ، لانه ليس
من الحكمة البقاء في هذا المنزل ، فقد يكون مراقباً من قبل
رجال الكردينال . . قل لهما اني ذاهب لمقابلة القائد دي ريفيل
لاعلمه بما جرى ، وستبقى هنا في هذا المنزل ولن نخشى بأساً .
فأجابه بلانشيه :

- لا تقلق يا سيدي ، فلن ابرح هذا المكان مهما كلف الامر .

— شكر آ لك ، واني اعتمد على شجاعتك واخلصك ..
 انها مناسبة ، لابرهن للسيد دارتنيان بانني خادمه لأمين .
 وغادر دارتنيان المنزل متجها نحو شارع كولومبييه ، حيث
 يقع قصر القائد دي تريفيل ، فلم يجد في قصره ، اذ كان على رأس
 فرقة التي كانت تقوم بدورها في حراسة قصر اللوفر .
 فتابع سيوره الحثيث باتجاه قصر اللوفر ، آملاً ان يتسنى
 له الدخول الى القصر ، نظراً لكونه فارساً من فرقة القائد
 دي زيسار ..

وبينما كان يجتاز شارع « دوفين » لمح على مسافة قريبة منه
 شخصين ، تعرف عليهما حالاً ، اذ كان احدهما ، السيدة الحسنة
 زوجة بوناسيو ، اما الشخص الآخر الذي كان يرفقتها ، فهو رجل
 يرتدي زي فرسان الملك ، وكان الاثنان يحاولان جهدهما اخفاء
 معالم وجهيهما عن المارة .

وراقبهما وهما يجتازان الجسر الذي سيصلكه ليصل الى قصر
 اللوفر ، وكان من الطبيعي ان يتبعهما دون ان يشعرا به ، وراح
 يحدق بصورة خاصة بالرجل الذي يرافق السيدة بوناسيو ليستطلع
 معالم وجهه ، وبعد ان تأكد من ان الفارس الذي يرافق السيدة
 هو صديقه اراميس بالذات ، اندفع نحوهما ، وقد احس بنيوان
 الغيرة تأكل صدره ، متناسياً انه لم يصير على علاقة بالسيدة بوناسيو
 سوى ساعات معدودة .

ويبدو ان الاثنين قد شعرا بأن شخصاً يتأثر خطواتهما ،
 فحشا الحطى محاولين الافلات من رقابته .. الا ان دارتنيان اسرع

في سيره وما لبث ان تخطاهما ، ثم دار على عقبه بحيث قطع عليهما الطريق ، ووقف امامهما وجهاً لوجه وهتف قائلاً :

- ألسن الفارس اراميس ؟

فأجابه صوت خشن وبلهجة غريبة :

- كلا ، انك مخطئ . ايها السيد ، ولهذا فانه... في انفاذ عن

وقاحتك وتطفلك . .

فأجابه دارتنيان :

- ولكني . . اريد التحدث الى السيدة بصورة خاصة .

فبانث الدهشة على وجه الفارس الغريب ، وسأل دارتنيان :

- أتعني السيدة ، وهل لك سابق معرفة بها ؟

اجابه دارتنيان بشيء من الزهو :

- أجل . .

فقاطعته السيدة بوناسيو بجدة :

.. يا الهي ! لقد وثقت بوعدك كالفارس شهم ، ويبدو لي انني

كنت مخطئة .

فبان الارتباك والتردد على وجه دارتنيان وقال :

- وانت يا سيدتي وعدتني بأمر ولم . .

وقبل ان يتم عبارته ، سمع صوت الفارس الغريب يخاطب

السيدة بوناسيو بقوله :

- اليك ذراعي يا سيدتي ، وهامي بنا نتابع سيرنا . .

فاستاء دارتنيان من لهجة الرجل . . واضر على ان يعترض

طريقهما مهما كلف الامر ، بما جعل الفارس الغريب يخطو خطوات

الى الوراء ويمتشق حسامه استعداداً للمبارزة ، فحذا دارتنيان
حذوه ، وفي تلك اللحظة بالذات ، صاحبت السيدة بوناسيو بالفارس
المجهول متوسلة ، بعد ان وقفت بين المتبارزين وقالت :

-- بحق السماء يا سيدي اللورد ، لا تقدم على هذه المجازفة .
فردد دارتنيان كلمة اللورد بدهشة ، وقد طرأت على مخيلته
فكرة مفاجئة ، جعلته يعيد حسامه الى غمده ويخاطب الفارس
المجهول :

-- عفوك يا مولاي ، ان الغيرة أعمتني ، فحملتني على ارتكاب
هذه السفاهة بحقك .. اذن فانت ..

فقاطعته السيدة بوناسيو :

-- انه اللورد بوكنهام بالذات ..

فنهت دارتنيان :

-- عفوك يا مولاي ، وعفوك يا سيدي ، وصفحاً عن هذه
الجرأة ... وثق يا مولاي انني اسفك دمي في سبيل ارضائك .
فتأثر اللورد بعاطفة الفارس الصادق وخاطبه وهو يصافحه
بحرارة :

-- انك رجل شهم حقاً ، وانا اقبل مساعدتك بفخر واعتزاز ،
فالحق بنا حتى قصر الافر ، واذا حاول احدهم تأثر خطواتنا
فاقتله بلا تردد .

فهنز دارتنيان رأسه موافقاً ، وتبعهما جاعلاً المسافة بينهما وبينهما
عشرين خطوة ، وسار وهو يضع يده على مقبض سيفه استعداداً
لـ"طواري" .

ووصل اللورد بوكنغهام والسيدة بوناسيو الى قصر الوفر ،
 ودخله من بابه الواقع في شارع آشيل ، دون ان يعترضها احد ،
 وقبل ان يلبوا باب القصر ، شكرا دارتنيان على مساعدته بالحناءة
 خفيفة من رأسيهما ، بينما تابع دارتنيان سيده الى حافة «غابة الصنوبر»
 حيث التقى رفيقيه بورتوس وراميس اللذين كانا بانتظاره على احر
 من الجمر ، وبعد ان تباحث الرفاق الثلاثة بامر رفيقهم آتوس
 المعتقل ، والوسيلة التي يجب اتباعها لانقاذه ، افترقوا ، وعاد كل
 منهم الى منزله ، بانتظار الغد وما يحمله من مفاجآت ؟

١٢

جورج فيليميه او الدوق دي بوكسغهام



تمكن الدوق دي بوكسغهام والسيدة بوناسيو من الدخول الى
الوفر ، فقد كانت السيدة بوناسيو وصيفة الملكة الخاصة ويمكنها
الدخول الى القصر ساعة تشاء ، اما الدوق فكان يرتدي زي
فرسان فرقة دي تريفيل التي كان دورها بحراسة القصر في تلك
الليلة نفسها .

وما ان اصبحت السيدة بوناسيو في باحة القصر الواسعة ، حتى
فتحت بمفتاح خاص باباً سرياً ، وولجته وهي تمسك بيد الدوق
لتقوده في دهليز مظلم ، انتهى بهما الى جناح الملكة الخاص ،
فأدخلته الى حجرة فاخرة الرياش ، مضاءة اضاءة خفيفة ، وخاطبته
بقولها :

ارجو ان تبقى هنا يا سيدي الدوق ريثما تحضر . . .
وما لبثت السيدة بوناسيو ان غادرت الحجرة من الباب نفسه ،

بعد ان اقفلت بابها بالمفتاح ، وكان الدوق اصبح سجيناً في تلك
الحجرة ... والحق يقال ان الخوف او القلق لم يعرفا طريقاً الى
فؤاده ، فقد ظل محتفظاً بهدوئه وهو الرجل الجريء الذي تستهويه
مغامرات الحب مها اعترضها من مشقات واخطار ... ومع انه
علم عند وصوله الى باريس ، ان الرسالة التي تلقاها من الملكة ،
كانت مزورة ، ولم تكن سوى مكيدة للايقاع بالملكة وفضح
علاقتها به ، الا انه لم يضطرب او يتردد ، بل قرر ان يقابل
الملكة ، رغم معارضتها في هذا اللقاء الخطر . واخيراً قبلت الملكة
ان تقابله سراً ، وارسلت وصيفتها جرمين (السيدة بوناسيو) لتمهد
له الطريق وتمكنه من الدخول الى القصر خلسة ... وفي طريقها
لتنفيذ اوامر سيدتها ، اختلقت ، وهكذا تأخر لقاء الملكة بحبيبها
الدوق مدة يومين ، وهي المدة التي قضتها جرمين بوناسيو مخبوزة
عند اتباع الكردينال ...

وها ان استعادت حريتها بمساعدة دارفنيان ، حتى اتصلت
بالسيد دي لا بورت ، ونجحت بادخال الدوق الى جناح الملكة
الحادث ، ليتم اللقاء بعيداً عن عين الكردينال ورجاله .

ولنعد الى الدوق بوكنهام ، الذي اغنم مناسبة وجده وحيداً في تلك الحجرة الفاسدة ، فراح يقطع الدقائق القليلة في
التفرج على محتويات الحجرة واثاثها الفاخر ، وحانت منه التفاتة الى
مראה كبيرة وضعت في زاوية الحجرة ، فوجد ان زي فرسان
الملك الذي يرتديه ينسجم مع قامته الفارعة وجماله وناقته ، فهو
في الخامسة والثلاثين من عمره ، وكان يعد من اكثر فرسان

انكاثرا وفرنسا اناقة ، ومن المقربين الى عاهلي المملكةين ، ومن كبار الاثرياء الذين يملكون المقاطعات الواسعة في انكلترا ، وصاحب نفوذ واسع في وطنه . . . وكان يعرف هناك باسم جورج فيليميه .

وبينما كان الدوق الشاب غارقاً في تأملاته فتح باب سري في جدار الحجرة ، وظهرت منه سيدة في السادسة والعشرين من عمرها رائعة الجمال ، ولم تكن هذه السيدة سوى الملكة نفسها آن دوتريش . فاستدار الدوق ليواجهها ، فألفاها في اروع فتنتها وجمالها ، وظل بضغ لحظات مأخوذاً بهذه الفتنة الطاغية ، وما ان رآها تخطو صوبه ، حتى اندفع نحوها ، وجثا على ركبتيه يلثم طرف ثوبها الحريري الجميل ، قبل ان تمنعه من ذلك .

وبعد ان اخذت بيده واجلسته الى قريبا قالت :

يا عزيزي الدوق ، لا شك انك تعلم بانني لم اكتب اليك . . اجل . . . يا مولاتي اعلم انني كنت مخطئاً اذا اعتقدت ان وجودي في باريس يسرك ! . . لان الذي يجب يؤمن بالحُب في سهولة ، وانا لست نادماً على تجشمي الصعاب ، فقد اتاحت لي الظروف ان ألقاك . . .

. انت تعلم لماذا وكيف تم لقائنا ، ويؤسفني ان اصارحك بان وجودك في باريس يعرض حياتك للخطر ، كما يعرض سمعتي للاقاويل والشائعات . . . ولهذا احببت ان اجتمع بك ، لأقول لك ان عوامل عديدة قد تضافرت لتفريق بيننا . . . فهناك البعار تفصل بيننا والخلافات القائمة بين المملكةتين . . . والعوامل الروحية

وانه لمن الصعوبة بمكان محاربة جميع هذه العوامل ياسيدي الدوق ،
ولهذا فأرى انه من المستحسن ان لا نجتمع بعد الآن .
تحدثني ياسيدي . . . تحدثني يا صاحبة الجلالة ، ان عذوبة
الفاظك تغطي قساوة عباراتك المؤلمة

فأجابته وهي تحاول ان تحتفظ برصانتها :
. لا تلمس ياسيدي الدوق ، اني لم اصرح مرة بانني احبك !
ولكن ياسيدي لم تصرحي ولا مرة بانك لا تحبينني !
لان الحب الذي يربطنا لا تؤثر فيه عوامل الزمن او النسيان
والياس ، لقد انقضى على لقائنا الأول ثلاث سنين ، ومنذ ذلك
اللقاء ، احببتك ولا ازال مقيماً على هذا الحب . . . ان ذكرى
خواتنا الاربع لا تفارق خاطري لحظة واحدة . . . وخاصة
اللقاء الأخير في حدائق اميان !

وهنا نضرج وجه الملكة البديع بحمرة الحجل وقاطعته قائلة :
ارجو ايها الدوق ان تتناسى ما جرى في تلك الليلة !
- ولماذا لا أتحدث عنها ياسيدي ، فهي الليلة البهيمية
الوحيدة التي سأذكرها طوال عمري ، لانها جعلتني أفتنح تمام
الاقتناع بحبك لي .

ويبدو ان حديث الدوق قد اهاج في صدر الملكة لواعج
الوجد ، فبدأ التأثير على قسمات وجهها وخاطبته بلهجة رقيقة :
- ولكن المصائب قد احاطت بنا من كل ناحية ، فأنت ولا
شك عالم بمؤامرات الكردينال ، الذي ينقل الى المالك كل شيء
عن تصرفاتي ، وكان من نتيجة ذلك ، ان غضب على السيدة فريزه

فطردوها من القصر ، كما أبعد بوتناج ، اما السيدة شيفروز فقد أصبحت غير مرضي عنها لدى الملك . وهل تذكر عندما طلبت دولتك تعيينك سفيراً بباريس ، كيف تدخل الملك نفسه بالأمور ورفض هذا التعيين ؟!

فاجابها الدوق :

— اذكر جيداً وازيد عليه أن هذا التدبير قد أدى الى توتر العلاقات بين البلدين ، وقد يسفر عن قيام حالة حرب بين انكلترا وفرنسا .

— وماذا تقصد من وراء هذا القول ؟

اقصد أنني سأدخل في الوقت المناسب لاهول دوت وقوع حرب ... وادخل وسيطاً لتسوية الحالة ... ويقتضي هذا حضوري شخصياً الى باريس ، وبذلك يتسني لي رؤيتك مراراً .
— يا سيدي انك ترتكب أخطاء جسيمة في سبيل هذا الحب .
— انت السبب ، فلو كان في قلبك ذرة من الحب نحوي ، لوجدت ما أقوم به أمراً طبيعياً .
— لقد أسأت فهمي يا عزيزي الدوق .

فقاطعها بقوله :

— كفى يا سيدي ... لقد تأكدت من حبك لي ، وأنا مستعد الآن ان اضحي بحياتي في سبيلك ، لقد أخبرتني ان قدومي الى باريس كان نتيجة مكيده مدبرة ، فانا مستعد لأن اواجه مصيري ، ففي قرارة نفسي شعور خفي ينذرني بانني سأهلك قريباً .

فصاحت الملكة فزعاً :

- يا الهي !..

فربت الدوق على كتفها وقال :

- لا أقول لك ذلك لأدخل الفزع على قلبك ، ولكنني
في الواقع كنت عرضة لأحلام مزعجة مدة من الزمن .
فأجابته الملكة بلهجة قلقة :

... يا للغرابة ، لقد ساورتني هذه الاحلام المزعجة في الآونة
الأخيرة فرأيتك ملقى على الأرض ينزف الدم من جرح ..
فقاطعها الدوق :

.. من جرح في جهة القلب اليسرى من طعنة خنجر ، أليس كذلك ؟
- أجل هو كذلك لقد رأيتك ... - أبا في جنبك اليسر ،
ولكن يا الهي كيف تمكنت من قراءة افكاري ؟!

فبانت دلائل الارتياح والغبطة على شفا الدوق وقال :

... لا أريد تأكيدات أخرى .. لقد بت واثقاً من حبك لي .
فأجابته :

- بربك أرحل حالاً أيها الدوق ، فانا لا أدري اذا كنت انت
لك الحب ام لا ؟ اسفق عليّ وأرحل ، لانه اذا اصابك اي شر في
فرنسا ، فمعناه ان حبك لي هو السبب ، ولن اجد تعزية اوساوى ...
وقد اصاب بالجنون ! ولهذا ارجوك ان ترحل حالاً ، انني اتوسل
اليك أن ترحل !

- يا الهي ما اجهلك واروعك ، وانت في توسلك ! وما اكثر
ما احبك !

وعادت تكرر توسلها قائلة :

- ارحل ... ارحل الآن عن باريس ، وعد اليّ فيما بعد ،
كسفير لبلادك ، محاطاً بحرس قوي يدافع عنك ، وخدم
يسهرون على حياتك ، وعندها لن اقلق عليك ، واكون سعيدة
في لقائك .

.... وهل تعنين ما تقولين يا سيدتي ؟

- اجل واؤكد لك ذلك .

- اريد عربوناً منك على صدق حبك ... اي شيء من
حوائجك ، خاتم او سلسلة مثلاً ...
فبادرته بقولها :

- وهل ترحل اذا اجبت طلبك واعطيتك ما تريد ؟
- اجل .

- هل تغادر فرنسا حالاً عائداً الى انكرا ؟
- اعدك واقسم على ذلك .
- اذن انتظري قليلاً .

قالت ذلك واسرعت تدخل حجرتها الخاصة ، وما لبثت
ان عادت تحمل بين يديها علبة ثمينة من خشب الابنوس ، مزخرفة
بالذهب ، ومدت يدها بالعلبة قائلة :

- اليك هذه الهدية يا عزيزي الدوق ، فاحفظ بها كذا كرى لحبنا .
فتناول الدوق العلبة من يد الملكة ، جاثياً على ركبتيه وقال :
- انني ما زلت على وعدي ، فاسمحي لي ان اطبع على يدك
قبلة الحب الخالص .

فمدت آن دوتريش يدها نحوه بشغف واغضت عينيها ، بينما
استندت بيدها الاخرى على احد المقاعد ، اذ شعرت ان مقاومتها
بدأت تضعف وقد تخونها عواطفها .

وفي تلك اللحظة كان الدوق قد تناول يدها وراح يغمرها
بالقبلات المحمومة بحرارة ونهم ، ثم رفع رأسه يخاطب الملكة :
- اذا كتبت لي الحياة فسأعود بعد مضي ستة اشهر لألقاك ،
ولو اضطررت الى الطواف حول العالم .

وما لبث ان غادر جناح الملكة مسرعاً وفي الرواق التقطعة السيدة
بوناسيو ، التي كانت تنتظر عودته ، فقادته سالماً الى خارج قصر الورد .

١٣

مصير بوناسيو



ولمعد الى الورا قليلاً ، لنتحدث عن مصير بوناسيو زوج
جرمين وصيفة الملكة . . . هذا الرجل الذي ذهب ضحية المؤامرات
السياسية والصراع الحفي بين البلاط الملكي والكردينال ؛ فبعد
ان القى القبض عليه حرس الكردينال ، اقتادوه الى سجن
الباستيل ! حيث وضعوه في زنزانة ، بعد ان اوسعوه ضرباً
وقذفوه بابشع النعوت واقذع السباب .

ولم يمض عليه ساعة من الزمن ، حتى فتش باب الزنزانة
واقام مكبلاً بالحديد ، للمشول امام ما مور السجن ، الذي سأل عن
اسمه وهويته . فاعلن المسكين وهو يرتعد خوفاً بانه يدعى : جاك
ميشال بوناسيو ، وعمره خمسون عاماً وانه كان يتعاطى تجارة
المبيوسات في الماضي ، وبنى من ورائها ثروة محترمة ، و اضاف بانه
يسكن في شارع فوسوايار رقم ١١ .

وبعد ان انتهى مأمور السجن من استجوابه ، ألقى عليه درساً طويلاً عن الخطر الذي يتهدد اي فرد ، اذا تدخل في القضايا العامة ، خاصة الشؤون التي لها علاقة مباشرة بنبيافة الكردينال ، الحاكم الفعلي لفرنسا ، وأسهب مأمور السجن في اظهار نفوذ الكردينال ، واخيراً طلب الى بوناسيو ان يفكر ملياً بموقفه الحرج .

ولما كان بوناسيو رجلاً بخيلاً واثامياً وجباناً ، وحبه لزوجته الحسنة يعتبر بالنسبة لحياته وماله ، امرأ ثانياً ، فقد راح يلعن الساعة التي تزوج بها من تلك الفتاة التي ورطته بمأزق خطيرة ، كادت تودي بحياته وامواله التي يحرص كل الحرص عليها .

وبعد ان فكر بعض الوقت ، رفع رأسه يخاطب مأمور السجن بقوله :

- ثق يا سيدي المأمور ، انني اقدر ، اكثر من اي فرد آخر نفوذ نبيافة الكردينال ، واننا نشكر الظروف التي اتاحت لفرنسا رجلاً عظيماً كنبافته ، يدير شؤون البلاد ويرعاها باخلاص ونزاهة .

فانبطت اساري مأمور السجن وقال :

- احقاً ما تقول ؟! ... اذن فلماذا جيء بك الى الباستيل ؟!

اجابه بوناسيو ببساطة :

- اما لماذا جيء بي الى الباستيل ، فهذا ما أجهله تمام الجهل ، ولكن ثق يا سيدي انه ليس لعدم اخلاصي لنبيافة الكردينال .

فبادره المأمور بقوله :

- اذن فلا بد انك ارتكبت جريمة فظيعة ، لانك متهم بالحيانة العظمى .

فصاح بوناسيو فزعاً :

— يا الهي ... أأقول أنني متهم بالخيانة العظمى ؟ مع أنني لم
أرتكب أي جرم استحق عليه هذا القصاص الفظيع .. فأنا
أكره اللهو كنوت والاسبان . وثق ياسيدي أن هذه التهمة باطلة .
فرمقه المأمور بنظرة فاحصة وقال :

— أيها السيد بوناسيو هل لك زوجة ؟

فتردد بوناسيو في الجواب ، لأنه تأكد أن الخطر كامن وزاء
هذا السؤال ، وأخيراً قال :

— أجل ، كان لي زوجة .

— عجباً ! أتعني أنها غير موجودة الآن ؟

— لقد اختطفقت منذ يومين !

— ومن اختطفها ؟

وعاد بوناسيو الى التردد في التصريح خشية أن ينزلق لسانه
بأقوال تورده موارد الهلاك .

ولاحظ مأمور السجن ترده ، فخطبه بقوله :

— من مصلحةك أيها السيد أن تكون صريحاً في حديثك ،

لأن صراحتك قد تساعد على انقاذك من هذا السجن .

وهنا رفع بوناسيو رأسه وقال :

— لقد اشتبهت برجل أسمر اللون ، تدل ملامحه على الوسامة

كان يتبع خطواتنا في الأيام القليلة قبل اختطاف امرأتي .

وهنا سأله مأمور السجن :

— وهل تعرف اسمه ؟

- كلا ، ولكني أعرف ملامح وجهه ، إذا وقع نظري عليه .

فبان التبرم والقلق على وجه المأمور وسأله :

- أتعني أنك تعرف الرجل الذي اختطف زوجتك ؟

- أجل ويمكنني أن أتعرف عليه إذا لحته .

وهنا نادى مأمور السجن الحراس وأمرهم أن يعيدوا بوناسيو

الى زنزانه وخاطبه بقوله :

- لقد انتهى الحديث معك ولا لزوم للمزيد .

وأدرك بوناسيو ان لسانه انزلت بجديت زاد موقفه خطراً ،

فراح يندب حظه العاثر ، ويوجه الشتائم والالوم الشديد لامراته التي كانت السبب في نكبته هذه .

وبعد ان اصبحت مأمور السجن وحده ، سطر رسالة مستعجلة

وسامها الى رسول خاص كان ينتظرها .

وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي ، سمع بوناسيو

صرير المفتاح يدور في زنزانه ، فنهض مذعوراً وقد توهم ان

ساعته قد دنت ، وان الحراس حضروا لنقله الى ساحة المقصلة ..

ولكنه اطمان بعض الشيء ، حالما شاهد مأمور السجن وكاتبه

يدخلان عليه ، وبدأ المأمور حديثه قائلاً :

- ان مسألتك معقدة جداً ايها السيد ، وانصحك بان تقول

الحقيقة ، وامامك فرصة وحيدة ، هي ان تطلب الصفح من

الكردينال لتنجو بنفسك .

فأجاب بوناسيو مستعظفاً :

- انني مستعد لان اصرح بكل ما اعرفه يا سيدي ..

فسأله المأمور :

— اين زوجتك ؟

— لقد قلت لك انها اختطفت ولا اعرف عنها شيئاً .

— ولكنها تمكنت ، بعد ظهر امس ، من الفرار بمساعدتك .

— أقول انها فرت ؟! . ولو فرضنا ذلك ، فليس الذنب ذنبي

اقسم لك على ذلك .

— اذن ماذا كنت تفعل في صحبرة جارك الفارس دارتنيان ،

بعد ان علمت باختطاف امرأتك ؟

— لقد رجوته ان يساعدني على العثور على امرأتي ، اذ كنت

لا اعلم شيئاً عن نشاطها واعمالها الخاصة ..

— وبماذا اجابك دارتنيان ؟

— لقد وعد بمساعدتي ، ولكنه لم يفِ بوعد .

— ولكن دارتنيان قد اتفق معك سرّاً على امر معين ، وكان

من نتيجته طرد الحرس الذين جاءوا يبحثون عن زوجتك .

— اقسم لك يا سيدي انني بعيد عن هذه الامور .

فاجابه المأمور بشيء من السخرية والتجدي :

— لحسن الحظ ان دارتنيان في قبضة ايدينا ، وسنواجهك

به حالاً .

وهنا التفت المأمور الى احد الحراس وطلب اليه ادخال

الفارس دارتنيان ، وما هي الا لحظات معدودة حتى دخل الفارس

آنوس ، الذي اعتقل بدلاً من دارتنيان ، فخطبه المأمور بقوله :

— ايها السيد دارتنيان ما جرى بينك وبين هذا الرجل ؟

وهنا صاح بوناسيو قائلاً :
- ولكن هذا السيد ليس الفارس دارتنيان !
فسأله المأمور بدهشة :
- ماذا تقول ، أليس هذا دارتنيان ؟!
- كلا .. واؤكد لك .
- اذن من هذا الرجل ؟!
- لا اعرفه يا سيدي ..
وهنا بانث الحيرة والدهشة على وجه مأمور السجن والتفت
الى آتوس يسأله :
- ما اسمك ؟
اجابه آتوس باقتضاب :
- آتوس !
وبدأ مأمور السجن يفقد اعصابه فصاح به :
- ولكن ليس هذا اسم رجل ، بل اسم جبل معروف ... !
فأجابه آتوس وهو يحتفظ بهدوئه :
- ومع ذلك فهذا هو اسمي !
وفي هذه الاثناء وقف امام باب سجن الباستيل رسول خاص
يحمل رسالة مستعجلة الى مأمور السجن ، فاسرع بها اليه ، وما
ان انتهى من تلاوتها حتى بدت دلائل الاهتمام والتلق على قسبات
وجهه ، وراح يتمم ببعض العبارات غير المفهومة ، ثم غادر الغرفة
بعد ان أمر باعادة الفارس آتوس الى زنزانته .

رجل « مينغ » المجهول



لم يغمض لبوناسيو جفن في تلك الليلة ، وراح يندب حظه
العاثر ، بعد ان قطع آخر امل له في النجاة .

وقبل منتصف الليل بقليل ترمى الى سحبه وقع اقدام تقرب
من باب زنزانه ، فأرهف السمع ، وسرعان ما تحقق ظنه ، اذ
فتح الباب ، وبرز منه اربعة من الحرس ، طلبوا اليه ان يستعد
لمرافقتهم . فاستولى عليه الفزع الشديد ، وبذل جهداً كبيراً
لكي يحتفظ بتوازنه ... وبجركة آلية سار بين الحرس ، كمن
اصيب بالذهول .

وفي ساحة السجن كانت عربة مقفلة تحرسها ثلة من الجنود ،
تنتظره ، فادخل اليها مع اثنين من الحرس ، ثم اقبل الباب بالفتاح
وبعد لحظات قليلة تحركت تسير متمهلة .

وبعد ان اجتازت العربة بعض شوارع باريس ، وصلت الى

شارع اونوريه ، وتوقفت فجأة امام باب منخفض ، وهناك تسلمه
اثنان من الحرس ، وادخلاه حجرة ضيقة ، واقفل عليه الباب باحكام .
وبعد فترة قصيرة ، سمع حواراً يجري بين اثنين في الغرفة
المجاورة ، وسرعان ما فتح باب غرفته ودخل منه ضابط حسن
الهندام في العقد الثالث من عمره وسأله بشيء من الازدراء :

— هل انت بوناسيو ؟

فأجابه بوناسيو بصوت خافت :

— نعم ياسيدي الضابط .

فأشار اليه الضابط بان يتبعه الى حجرة مجاورة ، واسعة
الاطراف ، مؤثثة برباش فاخر ، وفي طرف الغرفة وقع نظار
بوناسيو على رجل معتدل القامة يميل الى النعافة حاد النظرات ،
كان يقف الى جانب المدفأة ، ولم يكن هذا الرجل سوى ارمان
جان دي بليسي ... او الكردينال ريشليو .

وبينما كان بوناسيو المسكين يقف على عتبة الغرفة ، راح
الكردينال يرمقه بنظراته الحادة ، وكأنه يحاول ان يقرأ
مكنونات صدره ، وبعد لحظات قليلة تحركت شفتاه بعبارة
مقتضبة :

— هل هذا بوناسيو ؟

فأجابه الضابط بكل احترام : أجل ياسيدي .

— حسناً اعطني هذه الاوراق ، ودعنا لوحدنا .

فقدم الضابط الى الكردينال رزمة من الاوراق ، ثم تراجع
الى الورا بكل احترام وغادر الغرفة .

وراح بوناسيو يتأمل رزمة الاوراق التي بين يدي الكردينال
فتأكد انها تحضر الاستجواب الذي كتبه مأمور سجن الباستيل،
وبعد دقائق قليلة ، رفع الكردينال رأسه من الاوراق وخاطب
الرجل :

— انت متهم بالخيانة العظمى !

فأجابه بوناسيو بفزع :

— لقد أبليت ذلك يا مولاي !

فعاد الكردينال الى الاوراق يلقي عليها نظرة اخرى ويقول :

— ... ومتهم بالتآمر مع زوجتك والسيدة دي شيفروز

والدوق دي بوكنفهام .

فأجابه بوناسيو ببساطة :

— ان هذه الاسماء قد ترددت على مسمعي ...

فقاطعه الكردينال باهتمام :

— وباية مناسبة ؟

أجابه بوناسيو وكان حقيق تلك اللحظة لم يعرف شخصية

محدثه — بمناسبة اللفظ الذي أثير مؤخراً ، ومفاده ان الكردينال

ريشليو بعث برسالة مزورة على لسان الملكة الى الدوق دي

بوكنفهام يستدرجه للحضور الى باريس ، ليفضح علاقته بالملكة .

فتعمر ك الكردينال من مكانه وصاح بحدة :

— وهل تحدثوا عن ذلك ؟!

اجابه بوناسيو :

— هذا ما سمعته من زوجتي ياميدي !

وكان بوناسيو قد اعتزم في قرارة نفسه ان لا يفوت عليه هذه الفرصة لانقاذ نفسه ، فراح يجيب بصراحة واسهاب على جميع الاسئلة التي وجهها اليه الكردينال والتي تتعلق بامرأته وتصرفاتها وعلاقاتها ببعض رجال القصر وسيداته ، خاصة اتصالاتها في اليومين الاخيرين .

وبعد ان اشبع الكردينال فضوله ، تناول جرساً فضياً وقرعه فحضر على الفور الضابط ، فأمره بان يبعث رسولاً خاصاً لاستدعاء الكونت روشفور على جناح السرعة ، فأجابه الضابط بقوله :
- ان الكونت روشفور ينتظر في الخارج للتشرف بالمشول بين يدي نياقتك ...

فقال الكردينال : « دعه يدخل حالاً . . »

وهنا أدرك بوناسيو ، الذي كان يستمع الى الحديث ، ان الشخص الذي يمثل امامه هو الكردينال ريشليو ، فأحس ابرجفة تجتاح كيانه خوفاً من بطش هذا الحاكم الفعلي لفرنسا ، الذي سمع الشيء الكثير عن سطوته وجبروته .

وفي هذه اللحظة بالذات ، دخل الكونت روشفور ، وما ان انحنى يحيي الكردينال ، حتى صاح بوناسيو بقوله :

- يا الهي ... انه هو بعينه !

فسأله الكردينال باهتمام :

- ومن تعني ؟

اجابه بوناسيو :

- اعني أنه الشخص الذي اختطف امرأتي !

فتبادل الكردينال والكونت روشفور النظرات ، ثم ما لبث ان تناول الكردينال الجرس الفضي وقرعه بشدة ، وطلب الى الضابط الذي حضر ان يقود بوناسيو الى غرفة مجاورة . وما ان خلا المكان للكردينال والكونت روشفور ، حتى اقترب الكونت من الكردينال واسر بأذنه قائلاً :
 ... لقد التقينا يا سيدي .. الملكة والدوق .
 فسأله الكردينال بلهفة :
 .. واين تمّ لقاءهما ؟
 . في قصر اللوفر بالذات !
 .. وهل أنت متأكد من ذلك ؟
 .. كل التأكيد .
 .. ومن نقل اليك الخبر خطير ؟
 .. السيدة دي لانوى ، وهي كما تعلم ، نيافتك ، من اشدد المخلصين في خدمتنا !
 ... ولماذا لم تبلغنا الخبر في حينه ؟
 - لانها لم تتمكن من مغادرة القصر في ذاك الحين ، ولات الملكة طلبت الى وصيفاتها ومن بينهن السيدة دي لانوى البقاء ، ريثما تأخذ بعض الراحة في غرفتها الخاصة وتعود اليهن .
 - وكَم من الوقت ظلت الملكة متغيبية ؟
 - ثلاثة ارباع الساعة تقريباً ، ثم عادت مسرعة لتأخذ علبته من خشب الابنوس تحمّل شعارها وتعود بها ..
 - وهل اعادت العلبة الى مكانها بعد ذلك ؟

- كلا ! ..

- وهل تعلم السيدة دي لانوى ماذا تحوي العلبة ؟
- لقد علمتني أن العلبة تحوي أزراراً من الماس ، كان جلالاته
أهداها الى الملكة ، وتمتدق السيدة دي لانوى ان الملكة قد أهدت
العلبة بما فيها الى السيد بوكنفهام .
فاطرق الكردينال برهة من الزمن يفكر ، ثم رفع رأسه
يسأل روشفور :

- والآن ، هل تعرف المكان الذي يختبئ فيه الدوق والسيدة
شيفروز في باريس ؟
أجابه روشفور :

- كلا يا سيدي ، ان رجالي لم يقبضوا على أثر لهما ..
فابتسم الكردينال بخبث وقال :
- اما أنا فأعرف أين مقرهما ، فـأحدهما يختبئ في شارع
فوجيرار رقم ٢٥ ؛ والثاني أي الدوق فقد كان يقيم في شارع هارب
رقم ٧٥ .
فسأله روشفور :

- وهل تريد نيا فتك أن القي القبض عليها حالاً ؟
أجابه بلهجة ساخرة :
- لقد فات الأوان ايها الكونت .. فلا بد انها غادرا مقرهما
الى مكان آخر .. ولكن أرى أن تذهب مع عشرة من رجالك
الأشداء وتدهم المنزلين المذكورين ، وتقوم بتفتيشهما بدقة ،
علك تعثر على أثر ...

— سأقوم بهذه المهمة حالاً ...
ثم انحنى روشفور مسلياً وامرّع بالخروج لينفذ أوامر
الكردينال .

وعندما أصبح الكردينال وحده في الجبيرة تذكر بوناسيو
فطلب احضاره بعد ان اعتزم أمراً معيناً ، ولما وقع نظره عليه
هش له وقال :

انت حر يا صديقي ، ويمكنك العودة فوراً الى منزلك ..
ثم تناول من درج قريب منه كيساً يحوي مئة قطعة ذهبية ،
وناوله اياه قائلاً :
— اليك هذه الهبة الصغيرة ، تعويضاً لك عن الاضرار التي
لحقت بك .

فتردد بوناسيو في أخذها وقال :

— هل صفحت عني يا سيدي الكردينال ؟
— اجل يا عزيزي بوناسيو ، وارجو ان اراك في المستقبل
فأجابه بوناسيو :

— انني رهن اوامر نيافتك ، وستجدني أطوع من بنائك .
وهذا اشار الكردينال بيده مودعاً ، بينما راح بوناسيو ينهني
حتى كادت جبهته تلامس الأرض ، وهو يردد آيات الشكر والثناء
للكردينال ، وما لبث ان غادر الغرفة وكأنه في حلم .. ولما أصبح
خارج الغرفة راح يهتف قائلاً : «عاش نيافة الكردينال العظيم ..»
وكان الكردينال يسمعه وهو يبتسم ابتسامة غامضة ثم خاطب
نفسه قائلاً :

... لقد كسبنا رجلاً جديداً يضيء بجماليته من اجلي!
ولم يمس على خروج بوناسيو الا دقائق قليلة حتى فتح الباب
مرة ثانية وظهر الكونت روشفور ، فبادره الكردينال بقوله :
... ما وراءك يا كونت؟

اجابه روشفور :

... لقد كانت تقديرات نيافتك صائبة ، اذ قت مع رجالي
بتفتيش المنزلين المذكورين ، فاتضح لي ان سيدة في السادسة
والعشرين من عمرها اقامت في المنزل الاول مدة خمسة ايام وقد
غادرته مساء امس ، اما في المنزل الثاني فقد اقام فيه رجل في السابعة
والثلاثين من عمره وغادره هذا الصباح الى غيب رجعة!

فهنف الكردينال وهو ينظر الى الساعة المعلقة في الجدار :

... وهل تأخرنا عن اللحاق بهما ؟ ان الدوقة دي شيفروز هي
الآن في مدينة تورس ، اما الدوق دي بوكنهام ، فهو الان في
طريقه الى بولوني ... وارى انه من الافضل ان نلحق به الى لندره .

... وما هي اوامر نيافتك؟

... عدم الاشارة الى ما حدث ، حتى نوهم الملكة باننا لم نقف
على سرها ، وبذلك تعتقد اننا نسعى وراء مؤامرة معينة ، وعلينا
ان نكون على اهبة الاستعداد ، كيلا نخسر المبادرة .

ويبدو ان الكونت روشفور قد تذكر بوناسيو ، فسأل
الكردينال :

... وماذا فعلت نيافتك بذلك المدعو بوناسيو؟

اجابه بدهاء :

لقد جعلت منه جاسوساً على امرأته .

فأخني روشفور رأسه امام دهاء هذا الرجل العظيم وانصرف ؛
بينما انهمك الكردينال في تسطير رسالة خاصة ، وضعها ضمن
مظروف وختمها بختمه الخاص ، ثم قرع الجرس ، فحضر الضابط
نفسه ، فأمره باستدعاء تابعه « فيتراي » .

وبعد دقائق معدودة حضر فيتراي وهو على اهبة الاستعداد ،
فالتفت اليه الكردينال وخاطبه :

-- اسمع يا فيتراي ، عليك ان تسافر حالا الى لندره ، وفور
وصولك تسلم هذه الرسالة الى « ميلادي » واليك بهذا الكيس
المحتوي على مئتي قطعة ذهبية ، واعتقد انها كافية لتفقات رحلتك ،
وستنال اضعاف هذا المبلغ ، اذا نجحت في مهمتك ، شرط ان
تعود في مدة اقصاها ستة ايام .

فتناول فيتراي رسالة الكردينال ، وانحنى باحترام دون
ان ينهس ببنت شفة ، واسرع بها ليلبدأ رحلته فوراً .
اما الرسالة التي حملها فهذا نصها :

« ميلادي !

توخي ان تحضري اول حفلة راقصة ، يحضرها الدوق
دي بوكنفهام وراقبيه اذا كانت يضع في قيمه ازراً ماسية ،
وابذلني جهدك لكي تشتري بعضاً منها ... وعندما تتمكنين من
ذلك اعلميني حالا » .

رجال الكهنوت ... ورجال السيف



في اليوم التالي لوقوع هذه الحوادث الخطيرة ، تفقد القائد دي تريفيل الفارس آتوس ، فلم يجده ، وكان قد علم من الفارسيين دارتنيان وبورقوس سبب اختفائه ، ولما كان يعتبر نفسه اباً محنواً لفرسانه ، فقد قرر ان يقابل الملك ليلتمس منه العفو عن آتوس لانه اعتقل خطأ ..

وعندما طلب دي تريفيل مقابلة الملك ، كان جلالاته يتحدث مع الكردينال ريشليو ، في مسألة هامة تتعلق في صميم الموضوع الذي جاء من اجله القائد دي تريفيل .

والمعروف ان الملك قد فرض في الآونة الاخيرة رقابة شديدة على تصرفات الملكة واتصالاتها وحركاتها في القصر وخارجه ... وسبب هذه الرقابة الرشايات المتكررة التي كان يتبرع بتقديمها الكردينال ريشليو ، من وقت لآخر ، مدعيًا الغيرة على سمعة

الملكة ؛ وكان من نتيجة هذه الوشائات ، ان امر الملك بابعاد السيدة ده شيفروز الى مدينة تورس ؛ باعتبارها صديقة الملكة المقربة ، واكبر عون لها في شؤونها السياسية والغرامية ايضاً .
وفي ذلك اليوم ، قابل الكردينال ريشليو ، الملك بصورة خاصة ، وبدأ حديثه مدعياً ان السيدة دي شيفروز المبعدة ، قد حضرت سرّاً الى باريس ، واقامت خمسة ايام متوالية فيها .
فاستشاط الملك غضباً ، وراح يهدد ويتوعد ، وتركه الكردينال يسترسل في غضبه ، ثم ابلغه ان السيدة شيفروز قد حضرت لغاية معينة الى باريس ، بايعاز من الملكة ..

وتذكر الكردينال ذلك الفارس داوتنيان ، الذي تدخل في اللحظة الاخيرة وافسد عليه خطته ، فقرر أن يوغر صدر الملك عليه ، فاردف يقول لجلالته :

- وفي اللحظة التي كانت الأمور تسير فيها سيرا حسناً ، تجرأ فارس من حرس دي تريفيل ، على مهاجمة حرسى المكلفين بمراقبة بعض المشبوهين وبذلك أفسد عليهم خططهم ...

وازداد الملك حنقا وهياجاً ، وبينما كان جلالته على هذه الحالة دخل القائد دي تريفيل ، وهو غير عالم بمناورات الكردينال ، وما ان وقع نظر الملك عليه حتى بادره بقوله :

- لقد جئت ايها القائد في الوقت المناسب ، فهناك حوادث خطيرة تتعلق بفرسائك البواصل !

وفي لحظات معدودة ، أدرك القائد دي تريفيل ، بذكائه وغريزته ، ان عليه مواجهة خصم عنيد ، فبادر يقول :

- بوانا لدي أشياء خطيرة اريد أن اصارح جلالتك بها، تتعلق
برجال الكهنوت ومؤامراتهم !
فسأله الملك :

- وهل هي أمور تسر ؟

فأجابه دي تريفيل :-

- انها تتعلق باحد فرسان فرقي يا مولاي ، لقد اساء بعض
حرس الكردينال استعمال وظيفتهم ، وسمحوا لانفسهم بأن يلقوا
القبض على فارس من فرسان فرقي داخل احد المنازل ، ولم يكن
هذا الفارس سوى آتوس .

فردد الملك الاسم بحركة آلية وقال :

- آتوس !... اظن اني اعرف هذا الفارس ، فهو الذي اصاب
القائد كاهوساك بجرح خطير .

فأجابه تريفيل وهو يرمق الكردينال بنظرة عابرة :

- هو بعينه يا مولاي ، لقد كان المسكين يقوم بزيارة احد
رفاقه من فرسان فرقة دي ايسار ، ولكنه لم يجده في منزله ، وبينما
كان يهيم بمغادرة المنزل ، داهمه الحرس واقتادوه الى السجن .

وهنا تبادل الملك والكردينال بعض الاشارات وما لبث
جلالته ان قال :

- اعلم ذلك جيدآ ، لقد تمّ ذلك لتنفيذ اوامرنا .

فسأله دي تريفيل :

- وهل جرى اعتقال الفارس آتوس لخدمة جلالتك ؟! ليقاد
وسط الجمهور و كأنه احد المجرمين العاديين ؟ وهو كما تعلم يا مولاي

قد سفك دمه من اجل جلالته !
وهنا تدخل الكردينال ليدافع عن تصرفات حرسه . فقال :
— كيف تدعي ايها القائد براءة ذلك الفارس ، مع انه هاجم
اربعة من رجالي ومنعهم من القيام بواجبهم ؟!
فأجابه دي تريفيل بصوت جهوري :
— اني اتحدى نيافتك ان تثبت صحة ما تقول ، لان الفارس
آتوس قد تناول غداءه على مائدتي بحضور الدوق دي ترمويل
والكونت دي شالوس .
فتدخل الملك في الموضوع محاولاً تهدئة اعصاب الخصمين
العنيدين ، فالتفت الى قائده دي تريفيل وخاطبه بقوله :
— ما هذا الكلام يا دي تريفيل ؟!
فاردف دي تريفيل يقول :
— اذا كان نيافة الكردينال يصر على اتهام احد فرسان فرقتي
فانني اطلب فتح تحقيق قضائي بالتهمة ، ذلك اني امك بعدالة
نيافته !.
فكظم الكردينال غيظه وحاول ان يظهر بمظهر الرجل
المهاديء وقال :
— في المنزل الذي انتهكت فيه حرمة العدالة ، يسكن شاب
غاسقوني ، صديق حميم للفارس آتوس و ..
فقاطعه دي تريفيل :
— اتعني الشاب دارتنيان ؟
فأجابه الكردينال :

— اجل هو بعينه ، واريد ان اقول ان هذا الشاب مشمول
برعايتك وحمايتك ايها القائد ..

— انا لا انكر ذلك ، فهو من مواطني وانا افاخر بهم .
— انا لا اعترض على ذلك ، الا انني اتهم هذا الشاب بانه تدخل
بشؤون لا تعنيه ، وعرقل سير العدالة .

فاجابه دي تريفييل :

.. اعتقد ان نيافتك مخطيء في اتهامك ، لان ذلك الشاب قد
امضى سهرته في قصري في تلك الليلة التي جرت فيها الحوادث .
فأجابه الكروينال بلمهجة ساخرة :

— اذن فانت تريد ان تقول ان جميع فرسان فرقتك قضوا
تلك الليلة في ضيافتك ؟!

فاحمر وجه دي تريفييل غضبا وأجابه بجدة :

— وهل تشك نيافتك بما اقول ؟

وهنا تدخل الملك في الحديث للمرة الثانية ليضع حدا لهذا
الجدل وقال :

— هناك قضاة مهمتهم ان يحققوا في مثل هذه القضايا ، فالتوك
الأمر اليهم ليحجروا العدالة .

فأبدى دي تريفييل ملاحظة عارضة وقال :

— أرى يا مولاي ان تحال هذه القضية اولاً الى رجال الشرطة
ليتمولوا التحقيق بها ، لأنت أمر التحقيق منوط بهم ...
فأعجب الملك بالفكرة ووافق عليها فوراً ، ثم خاطب دي تريفييل :
— اذا تبين ان احد فرسانك قد اساء التصرف وتدخل بما لا

يعنيه ، فأنني سأطرح في السبعين عشرة من فوسانك ... لا بل
مئة ... وربما جميع الفرقة ..!

فأجابه دي تريفيل :

— في اللحظة التي يصبح فيها احد فرسان فرقتي موضع شبهة
عابرة ... فانا اؤكد لجلالتك ان جميع الفرسان مذنبون ،
وستواني يا مولاي اضع سيفي تحت قدميك واعتزل الخدمة فوراً
لان ذلك سينتهي بالقاء القبض علي ، بعد اعتقال الفارس آتوس ،
وربما ألقى القبض ايضا على الفارس دارتنيان ..!

فأجابه الملك :

— يا لك من غاسقوني عنيد ..!

فانهز دي تريفيل هذه الفرصة وقال بلهجة توسل :

— ارجو يا مولاي ان تأمر اما باطلاق سراح آتوس ، او
باحالته الى المحاكمة حالاً .

فتدخل الكردينال وقال :

— سيحال الى المحاكمة قريباً .

فأسرع دي تريفيل يقول :

— في هذه الحالة ، سأتولى الدفاع عنه بنفسي ، لاني واثق من براءته .

ويبدو ان الملك قد اقتنع بصحة اقوال قائده المخلص فسأله :

— هل تقسم بان آتوس كان بضيافتك في تلك الليلة ؟

اجابه دي تريفيل :

اقسم على ذلك بشرفي وبذكري والدك العظيم ..

وهنا حاول الكردينال ، بأساليبه الخاصة ، حمل الملك على عدم

العفو عن الفارس آتوس فاقرب من الملك يقول :
- ولكن هذا الرجل متهم يا مولاي ، ويجب محاكمته أولاً .
فقاطعه دي تريفيل :

اني اكفله فهو فارس من افضل فرسان فرقي ، ولن يهرب
وارجو من جلالة مولاي ان يصدر عفوه حالاً ، لان آتوس يعاني
العذاب والاضطهاد ، وهو الفارس الامين الخالص لجلالتك .
فبان التأثير على محيا الملك وقال :

- يا للشيطان ! هل يسيئون معاملة ذلك الفارس الشجاع ؟!

ان هذا لا يجوز !

وما لبث ان وقع امرأ ملكياً بالعفو عن الفارس آتوس
واطلاق سراحه حالاً ، وسلم الامر الى القائد دي تريفيل ، الذي
تناوله بلمهة لم تخف مظاهرها على الكردينال ، الذي كان يتعرق
غضباً وكمداً لفشل خطته .

واسرع القائد دي تريفيل بمغادرة قصر الوفر ، حاملاً امر الملك
وتوجه بنفسه فوراً الى سجن الباستيل ليطلق سراح الفارس آتوس .
اما الكردينال ريشليو ، فقد استمر في زحبه شرارته
ووشاياته ضد الملكة ، فأكد الملك ان الدوق بوتكنهام قد وصل
الى باريس ومكث فيها مدة خمسة ايام مختبئاً في احد المنازل .

١٢٦

رسالة الملكة

٥٥

وبانح هياج الملك وثورة غضبه حدها الاقصى ، فامتنع لونه
وانتهجت اوداجه من فرد الغيظ وقال بصوت متهدج :
... انقول أن بوكنغهام كان في باريس ، وماذا جاء يعمل ؟
فأجابه الكردينال بنجبت :
لا بد انه حضر ليتآمر مع اعداء جلالته الهو كنوت والاسبان .
ويبدو ان الملك لم يقتنع بهذا الرأي فقال :
.. انه جاء يتآمر على شرفي بمساعدة السيدتين دي شيفروز
ولو غن فيل وآل كونده !
فبانث على شفتي الكردينال ابتسامة غامضة وقال :
- لا اشاطر مولاي هذا الرأي ، وربما كان حضور دي
بوكنغهام لمسألة سياسية بخنة .
وعاد الملك يؤكد قائلا :

- ولكفي واثق من ان حضوره كان لغاية معلومة . بعيدة
عن شؤون السياسة!

ففرك الكردينال يديه ، واقترب من جلالته وهمس بصوت
خافت :

- ان شكوك مولاي حول تصرفات الملكة جعلتني اكون
يقظاً ، فقد ابلفتني السيدة دي لانوى ، التي استجوبتها عدة مرات
بناء لأوامر جلالتك ، بان الملكة قضت ليلتها الماضية ساهرة
حتى ساعة متأخرة من الليل ، وانما بكت كثيراً صباح اليوم ،
وقضت معظم وقتها في تسطير الرسائل الخاصة .
فصاح الملك بغضب :

- لا شك أن هذه الرسائل كانت موجهة اليه ! . ايها
الكردينال يجب ان احصل على هذه الرسائل .
فتراجع الكردينال بضع خطوات الى الوراء وقال :
- وكيف السبيل للحصول عليها يا مولاي ، وهل اجسر
على ارغام الملكة لأنتزح هذه الرسائل منها ؟؟
فأجابه الملك بلهجة حازمة :
- قلت لك اريد هذه الرسائل ، فهل تسمع ؟ .. اريدها مهما
كلف الامر .

فتظاهر الكردينال بالتفكير ، ثم قال :
- اقترح يا مولاي أن تعهد بهذه المهمة - الخطيرة الى
المستشار سيغوى ، فهذه المهمة تدخل ضمن اختصاصه
فهز الملك رأسه موافقا وقال :

— احضره حالاً !

فتردد الكردينال لحظة ثم التفت الى الملك وقال :

— ان اوامر مولاي منفذة الا انني اخشى ان ترفض الملكة

تنفيذ اوامر جلالته !

فأجاب الملك بحزم :

— سأحملها على تنفيذ هذه الاوامر ، وسأتولى بنفسى ابلاغها

ذلك ... والآن اذهب لاستدعاء المستشار سيغوى ، لاني اريد

ان اتحدث اليه قبل ان اعهد اليه بهذه المهمة .

ثم ترك الكردينال ، وفتح باباً الى يمينه يؤدي رأساً الى

جناح الملكة .

وكانت الملكة في تلك اللحظة بالذات جالسة بين وصيفاتها ،

يستمعن بانتباه الى الوصيفة مونتبازون تقرأ مقاطع من الشعر

الفرنسي الرقيق ، وانتهزت الملكة هذه الفرصة ، وحلقت بخيالها

الى عالم آخر خارج اسوار هذا القصر الضيق ، وراحت تفكر

بوضعها الحرج وبالمؤامرات التي تحاك ضدها وضد المقربين اليها ،

حتى ان الملك نفسه بات يشك باخلاصها له ..

وبينما كانت غارقة في تأملاتها ، فتح الباب ودخل منه الملك

وهو بحالة عصبية ظاهرة ، فتوقفت الوصيفة عن القراءة ، وانتصبت

الوصيفات واقفات احتراماً لجلالته ... فتجاهل تحية الوصيفات

والتفت الى الملكة يخاطبها بنبرة قاسية :

— يا سيدتي .. سيحضر لمقابلتك المستشار سيغوى لمسائل خاصة

كافته بها ، فأرجو ان تسهلي عمله !

فامتقع وجه الملكة المسكينة ، وهي الزوجة التي تعرضت
في الاونة الاخيرة لوسائل التهديد بالطلاق والنفي والحكم عليها ،
ولم تَرِ بدءاً من سؤاله :

— ولماذا هذه الزيارة يا مولاي ؟ وبماذا سيفضي الي المستشار؟؟
فامتدار الملك على عقيقه ، ولم يحجب على سؤالها ، وخرج من
حيث أتى ، خلفاً وراءه امرأة في اشد حالات اليأس والقلق .
وفي اللحظة التي غادر فيها الملك جناح زوجته آن دوتريش ، اعلن
ضابط الحرس ان المستشار سيفغوى بالباب يطلب المتول بين
يدي الملكة .

والمستشار سيفغوى هذا ، كان قد وصل الى هذا المركز الرفيع
في القضاء بفضل الكردينال ريشليو ، ومن الطبيعي ان يكون
من اشد المحلصين لنيافته . . ولهذا كان الكردينال يثق به ثقة
عمياء ويوليّه عنايته ، ويجزّل له العطاء ، حتى اصبح يملك ثروة
طائلة .

وعندما اذنت له الملكة بالدخول تعمّدت ابقاء وصيفها
حولها وسألته :

— ماذا تريد ايها السيد ، وما هو هدفك من الحضور ؟؟

اجابها المستشار بصوت هادئ :

— جئت يا مولاي انفذ اوامر جلالة الملك ، لاضع يدي على
جميع اوراقك الخاصة .

فصاحت بانفعال :

— وما الغاية من هذا التصرف .؟ انه تدبير غير لائق ا

- عفوك يا مولائي ، انني بجزء آلة طيبة لجلالته ، انفس
او امره بدقة .

وهنا التفتت الملكة باستملاء الى وصيفتها الخاصة ستيفانا قائلة :
- سلميه جميع مفاتيح خزانتي وادراجي ، ودعيه ينقب بها
كما يشاء ... انها اوامر الملك !

وانحنى المستشار للملكة ، ثم طلق بالوصيفة التي وضعت تحت
تصرفه جميع مفاتيح جناح الملكة الخاص ، وكان قد تلقى من
الكردينال تعليمات خاصة ، تتلخص بان يقلب خزانة الملكة رأساً
على عقب بحثاً عن رسالة أو رسائل غرامية بخط الملكة ... واسفر
بحسه وتنقيبه الذي استمر حوالى ساعة عن لاشيء ... مما جعله
يفكر بتفتيش الملكة آن دوتريش نفسها كما اوعز اليه الكردينال ،
وبعد ان اعمل الفكر بعض الوقت ، توجه الى الملكة وهو بايدي
الارتباك وخاطبها بقوله :

- ان جلالة الملك واثق بان جلالته قد كتبت رسالة خاصة
صباح اليوم ، ولم يتسن لك ارسالها ، وبما انني لم اعثر عليها في حبرتك
وبين اوراقك الخاصة ... فمعنى ذلك انك تحتفظين بها يا مولائي ...
فقاطعه الملكة بلهجة متعالية :

- وهل تجسر ايها السيد ان تضع يدك على مليكتك ؟!
اجابها المستشار بشيء من الارتباك :
- انني عبداً امين للملك ، وكل ما يأمر به جلالته أنفذه !
فرمته بنظرة احتقار وكبرياء وقالت :
- يا لسخرية القدر ! لقد اصبح جواسيس الكردينال ، من

اشد المخلصين لجلالته!!

ثم اردفت تقول بشيء من التهدي :

— لقد كتبت رسالة هذا الصباح ، وكنت افضل ان اسمعها
بنفسي الى الملك اذا اصر على الاطلاع عليها .

فأجابها المستشار :

— لقد عهد اليّ لجلالته بان يبحث عن هذه الرسالة ، وآتيه بها . .

فمدت الملكة يدها بحركة آلية الى صدرها ، وتناولت ورقة

مطوية ، رمتها بوجه المستشار قائلة :

— هذه هي الرسالة فخذها . . . واغرب عن وجهي في الحال . . .

فالتقط المستشار الرسالة بلهفة ، وانحنى حتى الارض محيياً

الملكة ثم امرع بالانصراف . .

وما ان اغلق الباب خلفه ، حتى تهاوت الملكة مغشياً عليها

من شدة التأثر والاضطراب ، فاسرعت الوصيفات يحملنها الى

سريرها ويحاولن انعاشها بشتى الطرق .

وتناول الملك لويس الثالث عشر الرسالة من يد المستشار

بيد مرتجفة ، وكانت موجهة من الملكة الى شقيقها ملك اسبانيا

وتتضمن حملة عنيفة على الكردينال ريشليو ، لمحاولته الاساءة

اليها ، واخيراً تطلب من شقيقها ومن ابن عمها امبراطور النمسا

ان يبديا استياءهما من السياسة التي يتبعها ريشليو في فرنسا ويهددا

باعلان الحرب على فرنسا ، اذالم يوافق لويس الثالث عشر على

طرد الكردينال .

ولم تتضمن الرسالة اية عبارة غرامية او ما شابه ذلك . فبدأ

الارتياح والغبطة على محيا الملك ، لان الشكوك التي ساورته لم تتأكد ، فالتفت الى المستشار وأمره باستدعاء الكردينال حالاً .
ولما مثل نيافته بين يديه بأدبه الملك بقوله :
- خذ واقرأ ايها الكردينال ، ان الرسالة تتضمن مسائل سياسية بحجة ، كما تتضمن تعريضاً بتصرفاتك ..
فتناول الكردينال الرسالة ، وقرأها بدقة ، ولما وصل الى العبارات الاخيرة المتعلقة به ، اعاد قراءتها مرة ثانية بامعان .
ثم رفع رأسه وتظاهر بالانكسار وقال :
- أترى يا مولاي الى اي مدى ذهب اعدائي ، انهم يهددون جلالتك باعلان الحرب اذا لم تطردني !.. ولو كنت مكانك لما نصليت ازاء اصرار جلالتها ، وانا بكل فخر انسحب من الميدان ، وخاصة وان صحتي ساءت في الآونة الاخيرة ، واصبحت لا تسبح لي بان اواصل الكفاح المستمر ، وارى من الافضل ان تختار مكانا امير كوتره ، فهو رجل شهم وبامكانه ان يواصل الحرب لرفع الحصار عن مدينة لاروشيل .
فقاطعه الملك بإشارة من يده وقال :
- لا لزوم لاثارة هذا الموضوع ، فكن مطمئن البال ، واني اعدك بان جميع من ورد ذكرهم في هذه الرسالة سينالون ما يستحقونه من العقاب ... حتى الملكة نفسها !
فتظاهر الكردينال بالاضطراب وقال :
- عفوك يا مولاي ، فمعاذ الله ان ارضى بان ينال الملكة اي سوء بسببي . ولو ثبتت خيانتها لا يسمح الله .. لكنك اول من

يطالب بانزال القصاص بها . . ولهذا اقترح على مولاي ان يسمى
لحافستها ، لكي تمحو اثر الاساءة التي تعرضت لها بسبب الشكوك
التي ساورتك ، وارى ان تقيم جلالتك حفلة راقصة اكراماً لها ،
وانت تعلم يا مولاي مبلغ شغفها بمثل هذه الحفلات الراقصة .
- لقد قررت ان اعمل بمشورتك ، واقيم حفلة راقصة مرضاة
للملكة ، رغم انني لا احب اقامة هذه الحفلات .

فاردف الكردينال يقول :

- ولا تنس يا مولاي ان تطلب اليها ان تتزين بالازرار
الماسية التي اهديتها اليها لمناسبة عيد ميلادها الاخير ، وذاك
لتؤكد حبك لها وعطفك عليها . .

ثم استأذن الكردينال بالانصراف ، بعد ان تأكد من نجاح
مخطته التي وضع اسمها .

ولم يخامر الملك اي ريب في حسن نية وزيره الكردينال
ريشليو ، فأسرع الى جناح الملكة ، التي كانت تتوقع زيارته
بعد ان تسلم رسالتها ، ووقف على مضمونها . وبعد ان حدد
الملك حديثه ببعض العبارات الرقيقة بادر الى القول بانه قرر
اقامة حفلة راقصة كبرى ، ولما سأله عن موعد هذه الحفلة ،
اجاب بانه سيحدد موعدها بالاتفاق مع وزيره الكردينال ريشليو .
وهنا تولى الملكة اصفرار شديد ، وتوجست شراً من نتيجة
هذه الحفلة ، التي تدرك مغزاها ومرماها !

ونفذ الملك وعده ، فاستشار الكردينال في موعد الحفلة ،
فنصحه بان تكون يوم الثالث من شهر تشرين الاول (اكتوبر) اي بعد

ثلاثة عشر يوماً .

وتابع الكردينال يقول لجلالته :

- ولا تنس يا مولاي ان تلج على جلالة الملكة بان تزين

نوبها البديع بالازرار الماسية !

١٧

الوصيفة المخلصة



عندما اعاد الكردينال ريشليو الكرة وألحّ على جلالته ان يطلب من الملكة ان تتعلى بالازرار الماسية في الحفلة الراقصة الكبرى ، ماورت الملك لويس الثالث عشر الشكوك من جديد واحسّ بان وراء هذا الاصرار من جانب الكردينال ، مفاجأة غير سارة للملكة نفسها . ومع ذلك قرر ان يعمل بمشورة وزيره الكردينال ، ويلمحّ على الملكة بان تضيع على فستانها الازرار الماسية . واسرع الى جناح الملكة ، وهو عابس الوجه ، وبدأ حديثه مع زوجته بان وجهه اليها عدة امثلة عن تصرفاتها وتصرفات وصفاتها في اليومين الاخيرين ، واستمر يوجه اليها امثله واستجواباته المخرجة ، حتى نفذ صبرها ولم تعد تتحمل كلماته اللاذعة واتهاماته الغامضة المبطنّة ، فبادرته وهي تشرق بدمعها متسائلة :

- انك لم تصارحني بما في صدرك يا مولاي وما هي الجريمة التي ارتكبتها حتى تسمي معاملتي ... الا اني كتبت رسالة لشقيقي ملك اسبانيا ، اشرح له متاعبي ؟؟ ولكن الملك تهرب من الاجابة على سؤال الملكة وحول بحري الحديث الى ناحية اخرى وقال :
- جئت اعلمك بانني بالاتفاق مع الكردينال قد حددنا موعد الحفلة الراقصة في اليوم الثالث من شهر تشرين الاول القادم ، وارى ان ترتدي اللباس الرسمي ، ولا تنسي ان تزيني بالازرار الماسية التي اهديتها لك لمناسبة عيد ميلادك .

ونزلت كلمات الملك على رأسها كضربات مطرقة ، اذ توهمت انه يعرف كل شيء ، وان وراء هذه المؤامرة يد الكردينال ريشليو الذي يسحب خيوطها للتخلص منها بصورة نهائية .. واحس بالاروض وكأنها تميد من تحتها ، فاستندت الى اريكة قريبة منها خوف السقوط ، واعتصمت بالحصت .

ويبدو ان الملك استاء من سكوتها ، وذهب في تأويله شئ المذهب ، فعاد يكرر عليها السؤال :

- الا تسمعين ما اقوله لك يا سيدتي ؟

فغمضت قائلة وهي تنتزع الكلمات انتزاعاً :

-- اجل يا مولاي !

- وهل تودين حضور هذه الحفلة الراقصة ؟

-- اجل .

واكتفى الملك بهذا القدر من الحديث ، فاحس رأسه الخناء ببسطة الملكة وغادر الحجرة عائداً الى جناحه الخاص .

وما ان اصبحت آن دوتريش وحيدة في حجرتها، حتى
تهالكت على مقعدها وهي في اشد حالات الاضطراب النفساني ،
وراحت تندب حظها العاثر وتحدث نفسها قائلة :

- لقد فقدت كل أمل بالخلاص من هذا العذاب الدائم ...
الكردينال سبب تعاصتي وشقائي .. وهو الذي أوحى الى الملك
بفكرة اقامة الحفلة المشؤومة ، وحدد له موعدها ايضاً واشترط
عليّ ان ارتدي اللباس الرسمي ، وأتزين بالازرار الماسية ...
يا الهي الازرار الماسية ! انها في لندره في حوزة الدوق بوكنفهام .
فكيف السبيل اليها ؟! واذا كان الملك لا يعلم شيئاً حتى الآن ،
فسيعلم كل شيء بعد الحفلة مباشرة ...

وجشت على ركبتيها تبتهل الى الله والسيدة العذراء ، بان
ينقذها من هذا المأزق الحرج ... ان صديقتها المخلصة السيدة
ده شيفروز بعيدة عنها الآن ، لقد ابعدوا الملك الى تورس ، وهي ،
اي الملكة ، اصبحت اشبه بالسجينة في هذا القصر الكبير ، المليء
بالجواسيس ، ولا يمكنها الاتصال بالخارج ، خوفاً من العيون
والارصاد التي وضعها الكردينال وانصاره حولها ... واحسنت
بغريزتها ان احسدى وصيفاتها تحونها ، وهي التي نقلت الى
الكردينال تفاصيل اجتماعها بالدوق . الا انها لم تتمكن من حصر التهمة
باحداهن . واخيراً تذكرت صديقها الامين دي لا بورت ، ولكنه اعلمها
في المدة الاخيرة انه مراقب ولا يمكنه مغادرة قصر اللوفر ! وفي
غمرة اليأس المسيطرة على الملكة التمسعة ، برزت جرمين بوناسيو ،
وقد وصلت الى حجرة الملكة عن طريق باب سري ، وخاطبتها

الملكة بصوت عذب قائلة :

— الا يمكنني ان اقدم خدمة لمولائي ؟

فالتفتت الملكة مندهشة نحو الصوت ، فوقع نظرها على جرمين بوناسيو ، واقفة على عتبة الباب وعلى ثغرها ابتسامة كلها امل ورجاء .

فهمت الملكة مستبشرة :

— لقد جئت يا عزيزتي في الوقت المناسب ، اذ انني انخبط بأزمة نفسية ، ولا يمكنني ان اتق باللواتي يحطن بي من رصيفات وصديقات .

فأجابتها جرمين بوناسيو وهي تنهفي قائلة :

— انني مستعدة لان ابذل دمي في سبيلك يا مولائي ، وانك على حق في ظنوك يا صاحبة الجلالة ، فهناك صيفات خائئات من اقرب المقربات اليك ، ويجب ان تتخذي الحذر والحيطه حيالهن . اما بشأن الازرار الماسية التي اهديتها الى الدوق بوكنغهام الموجود حالياً في لندره ، فيجب ان تعود اليك قبل موعد الحفلة لكي تحبطي مؤامرة الكردينال وانصاره .

فارتاحت اساور الملكة لكلمات وصيقتها المشجعة وسألتها :

— وكيف السبيل للحصول على الازرار ولومؤقتاً وقبل

موعد الحفلة ؟

اجابتها جرمين بوناسيو :

.. يجب ايضاً شخص مخلص لك يا مولائي ، يحمل رسالة خاصة منك الى الدوق ، ليسامه الازرار فيعود بها مسرعاً .

- ومن هو الشخص الامين الذي يقبل بان يقوم بمثل هذه المهمة ؟

اجابتها جرمين :

- وهل تثقين بي يا مولاتي ؟

- كل الثقة يا جرمين .

- اذن تأكدي ان لدي الشخص المطلوب ، لقيام بهذه المهمة على اكمل وجه ، وارجو ان قسطنطين رسالة الى الدوق دي بوكنفهام تشرحي فيها المؤامرة وقطبي اليه ان يسلم الازرار الماسية الى الرسول .

فرحبت الملكة الياضة بهذا الاقتراح ، وشرعت تكتب الرسالة المطلوبة ، ثم ختمتها بخاتمها الخاص ، وسلمتها الى جرمين بوناسيو كما اعطتها خاتماً ثميناً كان شقيقها ملك اسبانيا قد اهداه اياه ، وطلبت اليها ان تبنيه وتستعين بشئنه على نفقات السفر للرسول ، وتناولت جرمين الرسالة والخاتم من يد الملكة ، وما لبثت ان توارت عن الانظار بالسهولة نفسها التي ظهرت بها .

وبعد ساعة من الزمن كانت جرمين بوناسيو تدخل منزلها ، وهناك فوجئت بوصول زوجها بوناسيو الذي اطلق سراحه الكردينال ، بعد ان منحه هبة مالية ، ليجعل منه اداة طيعة لتنفيذ ماآربه الشخصية .

فرحبت به الزوجة الشابة بشيء من الفتور . وتذكرت المهمة الخطيرة التي كلفتها بها الملكة ، فانتهزت هذه الفرصة ، وحاولت اقناع زوجها بوناسيو ، بان يقوم بهذه المهمة ، ويسافر الى لندره ،

دون ان تذكر له الغاية من ذلك .

فبادرها زوجها بقوله :

— اني ارحب بالقيام بهذه المهمة ، شرط ان لا نسيء او تلحق

اي ضرر بنبأفة الكردينال .

فسأله زوجته :

— وما علاقة الكردينال بك ايها الاحق ؟

اجابها باعتزاز :

— لقد عاهدت الكردينال بان لا اعمل ضده ، بعد ان احسن

معاملتي واجزل لي العطاء . . ودعاني بصديقه الحميم !

فبان الامتعاض والغبط على محيا زوجته وخاطبته بقولها :

— اذن فانت الآن من انصار الكردينال الذي اهان زوجتك

وشوّه سمعة ملكتك؟!!

فاجابها بعناد :

— ان مصلحة الفرد لا تقاس بشيء بالنسبة لمصلحة المجموع ،

ولهذا فانا اعمل في سبيل مصلحة الدولة التي يرعاها ويدافع عن

مصالحها الكردينال ريشليو العظيم .

فهزت زوجته كتفها قائلة :

— ما معنى ذلك ، أتريد ان تقول انك من الاشخاص الذين

يتآمرون على البلاط والملكة ؟

وهنا تناول بوناسيو الكيس المحشو بالذهب ورفع به يده قائلاً :

— وماذا تقولين بهذا يا عزيزتي ؟

فتوجست خيفة وسأله :

- ومن اعطاك هذا الذهب ؟
اجابها وهو يزهر بعملة :
- نياقة الكردينال وصديقي الكونت روشفور .
فصاحت به بصوت متهدج :
- أتقول روشفور ؟ فهو الذي اختطفني .
- ولكن هو الذي ساعد على اطلاق سراحي .
فهزت رأسها قائلة :
- اذن فهو الذي اطلق سراحك ، ومنحك هذا الذهب ؟
- نعم . ولكن هل تريد ان توهمني بان الهدف من منحي
هذا المال ، هو لاسباب سياسية ؟
اجابته بجدة :
- لا شك بذلك ... انه يريد ان يحملي على خيانة مولاتي
الملكية .
فقاطعها بوناسيو قائلاً :
- تذكري يا عزيزتي ان الملكة امرأة اسبانية ، وان مايقوم
به نياقة الكردينال ريشليو ، هو عين الصواب ولمصلحة فرنسا .
فبان التأثر والغضب على محيا جرمين الجميل وصاحت بزوجها
قائلة :
- ما كنت اعهدك حقيراً الى هذه الدرجة !!
فاجابها :
- انني ارفض ان اشاركك تصرفاتك ، فقد ذقت من العذاب
الوانبأ ، وسجنت في الباستيل ، وكدت افقد حياتي !

وهنا بلغ غيظ زوجته الذروة ، فراحت تهدده بانها ستعمل على اعادته الى سجن الباستيل بنفوذ الملكة ، فأجابها :
- في هذه الحالة سأطلب مساعدة الكردينال ، وهو قادر على انقاذي .

وهنا تذكر بوناسيو ان عليه الاطلاع على نوع المهمة ، لينقل تفاصيلها الى سيده الجديد الكردينال ريشليو ، فعاد يحاول استدراج زوجته بقوله :
- ولكن لم تذكر لي يا عزيزتي ، ما الغاية من السفر الى لندره ؟

واذ ركت جرمين هدف زوجها من وراء ذلك ، فابت ابت تشير الى المهمة ، وازداد بوناسيو إلحاحاً في السؤال ، وازدادت امرأته غموضاً ، بعد ان ساورتها الظنون في اخلاصه لها .
ولما يئس بوناسيو من الحصول على مزيد من المعلومات عن المهمة وغايتها ، قرر ان يقصد توتاً لمقابلة الكونت روشفور ، لينقل اليه تفاصيل حديثه مع امرأته وعن المهمة الغامضة الى لندره . ثم ادعى امام زوجته بانه ذاهب لقضاء حاجة مستعجلة ، وسيعود بعد قليل ، والحق عليها بان تنتظره في المنزل .

وفي اللحظة التي غادر فيها بوناسيو المنزل ، سمعت جرمين طرقاً خفيفاً على باب الشرفة ، وصوتاً مألوفاً لديها يقول :
- افتمعي يا عزيزتي ، فلي حديث ذو شجون معك !

١٨

بين الزوج والعشيق ا



وامرعت جرمين تفتح باب الشرفة ، فطالعهما الفارس الشاب
دارتنيان بقامته الفارعة ومعالم وجهه الجذابة ، وبادوها دارتنيان
قائلًا :

— اسمحي لي يا سيدتي ان اصارحك بان لك زوجاً جباناً ..
فسألته مدهشة :

— وهل سمعت حديثنا ؟

— أجل ... ولهذا جئت أضع نفسي تحت تصرفك لأنتولي
القيام بالمهمة الخطيرة التي رفض زوجك القيام بها .
فتمتمت جرمين قائلة :

— وهل من المعقول ان اعهد اليك بمثل هذه المهمة الخطيرة ؟

— اعتقد ان ما قمت به مؤخراً يؤهلني لان اضطلع بهذه المهمة
ولا تنسي انني اقوم بها رغبة في مرضاتك وكسب قلبك ا.

وقبل ان تجيب على عبارته الاخيرة ، راحت تفكر ملياً
بأمر هذا الشاب وتفانيه في خدمتها ومساعدتها ، فتأكدت ان
الدافع الوحيد لذلك هو الحب ، فاعتزمت ان توليه نقتها
وقلبها معاً .

ولما وصلت الى هذا القرار التفتت اليه وقد ارتسجت على
وجهها دلائل الجذ وخاطبته بقولها :

-- اممع يا صديقي ، انني قررت ان افتح لك قلبي ، واطلمك
على جميع امراضي ، ولكن ثقب بأنه اذا حاولت خياني ، فسأقتل
نفسي واتهمك بقتلي عمداً .
فأجابها دارتنيان :

-- اما انا يا سيدتي ، فاذا لاقيت حتفي ، وانا اقوم بالمهمة
فثقي بأن سرك سيذهب معي الى القبر .

وهنا بدأت السيدة بوناسيو توضح له تفاصيل المهمة الخطيرة ،
وان على نجاحها يتوقف مصير الملكة الهمسة التي ستذهب ضحية
مؤامرات الكردينال واتباعه .

وانتهز دارتنيان هذه المناسبة ، وراح يبشها لواعج قلبه ،
مؤكداً لها ان هذا الحب الذي غزا فؤاده ، سيكون سلاحه
القوي لتقيام بالمهمة على اكمل وجه ، والعودة سريعاً الى فرنسا
لينعم بقربها .

وبعد حوار قصير بينهما ، اعترفت جرمين بأنها تبادل الحب
وما ان سمع عبارتها ، حتى تناول يدها وراح يشبعها شماً ولبناً
بشغف وقال :

- لقد قررت السفر في الحال ! .
فرمقته بنظرة عطف وقالت :
- او تذهب دون ان تحصل على اجازة من قائد فرقتك .
أجابها :
- يا الهي ! لقد انساني حبك واجبي وفرقتي ! . وسأذهب
هذا المساء الى القائد دي تريفيل ، لاحصل بواسطته على إجازة
لمدة شهر . وقبل ان تدعه يذهب قالت :
- هناك مسألة اخرى يجب ان تذللها قبل سفرك ، وهي
تأمين نفقات رحلتك .

فبادرها دارتنيان :
- سأتكفل بدبير المال بمساعدة بعض رفاقي من الفرسان .
وهنا امرعت جرمين الى الخزانة التي وضع فيها زوجها منحة
الكردينال ، وتناولت الكيس المحشو بالدنانير الذهبية وقدمته
الى دارتنيان قائلة :
- اليك هذا المبلغ ، واظن انه يكفي لنفقات رحلتك ذهاباً
واباباً .

واجابها دارتنيان وهو يتناول الكيس من يدها :
- يا لسخريه القدر ، تصوري اننا سنستخدم مال الكردينال
لانقاذ الملكة من شروره ومؤامراته !
وهنا سمعت جرمين صوت زوجها ، وهو يتحدث الى شخص
آخر في الشارع ، فهتفت تقول بصوت خافت :
- لقد وصل زوجي !

فاسرع دارتنيان الى باب الشرفة ليعود من حيث أتى ، الا انها
امسكت بذراعه تقول:

— يجب ان اذهب معك، بعد ان استوليت على الدنانير
الذهبية، والا تعرضت لثقتته الشديدة ، فهو شديد البخل ...
فشدد على يدها وقال :

— اذن هلمي بنا الى جناحي في الطابق العلوي، وستكونين
بأمن من كل اذى.

وتقدم دارتنيان وهو ما يزال ممسكا بيد جرمين ، وفتح باب
الشرفة ، ليخرجها منها الى الممر ومنه صعدا السلم المؤدي الى
جناحه بأمان ودون ان يشعر بها أحد...

ومن الفجوة التي احدثها دارتنيان في ارض حجرتة ، تمكنا
من مراقبة كل ما يجري في المنزل السفلي ، فشاهدا بوناسيو يدخل
المنزل وبرفقتة رجل غريب ، يرتدي معطفاً اسود اللون ، وما
ان امعن دارتنيان النظر بتقاطيع وجهه ، حتى انتصب واقفاً ،
ووضع يمينه بحركة آلية على مقبض سيفه وهو يردد :

— انه رجل « مبنغ » بعينه !

فامسكت جرمين بذراعه قائلة :

— هدىء روعك ، ولا تقدم على حماقة تورطنا موارد الهلاك!

فأجابها دارتنيان بانفعال :

— ولكنني اقسمت بشرفي ان اقتل هذا الرجل الغادر ...

فظلت جرمين متشبثة بذراعه وقالت :

— ان حياتك الآن ليست ملك يديك ، فانا باسم الملكة

اطلب اليك ان لا تقوم باي عمل قبل تنفيذ مهمتك في لندره .
فأجابها بعد ان هدأت اعصابه الثائرة بعض الشيء :
- وباسمك ، اليس لك سيطرة عليّ ؟
فضغطت علي ذراعه قائلة :
- وباسمي ايضاً ارجوك ان لا تخاطر بنفسك .
وفي هذه اللحظة بالذات تراسى الى سمعها حوار يدور بين
بوناسيو ورفيقه ، فسماها بوناسيو يقول :
- اعتقد انما ذهبت الى قصر اللوفر .
فسأله الرجل الغريب بقوله :
- وهل انت متأكد من انما لم تشك بنواياك وتصرفاتك ؟
فأجابه الزوج بوناسيو :
- كل التأكيد ، فهمي تشق بي ثقة عمياء .
فسأله الرجل الغريب :
- وهل جارك الفارس دارتنيان الذي يسكن الطابق العلوي
موجود في منزله ؟
- ان نوافذ غرفته مغلقة ، ومعنى ذلك انه غير موجود .
- اذهب واطرق بابه لتتأكد من ذلك .
فانصاع بوناسيو لاوامر الرجل الغريب ، الذي لم يكن سوى
الكونت دي روشفور ، وقصد ترواً الى باب شقة دارتنيان وراح
يطرقه بشدة ، ولما لم يجبه احد ، عاد ليعلم الكونت روشفور بان
لا احد في المنزل .
وعاد حديثهما يصل واضعاً الى مسامع جرمين ودارتنيان ،

فسمعاً بوناسيو ينقل الى دي روشفور تفاصيل محادثته مع زوجته
وسعيها لاقتناعه بالسفر الى لندره لمهمة خاصة .

وهنا قاطعه دي روشفور يسأله باهتمام :

— وهل ذكرت زوجتك اسم الشخص الذي ستقابله في لندره؟

— كلامك لم تذكر شيئاً من ذلك .

— يالك من احمق ، لقد أسأت التصرف ، وفوتت علمينسا

فرصة نادرة برفضك القيام بتلك المهمة ، كما خسرت فرصة ذهبية
للحصول على لقب رفيع عن طريق نياقة الكردينال .

— كن مطمئناً ياسيدي ، فزوجتي تحبني حتى العبادة ، واعتقد

ان هناك متسعاً من الوقت للقيام بمحاولة اخرى .

وهنا هتفت جرمن وهي تصغي الى اقوال زوجها قائلة :

— ياله من احمق حقاير !

فوضع دارتنيان سبابته على فمها قائلة :

— لا ترفعي صوتك ، لئلا يشعر بوجودنا .

وعاد صوت دي روشفور يرتفع سائلاً بوناسيو :

— وكيف السبيل الى الحصول على معلومات وافية عن هذه

المهمة ؟

اجابه بوناسيو بابتسامته :

— سأذهب الى قصر اللوفر واقابل زوجتي هناك ، واقول لها

بانني فكرت بالامر ملياً ، وقورت ان اقوم بالمهمة ، وبذلك

احصل على الرسالة وعلى كافة المعلومات ، واذهب بها الى نياقة

الكردينال .

فأجابه دي روشفور :

— اذن اسرع لمقابلة زوجتك ، وسأعود لاقف على نتيجة

مساءك !

وما لبث ان غادر دي روشفور المنزل ، بينما اسرع
بوناسيو الى خزانته يفتحها ليتأكد من وجود الذهب الذي وضعه
قبل ذهابه ... وفجأة سمع دارتنيان وجرمين صوت بوناسيو
يزجر صائحاً مولولاً بأعلى صوته : بان ماله قد سرق ... ثم اسرع
مهرولاً الى الشارع وهو بحالة عصبية يسب ويشتم ... وعندما
خلا المنزل التفتت جرمين الى دارتنيان قائلة :

— واخيراً لقد انصرف ، ويمكنك الآن ان تبدأ رحلتك

حالاً ، وارجو ان تكون حذراً .

فتناول يدها وطبع عليها سبلاً من القبلات المحمومة ، ثم
اسرع يغادر المنزل ، بعد ان ارتدى معطفاً طويلاً يخفي تقاطيع
جسمه ...

وظلت جرمين تشيعه ببصرها حتى توارى في احد منعطفات

الشارع ، ثم جثت على ركبتيها تبتهل الى الله :

— يا الهي احفظ الملكة واحفظه !

١٩

خطة العمل



واسرع دارتنيان الى مقابلة القائد دي تريفيل ، وهو يعلم
اخلاصة الملكة آن دوتريش ، واطلعه على مهمته فنصحه بأن
لا يسافر وحده وقال :

- يجب ان تسمعين برفاقتك الفرسان الثلاثة ، لتتمكن من
الوصول سالماً الى المكان الذي تقصده ، وسأبدل ما في وسعي
لاستحصل لكم في هذه الليلة على اجازة لمدة اسبوعين ، وسأبعث
بهذه الاجازات الى منازلكم .
فبادره دارتنيان قائلاً :

- ارجو ان توصل اجازتي الى منزل الفارس آتوس لان
رجال الكردينال يفرضون رقابة شديدة على منزلي منذ الصباح .
وتذكر القائد دي تريفيل ان هذه الرحلة الطويلة تحتاج الى
نفقات باهظة فسأل دارتنيان :

— وهل فكرت في تأمين المال اللازم لهذه الرحلة ؟

فضرب دارتنيان يده على الكيس المحشو ذهباً وقال :

— أجل يا سيدي القائد .

فمد دي تريفيل يده يصافح دارتنيان ويرجو له النجاح في مهمته .

وقصد دارتنيان توأ الى منزل آتوس ، حيث اجتمع شمل

الفرسان الاربعة واخذوا ينشاورون في امر المهمة الخطيرة .

فقال بورتوس :

— لنرسم اولاً خطة العمل ، فالى اين يجب ان نذهب بادىء

الأمر ؟

اجابه دارتنيان :

— الى ميناء كاليه ، فهو اقرب الطرق الى لندره واكثر

ملاءمة ، وأقل تعرضاً للاخطار . والامر في منتهى البساطة ايها

الرفاق ... انني احمل بين طيات ملابسي رسالة خاصة الى شخص

عظيم في العاصمة الانكليزية ، فاذا قدر لي ان اقتل في الطريق ،

فليأخذها واحد منكم ، وواصلوا السير ، فاذا قتل حامل الرسالة

فليمنقلها آخر ، وهكذا هواليك . والمهم ايها الرفاق ان يبلغ احدنا

في النهاية الى لندره سالماً ليمتولى تسليم الرسالة الى صاحبها ،

وتجدون في هذا الكيس مئة دينار ذهباً ، فقد قررت اقتسامها

بيننا بالتساوي ، فيكون نصيب كل واحد منا ٢٥ ديناراً ،

يستعين بها على تصريف شؤونهم وسد نفقاتهم .

وانبرى الفارس بورتوس يبدي رأيه بهذه الخطة فقال :

— اعتقد ان سفرنا نحن الاربعة في وقت واحد ، مدعاة للشك

واقترح ان يأخذ كل منا طريقاً مختلفاً عن الآخر على ان نلتقي في كاليه مثلاً .

فقال دارتنيان :

- اعتقد ان خطة بورتوس صعبة التنفيذ اذ انه من الحكمة ان نجابه الاخطار التي قد تعترض طريقنا بدءاً واحدة ، لنتمكن من التغلب عليها ... ولا تنسوا ايها الرفاق ان عيون الكردينالي ساهرة تراقبنا بدقة .

فاعجب الفارس آتوس بفكرة دارتنيان فهتف يقول :

- مرحى ... دارتنيان ، انني اساطرك هذه الفكرة لانها معقولة ، ولا تنسوا ايها الرفاق بانني سأسير في الطليعة ، وسيكون الى جانبي الفارس دارتنيان ، فاذا حاول احد من الحرس او العسس اعتراض سبيلنا ، ابرزت له كتاب القائد دي تريفييل ، وبرز دارتنيان اجازته ، فاذا اصبروا على توقيفنا ، لجأنا الى الدفاع عن انفسنا ، وارى ان نصلحجب معنا خدامنا الاربعة ونزودهم بالعدارات ، فنؤلف بذلك قوة لا بأس بها مكونة من ثمانية اشخاص ، يمكنها ان تصمد في وجه جيش من فرسان الكردينالي وتمزق شمله .

فقال دارتنيان :

- ان رأي آتوس وجيه ، وأرى ان نوافق عليه جميعاً .

فصاح بورتوس وارانميس قائلين :

- اننا نوافق .

وبعد ان قام دارتنيان بتوزيع الدنانير الذهبية بالتساوي على

رفاقه ، اقترح اراميس اقامة حفلة صغيرة في حانة « غابة الصنوبر »
فرحب الجميع بهذا الاقتراح ، وتواعدوا على اللقاء عند الساعة
الحادية عشرة في الحانة ، ليتسنى لكل واحد منهم اعداد ما يحتاج
اليه في هذه الرحلة الطويلة الشاقة .



٢٠

السفر الى لندره

⑤

وفي الساعة الثانية من بعد منتصف الليل ، كان الفرسان
الاربعة على صهوات جيادهم يتبعهم خدمهم الاربعة ، وخرجوا
من باب سانت دنيس ليمبدأوا رحلتهم الطويلة الشاقة .
وظل الصمت يحيم على هذا الركب الصغير الى ان تبدد
الظلام ، وظهرت تباشير الصبح الباكر ، فانطلقت ألسنتهم
بالدعابات والنكات اللاذعة ، غير عالمين بما تحبىء لهم الافدار من
مفاجآت واطار .

وتابع الركب سيره بسلام وهدوء حتى بلدة «شانتيلي» حيث
ترجل الفرسان الاربعة امام باب نزل ليتناولوا طعام الافطار ،
اذ كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة صباحاً ... وقبل ان يدخلوا
النزل ، اوعزوا الى خدمهم بان لا يحملوا احزمة الجياد ،
استعداداً لمواصلة السير ، فور الانتهاء من تناول طعام الافطار .

وكانت قاعة الطعام تكاد تكون خالية الا من شخص جالس يتناول طعامه بهدوء .

واحتل الفرسان الاربعة ، مائدة مواجهة لمائدة الرجل الغريب ، وشرعوا يتناولون فطورهم بشهية ومرح . وطاب لذلك الرجل ان يرفع كأسه ، ويشرب نخبهم ، فبادل الفرسان الاربعة بحاماته بدورهم ، دون ان يولوه كبير اهتمام .

وفي اللحظة التي ظهر فيها الخادم موسكينون يملأ ان الجياد جاهزة ، رفع الرجل الغريب كأسه واقترح على الفارس بورتوس ، الذي كان محاذياً له ، ان يشرب نخب نيافة الكردينال ، فأجاب بورتوس بشيء من التعدي ، انه يرحب بذلك ، شريطة ان يشرب الرجل نخب جلالة الملك .

وهنا رفع الرجل عقيرته وصاح بانه لا يعرف ملكاً لفرنسا ، سوى نيافة الكردينال .

فبان الخلق على محيا بورتوس ، ووصف الرجل بانه مخفوف ولا يعني ما يقول ، فما كان من الرجل الغريب الا ان استل سيفه ، محاولاً الانقضاض على بورتوس .

وهنا تدخل آتوس بالامر موجهاً حديثه الى بورتوس :

— لقد ارتكبت حماقة لا بد ان تتحمل وزرها ، واصبح من الحقم عليك ان تبارز هذا الرجل اللعين ، وتقضي عليه بسرعة ، وتلحق بنا فوراً ، لانه لا يمكننا الانتظار . .

وامتطى الفرسان الثلاثة آتوس وراميس ودارتنيان مسرعات جيادهم وتابعوا سيرهم مع خدمهم ، تاركين خلفهم رفيقهم الفارس .

بورتوس ، ينخرط بمبارزة دامية مع ذلك الرجل الغريب ، الذي
تعهد التحرش به لغاية مميتة .

وفي بلدة « بوفيه » توقف الفرسان الثلاثة مدة ساعتين ،
ليتم خلروا وصول رفيقهم بورتوس ، الا انه لم يصل ، فاضطر
الفرسان ، الى متابعة طريقهم وعلى مسيرة فرسخ واحد من بلدة
« بوفيه » اعترضتهم طريق ضيقة تقع بين مرتفعين ، وشاهدوا
حوالي عشرة رجال منهمكين في اصلاح الطريق الموحلة ، ولم
يتزحزح هؤلاء الرجال من مكانهم ليفسحوا الطريق امام الفرسان ،
بل تعمدوا توجيه بعض العبارات والغمزات التي اعتبرها الفارس
أتوس ، وهو اهدأ الفرسان الاربعة ، مهينة بحقه وحق رفاقه ،
فما كان منه الا ان وجه عنان جواده نحو اقرب العمال اليه واكثرهم
، قاحة ، وطرسه ارضاً ، وتابع سيده ، بينما اسرع الرجال
المتشكرون بزي العمال الى فندق قريب ، وتناولوا منه بنادقهم ،
التي كانت مخبأة هناك ، وراحوا يطلقون النيران على أتوس
ورفاقه ، فاصيب اراميس برصاصة في كتفه ، كما اصيب الخادم
موسكينون برصاصة اخرى ألقت به عن صهوة جواده .

وهنا صاح دارتنيان برفاقه :

انه كمين مدبر للايقاع بنا ، وتأخير سفرنا ، فاسرعوا ايها
البراهق ، ولا تفرطوا بما لديكم من رصاص .

وعلى الرغم من ان جرح اراميس ، بدأ ينزف منه الدم
بشدة ، فقد نحامل على نفسه ، وامسك بعنان جواده ولم يكز
بشدته ، ليلحق برفاقه الذين تمكنوا من الهجاة . ولم يلبث ان لحق

بالركب جواد موسكينون دون فارسه . فقال آتوس :
— حسناً ، لقد أصبح لدينا جواد احتياطي ، يمكن الاستفادة
منه .

فاجابه دارتنيان مداعباً :
— اما انا ، فاحتاج الى قبعة ، لآب قبعتي اطارتها رصاصة
طائشة .

وتذكر اراميس رفيقه بورتوس فقال :
— ياللانزال !... فلا بد ان يفتكوا بـ بورتوس عند مروره .
فاجابه آتوس باذي القلق :
— لو خرج بورتوس سليماً من تلك المباراة ، لما تأخر عن
الاحاق بنا !... .

ثم تابعوا سيرهم الحديث مدة ساعتين متواصلتين ، وعندما
وصلوا الى بلدة « كريف كرو » شعر اراميس بالاعياء الشديد ،
واعلن انه لن يقوى على متابعة السير معهم ، فاضطر الرفاق الى
وضع اراميس في احدي حانات البلدة برعاية خادمه بازان ، للسهر
على راحته . بينما تابع آتوس ودارتنيان مع خادميها السير ،
أملين ان يتمكنوا من الوصول الى مدينة « اميات » ليبيتوا
ليلتهم فيها .

وفي الطريق بدأ يفكر آتوس بالخطاطر والمفاجآت التي تعرض
لها مع رفاقه ، والتفت الى رفيقه دارتنيان يقول :
— يا للشيطان ! لم يبق غيرنا نحن الاثنين مع سناء بهنا ، غريمو
وبلانشيه ، لنتولى تنفيذ المهمة التي تحملنا من اجلها .

والمشقات . ولهذا فقد قررت ألا افتتح نهي ، او اجرد سيفي
حتى اصل الى ميناء كالبه . .
فاجابه دارتنيان :

.. دعنا من ذلك ، لنسرع بسيرنا ، قبل ان ينفق جوادينا .
ولكن الفارسان بطن جواديهما وانطلقا يسابقان الريح نحو
امبيان ، وتمكننا من الوصول اليها عند منتصف الليل ، فاتجهما فوراً
الى فندق « الزنبقة الذهبية » .

واستقبلهما صاحب الفندق ، امام مدخل فندقه ، واطهر لهما
آبات الاحترام والخضوع ، وقادهما الى غرفتين تقعان في اقصى
الفندق ، فلم يريح الفارسان لهذا التدبير ، وقررا انهما يفضلان
النوم في غرفة مشتركة ، فوافق الفندق ، شريطة ان ينام الخادمان
في الاسطبل .

ولكن الخادم بلانشيه لم يعطئ الى هذا التدبير ، فما كان
منه الا ان تساق نافذة الغرفة التي ينام فيها اتوس ودارتنيان ،
واعلان انه قررا ان ينام امام الباب تحسباً للطوارئ !
فابدى دارتنيان موافقته على هذا الاقتراح وقال :

- ان شكل صاحب الفندق لم يعجبني ، ولا تدعو هيئته
الى الارتياح والاطمئنان ، رغم اسرافه في اظهار الاحترام لنا .
ومرت الليلة بسلام ، واستفاق الفارسان اتوس ودارتنيان
على صوت الخادم غريمو يشتم ويعربد ، عندما وقع نظره على
الجياذ وقد تورمت قوائمها ، وهي بحالة تعب شديد ، بحيث
يستحيل عليها متابعة السير .

واسرع اتوس ودارتنيان بالنزول الى الاسطبل ، ليتفحصا
الجوادين ، وما انت وقعت عينا دارتنيان على الجوادين حتى
صاح برارة :

— لم يعد لنا ما نرجوه من هذين الجوادين ، وعلينا ان نسمى
منذ اللحظة ، للحصول على جوادين جديدين ، مهما كلفنا الامر ،
لنتمكن من استئناف السير فوراً ودون تأخير .

واحس دارتنيان في قرارة نفسه ، ان هذه المصادفات المزعجة
ما هي الا مكيدة منظمة نصبت شراكها لئلا يمنعها من مواصلة
سيرهما . ولما اثناء خروجها من الاسطبل ، جوادين بحالة جيدة ،
تبدو عليها دلائل الراحة والنشاط ، يقفان امام باب الفندق ،
فاسرع اتوس الى صاحب الفندق ، ليباحثه في امر شرائها ، فأبدى
الرجل استعداداً لبيعها وحدد مبلغاً ، فتناول اتوس من جيبه
ثلاثة دنانير ذهبية ، اعطاها لصاحب الفندق ، الذي كان جالساً
الى مكتبه ، فاخذها هذا ووضعها داخل درج امامه ، متظاهراً
بانه يتفحصها ، وما لبث ان اعاد يده وصاح بآتوس بحدة :

— ان دنانيرك مزيفة ايها الرجل ، وانا مضطر ان امنعك من
متابعة سفرك مع رفيقك ..

فصاح به آتوس غاصباً :

— تبا لك ايها النذل ، سأقطع اذنك جزاء لك عـلى
وقاحتك ...

وما ان أتم عبارته هذه حتى هجم عليه اربعة من الرجال
المسلحين ، كانوا مختبئين في غرفة مجاورة ، محاولين تقييده ، وهذا

صاح باعلى صوته قائلاً :

— لقد وقعت في الشرك ، فانج بنفسك يا دارتنيان !
ثم اتبع عبارته هذه باطلاق رصاصتين من غدارته على مهاجميه .
وسمع دارتنيان وبلانشيه ، انذار اتوس فاسرعا الى الجوادين
المربولين امام باب الفندق فامتطياها واعملا فيهما المهامين ،
ومتحذرين من الفرار قبل ان يشعر بهما احد ، متخذين طريق
كاليه هدفاً لهما ولما ابتعدا عن الفندق سأل دارتنيان خادمه
بلانشيه :

... وهل علمت ماذا جرى لاتوس ؟ !

اجابه بلانشيه :

— لقد لحقت اثنين من مهاجميه بسقطان صريعين ، وابصرته
يقارع الآخرين بشدة وصلابة . !
اجاب دارتنيان :

... بورك فيه من بطل همام ، وانه ليؤلمني جداً ان اضطر
لتركه عرضة للمؤامرات والمكائد واتابع طريقي الى كاليه !
وبعد سير حديث متواصل ، وصل دارتنيان مع خادمه
بلانشيه الى بلدة « سانت ادмир » فتوقفا بعض الوقت ، ليرحبا
الجوادين من غناء السير الماضي ، وزيادة في الحيلة والحذر ، فقد
ربط كل منهما مقود جواده بذراعه ، ثم ابتاعا بعض الطعام
وراحا يلتهمانه بشرهة ولذة وهما في عرض الشارع .
ثم استأنفا سيرهما مسرعين نحو ميناء كاليه . وعلى بعد فوسخ
واحد من الميناء . توقف جواد دارتنيان عن السير من شدة

التعب والاعياء ، وبدأ الدم ينزف من انفه وفمه بغزارة . اما جواد بلانشيه فما لبث ان عجز عن المسير ... وهكذا اضطر دارتنيان وخادمه الى ان يقطعا المسافة الباقية حتى ميناء كاليه سيراً على الاقدام ، ليلحقا بالسفينة الوحيدة المبحرة الى ميناء دوفر في انكلترا .

ولما وصل دارتنيان مع خادمه بلانشيه الى الميناء ، كانت قد سبقهما الى هناك ، رجل من النبلاء يرافقه خادمه ، وظهر من ملامحه انه وصل في تلك اللحظة من سفر طويل ، وتقدم من قبضات السفينة يسأله اذا كان بالامكان ان ينقله على ظهر سفينته الى ميناء دوفر ، فأجابه القبطان :

— لا مانع عندي ايها السيد ان كنت تحمل اذنًا خاصاً من نياافة الكردينال ريشليو .
فاجابه الرجل النبيل :

— انني احمل هذا الاذن من نياافة الكردينال نفسه .
وتناول الرجل من جيبه مظروفاً سلمه الى القبطان ، الذي راح يتفحصه بدقة ، ثم التفت الى الرجل النبيل وقال :
حسنًا ، وعليك يا سيدي ان توشح عليه من رئيس الميناء وهو يقيم في المنزل القائم في وسط تلك الغابة والذي يبعد حوالي خمسمائة خطوة من الميناء .

فاسرع الرجل النبيل مع خادمه الى ذلك المنزل الذي اشار اليه رئيس الميناء . وكان دارتنيان يسمع الحوار الذي دار بين رئيس الميناء والرجل النبيل ، وتأكد بأنه يستحيل عليه السفر الى

انكلمتا ما لم يكن مزوداً باذن خاص من الكردينال ، وادرك
بذكائه ، الطريق الذي عليه ان يسلكه . ولحق مع خادمه بأثر
الرجل ، دون ان يشعر بهما .
وما ان اصبح الرجل النبيل في وسط الغابة حتى فاجأه دارتنيان
بقوله :

— اسمح لي ايها السيد النبيل ، ان استفيد بالاذن الذي تحمله
لاني مضطر للوصول الى انكلمتا على عجل لامر هام جداً .
فأجابه الرجل بحدة :

— يا للوقاحة ! . لقد قطعت ستين مرحلة في ٤٤ ساعة لا يمكن
من الوصول الى لندره ظهر غد .

فابتسم دارتنيان وأجابه بسخرية :

— اما انا يا سيدي فقد قطعت نفس المسافة باربعين ساعة ،
لا يبلغ لندره قبل ظهر غد ! . . ولهذا ارجو ان تعطيني الاذن
الذي تحمله ! . . .

فانتفض الرجل وأجاب دارتنيان :

— وهل تجرؤ ايها الرجل ان تعترض طريقي ؟!

قال ذلك ثم امتشق حسامه ، وهجم على دارتنيان يحاول ان
يفتك به .

وهنا صاح دارتنيان بخادمه :

— تكفل يا بلانشيه بالخادم ، وانا سأتكفل بوضع حد لمقاومة
هذا النبيل المعتمد بنفسه !

واستطاع بلانشيه ان يضع حداً لمقاومة الخادم ، بينما دامت

المعركة بين دارتنيان وخصمه بضع دقائق ، اسفرت عن سقوط الرجل النبيل ، مصابا بجرح بالغ في صدره .

فحمله دارتنيان ووضعه قرب شجرة كبيرة ، ثم استولى على الاذن الذي يحمله من الكردينال ، وكان باسم الكونت دي وارد ، واسرع مع خادمه الى رئيس الميناء ، الذي بادره بقوله :
- هل تحمل اذنا خلاصا من نياقة الكردينال أيها السيد ؟

اجابه دارتنيان بقوله :

- اجل ياسيدي الرئيس ، وهذا هو !

وابرزله الاذن الذي استولى عليه من الكونت دي وارد ، ولما اطلع عليه رئيس الميناء قال :

- انه مستوفى الشروط ، ويمكن السفر ساعة تشاء .

فاجابه دارتنيان :

- انني من اخلص خدم نياقة الكردينال ، واقترحهم اليه !

اجابه رئيس الميناء :

- يبدو ان نياقته ، يريد ان يمنع وصول شخص معين الى

انكلترا :

فاجابه دارتنيان !

- اجل ، واعتقد انه يقصد منع شخص يدعى الفارس

دارتنيان ، لقد خرج هذا الفارس مع ثلاثة من رفاقه الفرسان قاصدين الوصول الى لندره .

فسأله رئيس الميناء :

- وهل تعرف هذا الرجل ؟

.. اجل اعرفه جيداً .

- وهل تتكرم باعطائي اوصافه ؟

- حباً وكرامة .

وهنا راح دارتنيان يسهب في اعطاء اوصاف الكونت دي
وارد الذي تركه جريحاً في الغابة ، وزاد بقوله :

- ويرافقه خادم يدعى « سيمون » !

فشكره رئيس الميناء وقال :

- ليكن نياقة الكردينال مطمئنا ، فاني سأكثر من العيون

والارصاد ، لامنع سفر هذا الشخص ، وسأعيده مخفوقاً الى

باريس !

ولم يضيع دارتنيان وقته سدى ، فشكر رئيس الميناء على
سهره واخلاصه لنياقة الكردينال ، واسرع مع خادمه الى الميناء
ليلاحق بالسفينة التي كانت على اهبة المسير الى ميناء دوفر .

وفي عودته تحاشى دارتنيان مع خادمه ، ان يرا بالغابة ،
حيث تركا الكونت ، فاتخذوا طريقاً آخر ووصلا الى الميناء في
اللاحة التي كانت السفينة تعد العدة لرفع مراسمها استعداداً للاقلاع
فلوح دارتنيان بالجواز الى القبطان قائلاً :

اليك اوراقى مؤثر عليها ايها القبطان الهام ...

فاجابه القبطان

- ولكن اين الرجل ؟

- انه لن يسافر اليوم ، وكن واثقاً بأنني سأدفع لك اجرة

السفر عن اثنين !

— اذن هيا اسرع قبل فوات الاوان .

فقفز دارتنيان مع خادمه بلانشيه الى اول زورق صادفهما
وطلب الى النوتي ان يسرع بهما الى السفينة ، وصعدا الى ظهرها
في اللحظة التي كان البحارة يستعدون لرفع المرساة ايذاناً ببدا
السفر .

وعندما اصبح دارتنيان داخل الغبرة التي خصصت لهما ، نزع
قميصه ليعني بجرح بسيط أصاب كتفه في اثناء المعركة ضد اواك
العمال الاوغاد ثم استلقى على فراشه منهوك القوى من شدة
التعب ، وما لبث ان راح يغط في نومه .

وفي صباح اليوم التالي ، عند الساعة العاشرة ، ألفت السفينة
موساتها في ميناء دوفر ، وبعد هضي نصف ساعة وطأت قدمها
دارتنيان الارض الانكليزية ، فتنفس الصعداء وخاطب نفسه
بلانشيه قائلاً :

... واخيراً وصلنا انكلترا ، وعاليتنا اننا نسرع في
الحال الى لندن لنبذل هديتنا .

وكانت وسائل النقل في انكلترا منظمة في ذلك العهد ،
فاستأجر دارتنيان جواوين ، ليراصل السير مع خادمه الى انارة
وقد تقدمهما دليل ليهديهما الطريق .

وقطعا المسافة من دوفر الى ابواب العاصمة الانكليزية باريس
ساعات وبما ان دارتنيان لا يعرف الانكليزية ، فقد كتب ادم
الدوق دي بوكينغهام على ورقة ، وراح يعرضها على كل من يصادفه
بطريقه ليبدله على قصر الدوق .

وكان الدوق دي بوكسهايم ساعة وصول دارتنيان في رحلة صيد بالارياف ، فقابل دارتنيان « بتريس » خادم الدوق الخاص وموضع ثقته ، وكان هذا يرافقه الدوق في جميع أسفاره ، ويجيد التكلم بالفرنسية ، فاخبره دارتنيان بأنه قادم رأساً من باريس ، في مهمة خطيرة جداً يتوقف عليها الموت والحياة ، ولهذا فهو يلجأ بمقابلة الدوق في الحال .

فاسرع بتريس لاعداد جوادهين ، وقال لدارتنيان :

— هيا بنا لنقابل الدوق في قصره الريفي .

أما الخادم بلانشيه ، وكان قد اضناه التعب ، فقد طلب اليه دارتنيان الانتظار في قصر الدوق ، ريثما يعود من مهمته .

وفي اللحظة التي وصل فيها دارتنيان مع بتريس الى القصر الريفي ، كان الدوق يترجل عن صهوة جواده وهو ما يزال في بزة الصيد ، وما ان وقع نظره على دارتنيان ، حتى تعرف عليه فوراً ، وساورته الهواجس والقلق ، بأن وراء حضوره المفاجيء خطاب عظيم ، فتقدم منه يسأله بلهفة :

هل اصاب الملكة اي مكروه ؟!

اجابه دارتنيان :

— كلا يا مولاي... ولكن هناك دلائل تشير الى ان جلالته

معرضة لخطر جسيم ، وليس من منقلب لها سواك !

فصاح الدوق ببلجه قلقة :

— انا... اكون سعيد جداً اذا استطعت ان اسدي خدمة لجلالته !

تكلم ايها الفارس . ما وراءك من الاخبار ؟

فتناول داورتنيان من صدره رسالة الملكة وقال :
— اليك يا مولاي رسالة خاصة من الملكة .
فاختطفها الدوق بلهفة وراح يلتهم سطورها بعينيه التهاماً ،
وما ان انتهى من تلاوتها ، حتى نادى خادمه الخاص بتريس وامره
بان يلحق بحاشية جلالة ملك انكلترا قائلاً :
— اذهب وقدم معذرتي لجلالته ، بسبب اضطراري للعودة
الى لندره لمهمة مستعجلة .
ثم امتطى صهوة جواده ولوى عنانه باتجاه طريق لندره وقال
لداورتنياث :
— هيا بنا ايها الفارس الباسل .

٢١

الكونتس دي وتير



وانتهز الدوق دي بوكنفهام هذه المناسبة، وراح يستوضح من دارتنيان عن الاحداث التي مرت بالملكة . فبسط الفارس للدوق كل ما يعرفه ، واسهب في الحديث عن المكائد والمؤامرات التي يمسكها الكردينال ريشليو للايقاع بالملكة ، وأتى على ذكر المخاطر والمشقات التي تعرض لها هو ورفاقه الفرسان الثلاثة اتوس وبورتوس وارانيس ، وكيف اضطر الى التخلي عنهم الواحد بعد الآخر ، نتيجة الاشراك التي نصبها الكردينال واتباعه على طول الطريق من باريس حتى ميناء كاليه ، لمنعهم من الوصول الى لندره ، واخيراً ذكر دارتنيان للدوق الحيلة التي لجأ اليها ، لحرق الحصار الذي ضربه الكردينال ، ومبارزته مع الكونت دي وارد ، والاستيلاء على الأذن الذي يحمله من الكردينال ، ليمكن من الابحار من ميناء كاليه الى دوفر .

وابدى الدوق دي بونو كنههم اعجابه الشديد بهذا الفارس الباسل
الذي لم يتجاوز بعد العشرين من عمره .
وفي هذه الاثناء ، كان الجوادان يسابقان الريح باتجاه لندره ،
ولم يخفف الدوق من سرعته حتى في شوارع لندره نفسها ، ولما
دخل باحة قصره ، ترجل عن جواده ، وأشار الى دارتنيان ان
يتبعه ، واتجه تواء الى جناحه الخاص ، بحتازاً عدة ابهاء واسعة
فضمة ، وفي جناحه ازاح احدى الستائر الخملية ، فكشفت عن
باب فتحة بمفتاح من ذهب ، كان يحتفظ به في جيبه ، ثم التفت الى
دارتنيان وقال :

— تعال وانظر ليها الفارس . . . واذا تشرفت بالمثول بين
يدي الملكة آن دوتريش ، فلا تنس ان تذكر لها ما شاهدت
بام عينك .

فدخل دارتنيان تلك الغرفة ، فوجدها مفروشة بالسجاد جيد
الفارسية الفاخرة ومحللة بالذهب ، وكانت الطجيرة اشبه بمعبد صغير ،
مضاء بعدد كبير من الشموع ، وفي وسط هذا المعبد ، اقيم
مذبح يعلوه رسم بالحجم الطبيعي ، يمثل الملكة آن دوتريش ،
والناظر الى الرسم يكاد يتخيل ملكة فرنسا تقف امامه باهمى
جهاها وفتنتها .

حتى ان دارتنيان نفسه لم يتمالك من ان يبدا اعجابه ودهشته .
وتحت الصورة تماماً ، وضعت العلبة المزخرفة والمتضمنة الازرار
الماصية .

واقترب الدوق من المذبح ، وجثا على ركبتيه وكأنه يريد

تلاوة صلاة قصيرة .. ومد يده الى العلبة يفتحها ويتناول منها
الازرار الماسية وقد ربطت بعضها الى بعض بشريط حريري ، ثم
التفت الى دارتنيان الذي وقف على بعد خطوات منه ، يخاطبه بقوله :
- هذه هي هدية الملكة ، وكنت اقسمت على ان توافقي
حتى القبر ، ولكن ارادتها فوق كل شيء ..

ثم رفع الازرار الى شفته وراح يتبلمها بشغف ، وفجأة اطلق
صيحة قوية ... فسأله دارتنيان :

- ماذا دهالك يا مولاي ؟

. يا الهي ! لقد فقد من هذه الطلية الثمينة حبتان .. واعتقد
ان يداً أثيمة قد سرقتها ، وان الكردينال ريشليو هو الذي سدد
الي هذه الخرابسة ... انظر ، ان الشريط الحريري الذي يربط
الازرار قد قطع بقص !
فسأله دارتنيان :

. وهل يشك مولاي بشخص معين ، فلربما امكن القاء
القبض عليه قبل ان يتوارى عن الانظار ؟
فصاح الدوق قائلاً :

- امسح لقد تحليت بهذه الازرار مرة واحدة ، وكان ذلك في
الحفلة الراقصة التي أقامها ملك انكلترا في قصر وندسور ، واذكر
جيداً ان الكونتس دي ونتر ، قد تعمدت الاقتراب مني عدة
مرات في اثناء الحفلة ، لا شك انها هي بنفسها جاسوسة الكردينال .
فقال دارتنيان مندهلاً :

وهل يعني ذلك ، ان للكردينال جواسيس في جميع

انحاء العالم ؟

اجابه الدوق وهو يصرف باسنانه من شدة الحنق :

— هو كذلك .. انه حقاً لحصم عنيد !..

ثم اردف يقول :

— وفي اي يوم موعد الحفلة الراقصة التي تشير اليها الملكة

في رسالتها ؟

— موعدها يوم الاثنين القادم ، اي بعد خمسة ايام فقط !

فاسرع الدوق دي بوكنفهام بالخروج من تلك الحجرة يتبعه دارتنيان ، وبدأ يفكر بحل سريع ينقذ الملكة آن دوتريش من ورطتها ، ثم ما لبث ان نادى وصيفه الخاص بتريس ، ولما حضر صاح به قائلاً :

— اسرع باستدعاء الصائغ ، وسكرتيري الخاص .

وبعد لحظات معدودة دخل امين سره ، وكان الدوق جالساً

الى مكتبه منهكاً في تسطير بعض الارامر المستعجلة .

ولما انتهى من الكتابة رفع رأسه يخاطب امين سره :

— اسمع يا جاكسون عليك ان تذهب بهذه الارامر الى مستشار

الملك ، وتطلب اليه ان يقلل الموانىء الانكليزية ، ويمنع سقر اية قاصدة الى فرنسا .

فبانث الدهشة على محيا جاكسون وسأله :

— وبماذا نبرر اتخاذ مثل هذه التدابير يا مولاي ؟ خاصة اذا

طلب الملك تفسيرات عنها ؟

— قل لجلالته ، انني قررت اعلان الحرب ، وان هذه التدابير

مقدمة لآظهار العداء لفرنسا !

فالتحني السكرتين جاكسون ، وانصرف لينفذ اوامر سيده ،
بينما الذقت الدوق بادي الارتياح ، يخاطب دارتنيان :

لقد ضمتنا فاجية معينة ، فاذا كانت الازرار المسروقة لم
تهرب من انكلفتوا بعد ، فلن نصل الا بعد وصولك الى فرنسا افقد
امرت بشرب حصار شديد على جميع السفن والمراكب الموجودة
في الموانئ الانكليزية ، ومنعتها من الابحار الا باذن خاص .

وولاح دارتنيان يفكر مليا بهذا الرجل العظيم الذي يضع
جميع نفوذه وامكانياته في خدمة حبه !!

ويبدو ان الدوق قرأ ما يحول في مخيلة دارتنيان فابتسم
وف ال :

اجل ! ان آن دورتش هي مليكني ، فانا لا اتردد عن
الذخيرة بكل شيء في سبيلها . . لقد طلبت الي ان اوقف ارسال
الزبدات الى الهوتستانات الذين يحاصرون لاروشيل ، فنفذت
ونفذتها في الحال . .

وهذا زادت دهشة دارتنيان وحيرته ، اذ تساءل الى اي خيط
واه يربط مصير شعب او حياة الوف الرجال ! .

وقطع عليه سبيل افكاره ، دخول الصانع ، وهو ايرلندي ،
فان موضع ثقة الدوق ، وكان يجني من وراء هذه الثقة مبلغا
ضخما ، يقدر بحوالي مئة الف جنيه في السنة .

وبعد ان حيا بكل احترام وخضوع ، ناوله الدوق الازرار
المنسية ، وطالب اليه ان يصنع اثنين منها ، لا يختلفان عن الازرار

الاصلية ، وان ينتهي من صنعهما بعد غد ... ثم اردف الدوق
يقول :

- واقترح عليك ان تباشر صنعهما هنا ضمن جدران قصري ،
لانني لا اريد ان يقع نظر اي انسان عليهما .
فهز الصائغ رأسه ، واعلن انه سيفرغ من عمله في الموعد الذي
حدده الدوق .

وتنفس الدوق الصعداء ، والتفت الى دارتنيان يربت على
كتفه ويقول :

- والآن ماذا تطلب ايها الفارس الهام ؟

اجابه دارتنيان بكل بساطة :

- اطلب فراشاً وثوباً ، لاني في أمس الحاجة الى الراحة والنوم .
فأجابه لطلبه في الحال ، وافرد له غرفة مجاورة لجناح الدوق .
وفي هذه الاثناء ، اذيع في انحاء لندره ، ان جميع السفن ،
بما فيها سفن البريد ، القاصدة الى الموانئ الفرنسية لا تستلمع
مغادرة الميناء ، وفسر الناس هذا التدبير الطارىء بانه بداية اعلان
الحرب على فرنسا !

٥٥

وفي الموعد الذي حدده الدوق ، انتهى الصائغ من عمله ،
وقدم للدوق الحبتين ، وبلغ من عنايته ودقته في الصياغة ، ان
بات يستحيل على احدق الصاغة التمييز بينهما وبين الازرار الاصلية .
فانبسط اساور الدوق ، واجزل للبهو هري العطاء ، ثم استدعى
دارتنيان الى جناحه الخاص وخاطبه :

- اليك هذه الازرار التي تجشمت الصعوبات من اجلها ، اما العالبة فقل لجلالتها اني احتفظت بها . . ولا تنسَ ان تكون شاهدي امام الملكة ، وتقول لها انني فعلت فوق طاقتي البشر ، لأنفذ رغبتها . فاجابه دارتنيان :

-- كن مطمئناً يا مولاي ، فسابغ الملكة كل ما رأيته بالتفصيل . وتطلع الدوق الى الفارس دارتنيان وقال :

-- اما انت ايها الفارس الهام ، فكيف استطيع ان اكافئك على خدماتك واخلاصك ؟!

فاحمر وجه دارتنيان واجابه :

. انني باسيدي في خدمة ملك وملكة فرنسا ، وانتمي الى فرقة دي زيسار ، ولهذا فان ما قمت به يعتبر خدمة واجبة للملكة .

فشكره الدوق بحرارة وقال :

. لقد اندرت امر عودتك الى فرنسا ، بحيث تصل الى باريس دون عناء او مشقة ، فما عليك الا ان تقصد الى الميناء وتسال عن المركب المسمى « ساند » وتسلم الى قبطانه هذه الرسالة ، فيبحر بك في الحال الى ميناء فرنسي منعزل لا يقصده الا صيادو السمك فقاطعه دارتنيان :

-- وما اسم هذا الميناء ؟

. سان فاليري ، وهذا لك تقصد فور وصولك الى نزل متواضع ، ولا تنس ان تبدل ملابسك وتنزع من قبعتك شارة الفرقة التي تنتمي اليها . . . وتقابل صاحب النزل ، وتسرع بأذنه

كلمة السر وهي « الى الامام » فيرحب بك ! ويقدم لك جواداً
مسروراً ويدلك على الطريق التي يجب ان تسلكها .

وبعد ان زوده بهذه التعليمات مد يده وصافحه بحرارة وقال :
- ارجو لك التوفيق والسلامة ، ولنفترق الآن كصديقين

حميمين .

فصافحه دارتنيان وقال :

- انشى ان نصبح عدوين لدودين في المستقبل ، اذا ساءت
العلاقات بين بلادي وبلادك .

وحيا الدوق وانصرف مسرعاً باتجاه الميناء ، ولما وصل الى
مواجهة برج لندن ، عثر على المركب « ساند » وسلم رسالة
الدوق الى القبطان ، الذي احسن استقباله ، وتولى بنفسه انجاز
المعاملات اللازمة ، وبعد نصف ساعة ، كان المركب يخرج من
الميناء المزدهجماً بأكثر من خمسين سفينة ، وبينما كان المركب يمر
امام السفن الواقعة بمخيل لدارتنيان انه لمح على ظهر احدى السفن
السيدة الحسنة « ميلادي » والتي سبق له وشاهدها في بلدة « مينغ »
ولكن سرعة مجرى النهر ، لم تمكنه من ان يتبين ملامحها بدقة .
وفي صباح اليوم التالي ، وكانت الساعة قد قاربت التاسعة ،
ألقى المركب « ساند » مراساته في ميناء سان فاليري ، ونزل منه
دارتنيان الى اليابسة ، واتجه لثوه الى النزل الذي عينه له الدوق ،
وكان مزدهجماً بالبجاعة الفرنسيين ، وهم يتحدثون عن الحرب
المرتقبة بين فرنسا وانكلترا ، وكأنها امر واقع حتماً .
وراح دارتنيان يبحث عن صاحب النزل ، ولما عثر عليه ،

اقترب منه وهمس بأذنه كلمة السر « الى الامام » فأبدي الفندقى اهتماماً خاصاً به ، وأشار اليه ان يتبعه ، وقاده الى باب صغير يؤدي الى باحة الفندق حيث وجد جواداً مسرعاً بانتظاره ، فامتنطاه ، وقبل ان يبدأ السير بادره الفندقى بقوله :

— عليك ان تسلك الطريق المؤدية الى بلانجي ، ومنها تواصل طريقك الى نوفشانتل ، وهناك تقصد الى نزل « البجعة الذهبية » فاهمس بأذن صاحبه بكلمة السر ، تحصل على جواد آخر لتتمكن من متابعة سيرك .

وتمكن دارتنيان من قطع المسافة بين سان فاليري ونوفشانتل باربعة ساعات ، ونفذ التعليمات بحذافيرها ، وحصل على جواد آخر ، فامتنطاه وتابع سيوره بعد ان اعطى عنوانه للفندقى ... الذي نصحه بأن يتخذ طريق روان وجهة سيوره ، وفي روان ابدل الجواد بغيره ، وهكذا تمكن من قطع ستين مرحلة باقل من اثنتي عشرة ساعة .

وكانت الساعة تدق التاسعة صباحاً ، عندما اجتاز باحة قصر القائدي تريفيل ، الذي استقبله متظاهراً بعدم الاكتراث وكأنه رآه في الصباح ذاته ، وبينما كان يشد على يده ، ابلغه ان فرقته ستقوم بدورها في حراسة قصر اللوفر هذا المساء ، وعليه ان يلتحق برفاقه في الحال .

٢٢

الحفلة الراقصة



وفي اليوم التالي لعودة الفارس دارتنيان ، كانت باريس كلها تتحدث باهتمام زائد عن الحفلة الراقصة ، التي ستقام مساء اليوم في قصر البلدية ، تكريماً لصاحبي الجلالة الملك لويس الثالث عشر والملكة آن دوتريش ، وكان العمل جارياً منذ بضعة ايام على قدم وساق لانجاح هذه الحفلة بشكل يتناسب مع عظمة ومقام المحتفى بهما .

وعند الساعة الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم ، وصلت الى قصر البلدية فرقتان من الحرس الملكي احدهما فرنسية والاخرى من الجنود السويسريين المستأجرين .

اما الفرقة الفرنسية ، فكانت فرقة القائد دي زيسار ، والتي ينتمي اليها فارسنا دارتنيان ، وقد تم توزيعها على ابواب القصر ومدخله .

وما ان ازفت الساعه السابعة مساء ، حتى بدأت جموع المدعوين والمدعوات من النبلاء ، تفد الى قصر البلدية زرافات لتحفل مقاعدها المخصصة لها في القاعة الكبرى .

وعند الساعة العاشرة ، تعالت التهتافات وعبارات الترحيب من الجماهير المحتشدة في الخارج ، احتفاء بمقدم جلالة الملك الذي وصل وحده في عربته الملكية ، ترافقه عدة عربات اخرى تقل كبار النبلاء والاشراف ، وفي مقدمتهم وزير الملك ومستشاره نيافة الكردينال وبشليو ، وكانت عربته الفخمة والتي تحمل شعاره الخاص تسير وراء عربة الملك مباشرة .

وعندما ترجل الملك لويس الثالث عشر من عربته امام مدخل قصر البلدية ، لاحظ النبلاء المحيطون به بان مسحة من الاضطراب والقلق بادية على محيا جلالاته ، وبعد ان رد على تحية الجماهير بفتور ظاهر ، اتجه تواء الى المقصورة الملكية التي اعدت لاستراحته ، بانتظار بدء الحفلة .

وتعالت التهتافات مرة ثانية معلنة وصول موكب الملكة آن دوتريش ، وعندما دخلت القاعة ، لوحظ انها بادية الحزن والاعياء ايضاً ، رغم تكلفها الابتسام .

وفي اللحظة التي كانت تدخل فيها الملكة الى القاعة ، ازبح ستار عن مقصورة تقع الى يسار القاعة ، وظهر من خلفه ، وجه نحيل هو وجه الكردينال ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة الشمانية والسخرية ، عندما وقع نظره على صدر الملكة ، ووجهه خالياً من الازرار الماسية .

وبعد قليل ظهر الملك من طرف آخر للقاعة وقد ازداد اصفرار وجهه ، وكان الكردينال يسير الى يساره وهو يمس باذنه بعض الكلمات بصوت خافت ، وما لبث ان اقترب من الملكة بخطوات سريعة ، وخاطبها بصوت متهدج لم يسمعه سواها :

— لا ادري لماذا يا سيدتي ، لم تنزني بالازرار الماسية ؟

فرمت الملكة آن دوتريش ببصرها خلف الملك ، الى حيث الكردينال بعيداً وعلى شففيه ابتسامة شيطانية وقالت :

— خشيت ان افقد بعض هذه الازرار الماسية الثمينة في وسط هذه الجموع الزاخرة .

فاجابها الملك بلمهجة ساخرة :

— اخطأت يا سيدتي ، انني قدمت هـــــ هذه هدية لك ، لكي تظهرين بها امام الناس .

— اذا كنت تصر جلالتك على ذلك ، فاني سارسل في طلبها من قصر اللوفر في الحال .

— اسرعي ... اسرعي باحضارها يا سيدتي في الحال ، فالحفلة ستبدأ بعد ساعة . . .

وحيال هذا الاصرار من جانب الملك ، حيث آن دوتريش الملك بالحناءة قصيرة من رأسها وانسجبت مع وصيفاتها .

وشعر الحضور ان ثمة امرآ ذا شأن قد حدث بين الملك والملكة ، واكن لم يدرك كنهه احد ، اذ جرى الحوار بينهما في صوت خافت لم يصل الى المدعوين الذين افسحوا المجال للملك والملكة بان يتبادلا الحديث بحرية .

وعاد الملك الى مقصورته الخاصة ليبدل ملابسه ، ويرتدي ثياب الرقص ، ثم ما لبث ان خرج من مقصورته وقصد ارتدى بزة الصيد ، وبدأ فيها شاباً انيقاً ، يضاهي اجمل فتيان فرنسا رشاقة واناقة ، واقتدى به افراد حاشيته ، فارتدوا ملابس الصيد ايضاً . وفي هذه الاثناء ، تقدم الكردينال من جلالتة ، وقدم له علبة صغيرة ، تحتوي على حبتين من الازرار الماسية التي اهداها الملك لزوجته آن دوتريش .

فيما ان الاضطراب على محيا الملك وسأل الكردينال :

— ما معنى هذا ايها الكردينال ؟

— معناه يا مولاي ، انه اذا ظهرت الملكة وعلى صدرها الازرار الماسية ، وكان عددها عشرة بدلاً من اثنتي عشرة ، فلا بأس من ان تسأل جلالتها ، من الذي استولى على الحبتين الناقصتين ؟

وحقق الملك بوجه الكردينال ، وكأنه يطلب منه تفسيراً ... ولكن الوقت لم يسعه ليقصصه عن رأيه ... فقد ترمى الى سمعه اصوات الاعجاب صادرة من كبار المدعوين والمدعوات ، عندما برزت الملكة ، وهي في أسمى زينتها ، وقد فاقت جميع المدعوات جمالاً وفتنة ! والذي لفت نظر الملك اكثر من اي شيء آخر ... الازرار الماسية تتألق على صدرها البديع بشكل مفر ، ينتزع الاعجاب ، ولعلت عيننا جلالتة بالغبطة والارتياح ، بينما انقبضت اسارير الكردينال حقداً وغيظاً ... اذ كانت الازرار الماسية كاملة العدد على صدر الملكة الا وفي غمرة سروره واعجابه خطا

الملك نحو زوجته الملكة واخذ بيدها بعد ان انحنى لها ، وأشار الى
جوقة الموسيقى ان تبدأ العزف ، معلناً افتتاح الحفلة !
وظلت الموسيقى تعزف مدة ساعة كاملة ، وعند انتهاء
الرقص ، انتهز الملك هذه الفرصة وانتهى بالملكة آن دوتريش .
زاوية في القاعة وقال لها :

- اشكرك يا سيدتي لحرصك الشديد على تنفيذ رغبتني .
ثم استقرت عيناه بحركة لاشعورية على الاضرار الماسية التي
تزين صدر الملكة واردف يقول :
- لقد حرصت على ان احمل لجلالتك الماسين المفقودين من
هذه الحلية .

فتمسعت الملكة الدهشة وقالت :

هل ترغب بجلالتك بان تهديني ماسيتين جديدتين ، فيصبح
عدد الحبات ١٤ بدلا من ١٣ ، انه منتهى الكرم والسخاء منك
يا مولاي !

وراح الملك لويس الثالث عشر يحصى الماسات فتأكد انها ١٣
ماسة ، فالتفت الى الكردينال ريشايو وسأله بلهجة صارمة :

وبماذا تفسر ذلك ايها الكردينال ؟

فتظاهر الكردينال بالبساطة والخضوع وقال :

كنت ارجو ان تنازل جلالة الملكة وتقبل الماسيتين هدية
متواضعة مني ، ولما كنت لا اجزؤ على تقديمها الى جلالتها بنفسني
فقد رأيت ان اعمد الى هذه الوسيلة الجيدة .

وانبرت الملكة تجميه وقد تعبدت ان ترسم على شمس فتعياها

ابتسامه مصطنعة وقالت :

— اشكر نيافتك على هذه الهدية ، لاني واثقة تمام الثقة بانك بذلت في سبيل الحصول على هاتين الماستين ، اكثر مما دفعه الملك ثمنا للماسات الاثنتي عشرة !

قالت ذلك بشيء من التعدي ، وحيث الملك والكردينال بانحناء قصيرة من رأسها ، وانسحبت الى مقصورتها لترتدي ثيابها . وكان الفارس دارتنيان يراقب في هذه الاثناء ما يجري من احداث ، بوصفه من فرقة دي زيسار التي كانت تقوم بحراسة قصر البلدية في تلك الليلة . وبينما كان يفسح الطريق امام الملكة ، لتدخل الى مقصورتها شعر بيد ناعمة بيدضاء تربت على كتفه ، وامرأة مقنعة بقناع كثيف من المخمل الاسود ، تشير اليه بيدها ان يتبعها . . . وما ان امعن النظر في ملاحم حتى عرف انها جرين بوناسيو ملهمته وباعثة الحب الطاهر في سويداء قلبه !

وكان دارتنيان قد التقى بها لفترة قصيرة ، عندما قصد بصورة سرية الى القصر ، فور وصوله من انكلماتوا ، حاملا الازرار الماسية الى الملكة من الدوق دي بوكهمهام .

اما في هذه المرة فقد قرر في قرارة نفسه ان يبشها غراما واشواقا ، ولهذا سار في اثرها بلا تردد ، ورائها تفتح بابا وتدخل فتبسمها على الاثر ، فالفى نفسه في دهليز مظلم ، ثم رآها تريح سجادة معلقة بالجدار ، تكشف عن باب سري ، فتفتحه ، وتدخل وتلفها دارتنيان ، الى غرفة واسعة الارضاء مضاءة بالشعوع ، وما تلبث ان تختفي . وفي هذه الاثناء يطرق سمعه اصوات نساء صادرة عن

غرفة مجاورة ، ويتضح له من الاحاديث التي وصلت اليه ، ان
الملكة موجودة في تلك الغرفة مع وصيفاتها . ومع ان دارتنيان
لا يعرف صوت الملكة ، فقد تمكن من ان يميزه بين اصوات
النساء الاخريات ، اذ كانت يمتاز بلكنته الاجنبية عن بقية
الاصوات .

وفجأة امتدت يد ناعمة ، وناصعة البياض من فرجة الباب
الذي دخل منه ، وادرك انها يد الملكة آن دوتريش ، فبحسبها على
ركبتيه ، ولمس تلك اليد الممدودة بكلمات يديه برفق واحترام ،
وطبع عليها قبلة صامتة . . . وعندما اختفت تلك اليد البديعة ،
خلفت وراءها شيئاً ، تبينه دارتنيان فيما بعد ، فوجده خائفاً
ثميناً في وسطه فص من الماس البراق . . . فساحته يخفه الطرب
لهذه الهدية الثمينة تخصه بها الملكة ، وشعر بالزهو والكبرياء
يمن اعطافه .

ووضع دارتنيان اسلحاتهم الماسي باصبعه وانتذر ان يحصل على
مكافأة من مليكة قلبه ، بعد ان يحصل على مكافأة ماليته . وبعد
انتظار دام برهة من الزمن ، ظهرت حبيبة قلبه جرمين بوناسيو ،
وكان ما يزال القناع الكثيف يوجب وجهها القتان ، وقبل ان
يستترسل في العتاب والحديث ، وضعت سبابتها فوق شفتيه ترجو ان
يعتصم بالسكوت ثم تقدمت منه وهمست باذنه قائلة :

- ارجو ألا تذكر لاي مخلوق كان ما جرى لك ، وعد
من حيث أنتت . . الى اللقاء في المستقبل القريب . .
فتشبث دارتنيان بها قائلاً :

- ومتى اراك يا معبودتي ؟!

اجابته بجذر :

- ستصلك مني رسالة خاصة الى منزلك تعلمك كل شي .

فكن صبوراً . . . والى اللقاء القريب ا

٢٢٣

موعد غرامي !

•

وعاد دارتلبيان الى منزله فوجد خادمه بلانشيه بانتظاره على
أحر من الجمر ، فبادره قائلا :

- هل حمل الي احد رسالة خاصة ؟
اجابه بلانشيه :

- لم يحمل احد رسالة خاصة ... ولكن هناك رسالة قد
وصلت بطريقة سحرية !..

- وماذا تعني بذلك ايها الغبي ؟

- اعني انني عثرت على رسالة منقاة على المائدة في غرفة
دوت ان اعرف مصدرها !

واين هذه الرسالة العجيبة ؟

- تركتها في مكانها على المائدة ... اذ انه من غير المعقول

ان تتسرب الرسائل الى اصحابها على هذه الصورة السحرية ...

واسرع دارتنيان الى غرفته ، ليأخذ تلك الرسالة ، ويقرأها بلهفة
وشغف اذ كانت من حبيبته جرمين بوناسيو ، وتقول فيها :

— انني احمل اليك الشئ العاطر والشكر الجزيل على ما قمت
به من الاعمال الباهرة !.. ولا تنسَ ان تقابلني مساء غد عند
الساعة العاشرة في ضاحية سانت كلود ، في مواجهة منزل
السيد « داستواه » .

وخيل لدارتنيان ان الساعات لحول موعد اللقاء ، طويلة ،
فراح يحلم بالمتعة التي سيحصل عليها ... فقد كان ذلك اول موعد
له مع حبيبة قلبه .

ولاحظ خادمه بلانشيه انهماك سيمده بالتفكير فظنه مشغول
البال ، فسأله :

— هل اقلقتك وصول هذه الرسالة الى غرفتك بطريقة تدعو
الى الخذر والعجب معاً ؟

اجابه دارتنيان ضاحكاً :

— لقد اخطأت التقدير يا بلانشيه .. واليك بهذا الدينار اشرب
بشمنه نخب نجاخي !..

فشكره بلانشيه واستأذن بالانصراف .

وبات دارتنيان ليلته يحلم الاحلام الذهبية ، واستفاق في ساعة
مبكرة من الصباح ، ونادى خادمه بلانشيه وقال له :

— سأعود الى المنزل عند الساعة السابعة مساءً ، وعليك ان
تجهز اثناء غيابي جوادين مسرحين للقيام برحلة قد تستغرق الليل
بطوله .. ولا تنسَ ان تتسلح بدندقيتك وغدارتك .

فبان القلق على وجهه بلانشيه وسأل دارتنيان :
 — يا الهي ! هل لتلك الرسالة الملعونة التي هبطت علينا من
 السماء ، علاقة بهذه الرحلة الغامضة ؟
 — كن مطمئناً ايها الغبي ... ولن نقوم سوى بنزهة ليلية
 للتروفيه عن النفس .

وبينما كان الفارس دارتنيان يغادر منزله ، لمح صاحب المنزل
 بوناسيو ، واقفاً امام باب منزله ، يبادره التحية ، فاضطر دارتنيان
 ان يجامله ويبادلّه تحيته . وانتهر بوناسيو هذه المناسبة ، وراح يزعم
 امام دارتنيان ، بان اتباع الكردينال يسيثون معاملته ،
 والتنكيل به .

واضطر دارتنيان ان يستمع الى حديثه على مضض ، متظاهراً
 بالاشفاق عليه ، ثم ودعه وتوجه توجاً الى قصر القائد دي تريفيل ،
 فوجده منشراح الصدر ، باذي الابهتسام ، لان الملك والملكة قد
 ابديا نحوه كل عطف ورعاية اثناء الحفلة الراقصة .. بينما قابضه
 الكردينال بوجه عابس ، وانتهر القائد دي تريفيل فرصة خلوته
 بالفارس دارتنيان وخاطبه بصوت منخفض :

— والان دعنا نتحدث بصراحة عن مغامرتك الاخيرة ، لان
 لهذه المغامرة علاقة وثيقة بما يبدو على الملك والملكة من امارات
 الغبطة والانشراح ، وانتصار الملكة على مؤامرات الكردينال
 واتباعه ... وهذه المناسبة انصحك ان تكون شديد الحذر ،
 فالكردينال قوي الذاكرة ، ولن ينسى انك كنت السبب في
 احباط مؤامراته الاخيرة على الملكة .

فسأله دارتنيان :

— وهل تظنه يعلم انني كنت في لندره ؟

— وهل سافرت الى لندره وعدت منها بهذا الخاتم الماسي الذي

يلمع في اصبعك ؟

فاسهر وجه دارتنيان حنقاً وقال :

— ولكن هذا الخاتم الماسي ليس من عدو ... فالملكة هي

التي انعمت عليّ به .

وراح الفارس دارتنيان يقص على القائد دي تريفيل ما جرى

له من المفاجآت الغريبة اثناء الحفلة الراقصة ... وبعد ان استمع

القائد الى حديث مواطنه ، نصحه بان يبيع الخاتم الماسي او على

الافضل ان ينزعه من اصبعه ويخفيه .

فسأله دارتنيان بلهجة يشوبها بعض القلق :

— وهل هناك ما اخشاه ؟

— كل شيء محتمل من جانب الكردينال ، فلا تنم بعد الآن

نوم الرجل المطمئن ، واعلم ان اتباع الكردينال يحذقون بك من

كل جانب ، فلا تشق بأحد ، لا بصديق ولا بقريب ... وخلصه

بعشيقته ...

فامتقع وجه دارتنيان وسأله :

— ولماذا الحذر من العشيقه اكثر من سواها ؟

اجابه القائد دي تريفيل :

— لان من عادة الكردينال ، ان يستخدم النساء كواسطة

للتنكيل باعدائه ... ولهذا رأيت ان احذرك من النساء بصورة

خاصة .

٢٤

اختطاف جرمين بوناسيو



وفي الساعة السابعة مساءً ، كان بلانشيه ينتظر سيده الفارس دارتنيان في باحة قصر دي تريفيل ، مسكاً بعنان جوادين على أمة الاستعداد وقد تسليح ببندقية وغدادة ، كما وضع في حزام جواد دارتنيان غدارتين تحسباً للطوارئ .

وخرج دارتنيان ليجد كل شيء جاهزاً ، فامتطى جواده وتبعه على الاثر بلانشيه ، متجهماً نحو سان كلود . ولا حظ دارتنيان ان خادمه بلانشيه بدأ يسير بمحاذاة عندما توغلا في غابة بولونييه ، وسط الاشجار الكثيفة ، فالتفت اليه يسأله :

- اراك معتصماً بالصمت يا بلانشيه ولماذا ؟

- ان اجتياز هذه الغابة الموحشة ، توحي لي بالارهاب .

والصمت التام .

فسأله دارتنيان مداعباً

- وهل انت خائف ؟

- لست خائفاً يا سيدي ، وكل ما في الامر انني اخشى التكلم
بصوت مرتفع في وسط هذه الغابة .
- ولماذا الخوف يا بلانشيه ؟

أخشى ان نذهب ضحية الغدر والخيانة يا سيدي ... لقد
واقبتك وانت تحدث بوناسيو امام باب منزله ، وام ارجح لتصرفاته
وهيئته ..

- واي شيطان جعلك تذكر بوناسيو في هذه اللحظة ؟ .. لا
شك انه الجبن !

- ليس الجبن يا سيدي ... بل قل الخذر واليقظة .
فاجابه دارتنيان وكان قد تذكر ما نصحه به قائده دي تريفييل :
- الحقيقة ان تصرفات ذلك الخنزير بوناسيو ، لا تعجبني !
ثم لكز جواده يستعجله على السير ... وعاد الصمت ليخيم من
جديد على الفارسين ، الى ان استأزا الغابة وانتهيا الى ضاحية سان
كلود ، وهناك اتجه دارتنيان الى المكان الذي حددته له عشيقته ،
وترجل عن جواده ، وسلم زمامه الى بلانشيه وقال :

- اسمع يا بلانشيه ، عليك ان تنتظري في إحدى الحانات القريبة
من هنا حتى الساعة السادسة صباحاً .

وترك خادمه يدخل إحدى الحانات ، واتجه بدوره نحو شارع
فرعي منعزل ، يقع فيه المنزل الذي عينته جرمين بوناسيو في
رسالتها ، وكان يحيط به سور مرتفع . وكان وصول دارتنيان في

الموعد المحدد بالضبط ، ولكنه لم يجد احداً ينتظره ، وراقب المنزل فلم يسمع حركة او اشارة من داخله وراح يدور حول المنزل يتفحصه بدقة وامعان ، وفي اثناء ذلك بدأت ساعة سان كلود تدق معلنة العاشرة مساء .

وكانت عينا دارتنيان رغم الظلام الدامس ، لا تفارق نوافذ المنزل لحظة واحدة ، وظل ينتظر حتى الساعة الحادية عشرة دون جدوى ، واخيراً عيل صبره ، فاقرب من سور المنزل يحاول تسلقه ، فلم يستطع ، فاتجه الى شجرة مرتفعة قريبة من السور ، وتسلقها بحفة ، وراح يتطلع الى داخل المنزل من خلال النوافذ فوقع نظره على اشياء فظيعة ، جعلت شعر بدنه يقشعر . . كان هناك غرفة مبعثرة الاثاث ، وقد تحطم زجاجها ، وفي وسطها مائدة زاخرة بالوان الطعام والمشروبات قد بعثرت محتوياتها حديثاً على ارض الغرفة . . بما يدل على انها كانت مسرحاً لمعركة عنيفة . وتمكن دارتنيان رغم الضوء الخافت الذي ينير الغرفة ، من رؤية بقع الدماء تلطخ ارجاءها وبعض الثياب النسائية الممزقة ملقاة على الارض .

واسرع دارتنيان بالنزول ، ليواصل بحثه حول المنزل ، فعثر قرل السور على فردة قفاز نسائية يفوح منها عطر ذكي الرائحة ، كما شاهد على الارض الرطبة آثار اقدام لعدة رجال مختلطة بعضها ببعض و آثار دواليب عربية امام باب المنزل .
وداهبت بدارتنيان الظنون ان حبيبة قلبه قد ذهبت ضحية مؤامرة جديدة من اتباع الكردينال لاخطافها . . . واسرع

يطرق باب المنزل المجاور ، عليه يجد من يساعده على حل هذه
الالغاز والمعميات ، ولم يجبه احد ، واعاد الطرق بشدة ، وهنا
شاهد نوراً خافتاً يظهر من خلال احد النوافذ ، فرفع
رأسه وقال :

— بحق السماء . افتح يا هذا ، ولا تخش بأساً .

وفجأة فتحت نافذة تطل على الطريق واطل منها رأس كهل
فبارده دارتنيان يشرح له غرضه ، فقال انه كان على موعد مع
امراً حسناً في المنزل المجاور ، ولم تحضر ، وانه يعتقد ان حادثاً
قد اصابها في هذا المنزل .

وكان الكهل يصغي الى ما يقوله دارتنيان ويهر رأسه وكأنه
يؤيد قوله ثم التفت الى الشاب وقال :

— لا تطلب مني ان اصرح لك بما رأيت ، لاني اخشى ان
يصيبني مكروه من جراء ذلك .

وهنا تناول دارتنيان من جيبه ديناراً ورماه الى الكهل وقال :

— بالله عليك تكلم ، وقل ماذا رأيت ولا تخش بأساً .

فتلقف الكهل الدينار وراح يداعبه بين يديه واعتزم ان
يصرح بما يعرفه للشاب وقال :

— كانت الساعة تقارب التاسعة عندما سمعت ضجة قرب منزلي

فرميت ببصري من خلال النافذة ، فشاهدت بعض الاشخاص
يحاولون اقتحام منزلي ، ولما كنت فقيراً ولا اخشى اللصوص ،
بادرت الى فتح باب منزلي ، فطالعت وجوه ثلاثة رجال ، وعربة
مقفلة وقفت على مقربة منهم ، وسألتهم عن غرضهم من الدخول

الى منزلي ، فاجابني احدهم بانهم يبحثون عن سلم . . .
قلت له : «لدي سلم قديم استخدمه لقطف الثمار من حديقتي» .
فبادوني بقوله: « هيا جئنا به ، واليك هذا الدينار وادخل الى
منزلك واياك ان تحاول مراقبة ما يجري في الخارج . »
فاسرعت باحضار السلم ، ثم أقفلت باب منزلي بعد ان انقضى
الدينار بوجهي . . . ولكنني شككت بنواياهم ، فعدت الى
مراقبتهم من باب الحديقة ، فشاهدت الرجال الثلاثة يستندون
السلم الى جدار المنزل المجاور ، ويستدعون رجلاً كهلاً قصير
القامة يرتدي ملابس قاتمة ، ويطلبون اليه ان يتسلق السلم ليراقب
ما يجري داخل إحدى الغرف المضامة ، فتسلق الرجل القصير
السلم ، ولما نزل سمعته يقول بصوت خشن :
- انها هي بعينها ! .

وبسرعة البرق ، اقترب الرجال الثلاثة من باب المنزل ، وفتحه
احدهم بفتاح معه ، ودخلوا . . . وبعد لحظات قليلة تراءى الى
سمعي صرخات امرأة تستغيث . . . وبعد دقائق ثلاث ، شاهدت
الرجال الثلاثة يحملون بين أيديهم المرأة الشابة ، بعد ان كتموا
فمها ولفوا جسدها برداء اسود ووضعوها داخل العربة التي انطلقت
بها بسرعة ، بينما امتطى الرجال الثلاثة جيادهم وساروا
باسرها . . . »

ولما انتهى الرجل من حديثه سأله دارتنيان وهو بادي القلق :
. وهل يمكنك ان تصف الرجل الذي كان يتزعم هذه
الجملة ؟

— انه رجل اسمر اللون ، له شاربان ، وتدل ملامحه على انه من النبلاء .

فصاح دارتنيان :

— انه هو بعينه ... دائماً هو ذلك الشيطان الحقير !

وعندما غادر دارتنيان ضاحية سان كلود ، كانت الساعة قد جاوزت منتصف الليل ، فراح يبحث عن خادمه بلانشيه في الحانات الواقعة قريباً من المنطقة وبعد ان اعياه البحث دون ان يجده ، قرر ان يقضي ليلته ساهراً في احدى هذه الحانات ، فدخل اول حانة صادفته في طريقه ، وكانت تعج بطبقة من العمال يسكرون ويعربدون ، فاخترق صفوفهم واختار لنفسه مائدة منزوية وجلس عليها منفرداً وطلب زجاجة من الخمر ، راح يحتسيها بتمهل ، وهو بادي القلق ... ولما اتى عليها ، غلبه النعاس ، فنام نوماً مضطرباً ، واستمتع في الصباح ، ليبري نفسه مع حفنة من اللافاقين الذين تعودوا النوم في هذه الحانات ، فاسرع بالخروج ، وما ان سار بضع خطوات حتى لمح رغم الضباب الكثيف ، خادمه بلانشيه ، يقف امام احدى الحانات . مسك بيده عنان الجوادين

الفارس بورتوس

وبدلاً من ان يقصد الفارس دارتنيان الى منزله ، ليصلح من شأنه ، ويأخذ قسطاً من الراحة بعد تلك الليلة المرهقة للجسم والاعصاب ، توجه توأ الى قصر القائد دي تريفيل ، وقد عزم ان يروي له كل ما حدث له من مفاجآت واحداث خطيرة .
واضح القائد دي تريفيل الى حديث مواطنه الشاب باهتمام ثم قال له :

- لاشك ان لثيافة الكوردينال ضلعاً في هذه المؤامرة .

فسأله اورتنيان :

- وبماذا تشير عليّ ياسيدي القائد ؟

- اشير عليك ان تسرع بمغادرة باريس في الحال .

- ولماذا ياسيدي القائد ؟

- لا حاجة لشرح الاسباب الآن ، فعليك ان تغادر باريس

في اسرع وقت ممكن ، وسأتولى بالنيابة عنك مقابلة جلالة الملكة ،
وادكر لها تفاصيل حادت اختفاء وصيقتها جر مين بوناسيو ...
وربما في عودتك تكون الامور قد سويت على ما يرام .
وادرك دارتنيان ان وعد قائده ومواطنه يعني كل شيء ،
فانحنى مودعاً وانصرف .

وفي طريق عودته الى منزله ، التقى ببوناسيو يقف على باب
منزله وهو يرتدي ملابس الصباح ، فقرر ان يتجاهله ، الا ان
بوناسيو تعمد التجرش به وبادره بقوله :

- يبدو انك قمت بتبليغ بليلة لذينة ايها الشاب ، بدليل عودتك
في مثل هذه الساعة من الصباح .
فاجابه دارتنيان بلهجة ساخرة :

- اما انت يا سيد بوناسيو ، فلست بحاجة الى ملاحظة النساء ،
فامرأتك اية في الجمال والفتنة .. ومن كانت السعادة في بيته ،
فلا حاجة به الى الركض وراءها ...

فامتقع وجه بوناسيو لهذه العبارة وتظاهر بالابتسام وقال :
- يا لك من شاب مغامر ، وارجو ان يكون التوفيق
حليفك في مغامراتك الغرامية . فصعد دارتنيان من قمة رأسه
الى اخمص قدميه ، وقد ساورته الشكوك ، وأيقن ان الرجل
القصير الذي استخدمه الرجال الثلاثة لاختطاف تلك المرأة من
منزلها في ضاحية سان كلود ، ما هو الا بوناسيو نفسه ، وقد
ساعد رجال الكوردينال على تسليم امرأته اليهم ... وود دارتنيان
لر يقبض على خناق هذا الرجل الخفي ويقضي عليه في الحال ...

- الا انه تما لك اعصابه ، وتابع سيره الى شقته .
وهناك تلقاه خادمه بلانشيه بلهفة قائلاً :
— لقد حضر الى هنا السيد دي كانوا ، وطلب مقابلتك .
فسأله دارتنيان مندهشاً
— وهل تعني دي كانوا ، قائد حرس الكردينال بنفسه ؟
— اجل يا سيدي
— وماذا جاء ليعمل ، هل جاء لالقاء القبض عليّ ؟
— لا ادري يا سيدي لقد ألح بان توفي نيافة الكردينال الى
قصر اللوفر لمسألة هامة .
— وبماذا أجبته ؟
— قلت له انك مسافر خارج باريس ، فعاد يكرر قوله : « قل
لسيدك ان يذهب لمقابلة الكردينال عند عودته ، لان على هذه
المقابلة تتوقف سعادته . »
فربت دارتنيان على كتف خادمه بلانشيه وقال :
— اطمن يا عزيزي بلانشيه ، فاسوف تحتفظ بسيعتك هذه
المرة كرجل صادق ، لاننا سنرحل بعد ربع ساعة ، ولا تنس
ان تجهز كل مايانزمننا من مؤونة وذخيرة لرحلة طويلة وشاقة ايضاً .
واردف دارتنيان يقول :
— اسمع يا بلانشيه ، عليك ان توافيني مع اربعة جياد الى قصر
القائد دي تريفل ، لانني قررت ان ابحث عن رفاقي الثلاثة :
آتوس ، بورتوس ، وارانيس ، واعدوهم الى باريس ، وارى ان
تنتظرنني في باحة القصر مع الجياد ، لكي لا نلقت نظر اعدائنا

الذين يتربصون بنا ، وخاصة هذا الرجل النذل بوناسيو . . .
وغادر منزله بهدوء ، وقصد اول الامر الى منازل رفاقه
الثلاثة آتوس وبورتوس وارانيس ، فوجد في منزل الاخير رسالة
معطرة مكتوبة بخط انيق ، فاخذها ليوصلها الى صاحبها ، وبعد
ان وصل الى قصر دي تريفيل ، وافاه الى هناك بلانشيه مع اربعة
جباد جاهزة .

وعندما خرجا من قصر دي تريفيل ، سار كل واحد منهما
باتجاه مختلف زيادة في الاحتياط ، على ان يلتقيا على باب سان دينس
ومن هناك تابعا سيرهما بكل حذر وحيطه حتى بلدة سانتيلي ،
وقصد دارتنيان النزل الذي تناول فيه طعام الافطار مع رفاقه
الفرسان الثلاثة ، ودخله واتجه الى سحجرة منزلة ، جلس فيها
وطلب زجاجة من اجود الخمر وطعاماً ، ثم امر الخادم ان يحضر
اليه قدين ويستدعي صاحب الفندق ، ولما حضر بادره دارتنيان
بقوله :

— هل لك ان تشاركني بتذوق هذا الببذ ، والمشراب اولاً
نخب نجاج فندقك .

فشكره الفندق من صميم قلبه ورفع كأسه وراحا يتجاذبان
أطراف الحديث الى ان سأله دارتنيان عن مصير الفارس
بورتوس . .

فأجابه الفندق :

— انه ما يزال يقيم في الفندق ، منذ تلك المباراة المشؤومة ،
والامر الذي يقلقني ، النفقات الباهظة التي ثراكت عليه . . وقد

حاول ان يستنجد بعشيقه من النبيلات لتمدده بالمال ، فقد سلمنا رسالة باسم الدوقة « كوكينار » في باريس ، ولكن حتى الان لم نصله المساعدة ..

فبادره دارتنيان بقوله :

— لا تقلق من هذه الناحية ، فسنولى تسديد هذه النفقات ،

والان هل يمكنني رؤيته ؟

— بكل تأكيد ياسيدي ، انه يقيم في الطابق الاول في الغرفة

رقم (١) .

واسرع دارتنيان يرقعي الدرج ، ودخل الى الغرفة التي يحتلها بورتوس ، فوجده مستلقياً على سريره ، بينما كان خادمه موسكينون منهجكا في اعداد الطعام .

وما ان ابصر بورتوس صديقه دارتنيان ، حتى هتف قائلاً :

— هذا انت ايها الصديق ؟ ! اهلاً بك ! ولكن اعذوني لاني

لا استطيع الوقوف للترحيب بك .

وحقق بوجه دارتنيان بشيء من القلق واردف يقول :

— وهل علمت ماذا اصابني ؟

اجابه دارتنيان بعدم اكتراث :

— كلا .. وارجو ان تقص عليّ ماذا جرى لك ؟

فبان الارتياح على وجه بورتوس وقال :

— لقد اصطدمت رجلي بحجر ، فوقعت ارضاً بينما كنت

اكيل الضربات الى خصمي ... اما المال الذي كان في جيبتي ،

فقد قامرت به ، وخسرته كله ، واصبحت مديوناً لصاحب الفندق

بمبلغ كبير ، ولهذا كتبت الى احدى صديقاتي لكي تبعث لي بمبلغ
خمسین دیناراً ، الا انها حتى الان لم تجب علي رسالتي ..

وفي هذه الاثناء كان الخادم موسكينون قد انتهى من اعداد
الطعام ، فدعا بورتوس صديقه دارتنيان ليشاركه طعام الافطار
فشكره وقال انه تناول طعام الافطار فور وصوله . وراح
دارتنيان يسرد علي مسامع بورتوس ما حل بهم من متاعب
ومشاكل ، فاحبره كيف تعرضوا المؤامرة ، انتهت باصابة اراميس
بجرح في كتفه ، واضطراره الى البقاء في بلدة كريفكور ، كما تورط
آتوس بمشكلة اخرى هي اتهامه بتزوير النقود ، مما اضطره الى
تركه في اميان ، ومتابعة سيره الى كاليه مع خادمه بلانشيه . ثم
تحدث باسهاب عن الصعوبات التي اعتوزت طريقه للوصول الى
انكائرا وكيف تمكن من تذليلها.

وبعد ان قضى بعض الوقت مع صديقه بورتوس اعلمه انه
ينوي مواصلة السير حتى اميان ماراً ببلدة كريفكور ، ليطمئن
علي صديقه اتوس و اراميس ثم ودعه وانصرف ، واعدأ بان يسلك
الطريق نفسها في عودته مع رفيقه ...

اراميس . . . الراهب



ومرت بمخيلة دارقنيان حوادث ليلة امس ، وموعده مع السيدة بوناسيو في ضاحية سان كلود ، وراح يحدث نفسه : ترى ماذا حل بها ؟ واين هي الآن ؟ او تذكر مؤامرة الكردينال ريشليو واتباعه ضد الملكة آن دوتريش ، فتأكد ان حبيبته المسكينة ، كانت ضحية نقمة الكردينال عليها لانها وصيفة الملكة ، ولم يشعر الا وقد وصل الى بلدة كريفكور ، حيث ترك اراميس وخادمه . . .

واستقبلته على مدخل الحانة امرأة بدينة ، تبدو البساطة والدعة على وجهها المنتفخ المتورد ، فحياها وسألها :
هل لك يا سيدتي الطيبة ، ان تعلميني عما حل بشاب جريج
اضطربنا الى تركه مع خادمه في حانثك منذ عشرة ايام تقريباً

اجابته المرأة البدينة .

— أتعني ذلك الشاب الجميل فهو ما يزال مقيماً هنا ...

فانبسطت اسارير دارتنيان وسألها :

— واين هو الآن ؟

— لا اعتقد انه سيقابلك ، لانه في خاوة مع كاهن القرية ،

ورئيس الدير اذ انه بعد شفائه من جرحه ، اعلن عن رغبته

في الانخراط بسلك الرهبنة !

وضرب دارتنيان على جبهته وقال :

— يا الهي لقد سها عن بلي بانه اختار مهنة الجنديه مؤقتاً !..

فسألته المرأة البدينة :

— وهل تصر على رؤيته يا سيدي :

— اجل ...

فاشارت المرأة بيدها قائلة :

— انه يقيم في الطابق الثاني في الحجرة رقم ٥ .

واسرع دارتنيان الى تلك الحجرة ، فوجد صديقه اراميس

جاث بخشوع بين اثنين من رجال الكهنوت ، يستمع الى قراءة

يتلوها الكاهن بصوت خاشع .. وكان كل شيء في الغرفة يوحي

بالرهبة والخشوع ..

ورفع اراميس رأسه بهدوء وقال بلهجة تغلبت عليها الرزانة :

— مرحباً بك ايها العزيز دارتنيان ، ثق انني مسرور برؤيتك .

اجابه دارتنيان ساخراً :

— يا الهي ! هذا انت يا اراميس . ؟ كدت لا اعرفك !

وهنا التفت اراميس الى صديقه وقال :
 - اني اشكر الله على عودتك اليّ سالمًا وفي تمام الصحة ...
 وقد كنا قبل حضورك نتناقش في بعض المسائل الروحية التي
 تشغل بالنا منذ زمن بعيد ، ويسرني ان اعرف رأيك فيها .
 اجابه دارتنيان بلهجة الساخرة :

- ان رأي رجل السيف في مثل هذه القضايا لا قيمة له !
 فامتعض رجلا الدين من لهجة دارتنيان الساخرة ، وانسحبوا
 من الغرفة ، فرافقهما اراميس حتى الدرج ، وعاد ليجد صديقه
 دارتنيان يحرق الارم من شدة الغيظ ، فبادره اراميس يقول
 بصوت هادئ :

- أرايت يا صديقي .. انني عدت الى السلك الذي نشأت في
 وسطه !

فسأله دارتنيان :

- وما الدافع لهذا التبدل المفجائي في مجرى حياتك !
 - ان لهذا قصة قديمة ، فعندما كنت في التاسعة من عمري ،
 دخلت احد الاديرة ، لأتلقى علوم اللاهوت واصبح راهباً فيما
 بعد . وقبل ان ارسم راهباً بايام قليلة ، وكنت قد قاربت
 العشرين ، حدثت لي حادثة ، ابدلت اتجاه حياتي .

ففي ذات يوم كنت في زيارة لأحد المنازل التي كنت اتردد
 عليها من حين لآخر ، ففاجأني ضابط شاب ، في خلوة مع سيدة
 المنزل ، بينما كنت اقرأ لها حياصة القديسين .. فابدى الضابط
 غضبه ، الا انه لم ينبس ببنت شفة ، وما ان خرجت من المنزل

حتى لحق بي وخاطبني وهو يهز بيده سوطاً :

— هل تعجبك ضربات هذا السوط ؟

اجبته :

— لم يجرؤ احد ان يوجه اليّ مثل هذا الكلام .

— اسمع ايها الراهب الشاب ، اذا حاولت العودة الى المنزل

فلن اتأخر من استخدام سوطي في قفاك ..

فامتقع وجهي ، ولم اجد مخرجاً سوى السكوت ، وبلع

الاهانة ، وانا ارتدي ملابس الكهنوت .

ولما رأى الضابط تحاذي قمقه ضاحكاً واداري ظهره ، وعاد

الى منزل السيدة وهو منشرح الصدر ... وعدت الى الدير وانا

في اشد حالات الغضب والاضطراب ، وشعرت بدماء الشباب

الحارة تفور في رأسي ، لقد كانت الاهانة فظيعة ولا يمكن

السكوت عنها ...

واتخذت في تلك الليلة نفسها قراراً خطيراً ، ابلغته في الصباح

لرئيس الدير ، وقلت له بانني غير مهيء لان ارسوم كاهناً ، ولهذا

اطلب ارجاء ذلك مدة سنة .

وخرجت من الدير ، وقصدت امهر لاعب سيف في باريس ،

وتلقيت على يده تدريبات بديدة على لعب السيف واصول المبارزة

طيلة سنة كاملة . وبعد انقضاء سنة ، وفي مثل اليوم نفسه الذي

تلقيت فيه اهانة ذلك الضابط ، حضرت حفلة راقصة . وما انت

لحقت ذلك الضابط بين الحاضرين ، حتى اقتربت منه وقلت له

بلهجة حازمة :

— لقد قررت ايا الضابط ان اتحداك وازور منزل تلك
السيدة الواقع في شارع « بايان » ؟
فاتسعت حدقتا الضابط وسألني بلهجة مرتبكة :
— وماذا تقصد بهذا القول ، ومن انت ؟
اجبته :

— انني الراهب الذي هددتني بسوطك لسنة خلت واليوم
جئت لاصفي حسابي معك ، فهل بنا ...
فبان التردد والارتباك على وجهه ثم قال بصوت مبحوح :
— هيا بنا !..

ثم التفت الى بعض السيدات المحيطات به وقال :
— سأعود حالاً ، بعد ان افرغ من تصفية حسابي مع هـ :
السيد المغرور !

وتعمدت ان اسيرو به الى شارع بايان ، وتوقفت في المسكن
الذي وجه به الالهانة الي منذ سنة ، وتمكنت في الجولة الاولى من
ان اوجه طعنة قوية اخترقت صدره وكانت كافية للقضاء عليه ..
وهكذا اضطرت لان اطلق حياة الرهينة وانضم الى فرقة
الحرس الملكي ، بمساعدة صديقي آتوس وبورتوس ، اللذين تعرفت
عليهما ، عندما كنت اتدرب على المبارزة .
والآن بعد ان اصبحت بهذا الجرح ، عاودتني من جديد ،
فكرة الالتحاق بسلك الرهينة .

فابتسم دارتنيان وسأله :
— أوليس في سويداء قلبك بقية حب لفتاة حسناء ..

فتظاهر اراميس بالامتعاض من سؤال رفيقه وقال :

— ما هذا الهراء ؟ ..

وهنا زفر دارتميان زفرة عميقة وقال :

— اما انا فاحببت امرأة حتى العبادة ، وقد اختطفتها يد اثمينة
ولا ادري اين هي الآن ، فربما كانت سجينة او في عالم الاموات !
اجابه اراميس :

— ان تمزيبك الوحيدة ايها الصديق ، انها لم تهجرك او تجفوك
عمداً ... اما انا ...

وشعر بان لسانه قد انزلق فعاد الى الصحة .

وضرب دارتميان يده على جيبه وكأنه تذكر شيئاً وقال :
— لقد سها عن بالي ان اعلمك ان رسالة معطرة قد وصلت الى
منزلك ببباريس في اثناء غيابك ، وقد حملتها معي ...
وتناولها دارتميان من جيبه واردف يقول :

— وهذه هي ..

فاختطفها اراميس بلهفة وراح يلمتهم سطورها ، ولما انتهى من
تلاوتها صاح جذلاً :

— شكر الله ، لقد اضطرت للعودة الى تورس ... انما ما
زالت تحبني ...

وهجم على دارتميان يحتضنه ويقول :

— انني في منتهى السعادة يا صديقي ..

ثم راح يرقص في حجرته من فرط غبطته . ونادى خادمه بازان
وطلب اليه ان يعد لها وجبة طعام فاخرة ، وان يأتيها بأربع
زجاجات من أفخر خمر بورغونيا المعتقة ، احتفاء بهذه المناسبة
وبرجوع اراميس عن قراره والعودة الى صفوف زملائه الفرسان .

٢٧

زوجة آتوس



- وبعد ان انتهيا من تناول الطعام ونجرح زجاجات الخمر ،
التفت دارتنيان يخاطب اراميس :
- علينا ان نبحث عن آتوس لنطمئن عليه .
فسأله اراميس :
- وهل هناك من خطر يتهدده ؟
- هذا ما اخشاه ، لا سيما وقد تركته مشتبكاً بمعركة دامية
مع عدد من اتباع الكردينال المأجورين .
- سأرافقك للبحث عنه ، واعتقد انني اصبحت بحالة تسمح
لي بركوب الخيل ، ومتى ستواصل سيرك ؟
- غداً عند منبليج الصباح ، وسنرى اذا كان باستطاعتك مرافقتي .
وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي كان بلانشيه وبازان
قد اعدا الجياد استعداداً لبدء الرحلة .

وكان أول من اعتلى ظهر جواده أراميس وما ان دار به الجواد بضع دورات حتى شعر بآلام حادة في موضع الجرح ، ولا حظ دارتنيان اصفرار وجهه ، فأسرع ينزله من على ظهر الجواد ، ويحملة حتى غرفته ، ولما استقر على سريره بادره دارتنيان بقوله :

- لا بد ان جرحك لم يندمل تماماً ، وعلى هذا سأواصل سيوري مع خادمي بلانشيه ، لنبيهت عن آتوس وسأمر بك في طريق عودتي .

ثم ودعه وغادر الفندق مع بلانشيه . مواصلاً سيوره الحديث نحو بلدة اميان ، فوصلها عند الساعة الحادية عشرة ، فترجل عن جواده ، امام باب الفندق الذي ترك فيه آتوس ، ودخله ويده على مقبض حسامه ، ولما وقع نظره على الفندي اللعين بادره دارتنيان :

- هل عرفتني ايها الرجل؟

اجابه الفندي وهو يمد يده ليصافح دارتنيان :

- لم أتشرف بمعرفتك ايها السيد العظيم ..

فتجاهل دارتنيان يد الفندي وقال بلمهجة جافة :

- سأجعلك تتذكرني جيداً . قل لي ماذا حل بذلك الفارس

الذي اتهمته زوراً بأنه مزيف نقود؟

فامتقع وجه الفندي وبان الخوف والارتباك في حركاته

وقال :

- عفوك يا سيدي سأكون صريحاً وصادقاً هذه المرة ، لقد

دفعت غالباً ثمن تلك الهفوة .
ولحق بلانشيه بسيدة واقترّب من الفندق ينتهره ، بينما كان
دارتنيان يلح عليه بالسؤال عن آتوس .
وبدأ الرجل يرتجف خوفاً من سوء المصير ، وخاطب دارتنيان
متوسلاً :

– ارجو يا سيدي ان تتفضل بالاصغاء اليّ قليلاً !
اجابه الفارس بلهجة خشنة :
– هيا تكلم وكن صادقاً في حديثك
وبدأ الفندق يتكلم قال :

– لقد قيل لي ان احمد مزيقي النقود الخطيرين سيصل الى
فندقي مع عدد من رفاقة وخدمه وسيكون متخفياً بزي فرسان
الحرس الملكي ...
فقاطعه دارتنيان بصبر نافذ :

– وماذا جرى للفارس وابن هو الآن ؟؟

– لا تقلق عليه فهو بصحة جيدة ، اذ تمكن مع خادمه
من الافلات من قبضة مهاجميه ، واعتصم في قبو الخور واقفل
الباب عليه من الداخل ، وما يزال منذ ذلك اليوم في داخل القبو ،
يرفض الخروج . وذات يوم حاولت النزول الى القبو مع اثنين
من خدمي ، لاحضار بعض زجاجات الخمر الممتعة والاحوم المقددة ،
فثار ثأره ، وهددنا بالموت اذا دخلنا القبو ... فاضطرت الى
العودة مع خدمي ، عندما سمعته يحشو غدارتيه استعداداً لاطلاق
النار علينا . تصور يا سيدي انه منذ ان احتل القبو مع خادمه ،
لم يجرؤ احد على الدخول ، واصبحت مهدداً بالحراب ، لان

مؤونة الفندق كلها مخزونة داخل القبو ، فهناك براميل وزجاجات
الخمر والجلعة وكميات الاحوم المقددة والجن ...

فاطلق دارتنيان ضحكة مدوية وقال :

— لقد انتقم آتوس لنفسه منك ، وكان عمله جزاء وفاقاً .

وهنا تقدم الفندقي من دارتنيان متوسلاً وقال :

— ارجوك يا سيدي ان تقنعه بالخروج من القبو ، فقد وصل

الى الفندق منذ ساعات اثنان من الانكليز مغرمان بالخمر

الفرنسية ، وطلبنا الي ان احضر لهما بعض الزجاجات المعتقة ،

فاعتذرت لهما ، بعد ان اخبرتهما بقصة الفارس الذي يعتصم بالقبو .

وفي هذه الاثناء ، سمعت اصوات صادرة عن القبو ، فاسرع

دارتنيان وبلانشيه الى مصدر الاصوات ، فوجدا الانكليزيات

يحاولان اقتحام باب القبو ، ليحصلوا على زجاجات الخمر .

وادرك آتوس الذي يعتصم مع خادمه داخل القبو ، بما يجري

في الخارج فصاح باعلى صوته مهدداً متوعداً :

— هيا اقتحموا باب القبو ، وسترون ما سيحل بكم ! ..

وبان التردد على الرجلين الانكليزيين ، وراحاً يتبادلات

النظرات ، فوجدا ان من العار عليهما التراجع ، فتقدم احدهما

من باب القبو ورفسه برجله محاولاً فتحه .

وفي هذه اللحظة تردد صوت دارتنيان يقول لخادمه :

— كن على استعداد يا بلانشيه !

وهتف آتوس من خلف باب القبو يقول :

— يا الهي ! يخيل لي اني اسمع صوت دارتنيان !

فاجابه دارتنيان بصوت مرتفع قائلاً :

— انا هنا يا صديقي فلا تقلق .

قال آتوس :

— مرحباً بك ايها العزيز .. والآن دعنا نصفي حسابنا مع

هذين الوقحين .

وشعر الرجلان الانكليزيان بالخطر يحذق بهما من كل حدب

فانسجبا ، مفضلين السلامة على التمتع بالجزيرة الفرنسية اللذيذة ...

وتقدم الفندي من دارتنيان يتوسل اليه ان يطلب من صديقه

آتوس بان لا يطلق النار .

فصاح دارتنيان باعلى صوته يخاطب آتوس :

— لا حاجة لاطلاق النار ، فقد انسحب الرجلان ، وانا الآن

وحدي مع بلانشيه فيمكنك ان تفتح الباب .

وما هي الا دقائق معدودة ، حتى برز رأس آتوس من فتحة

باب القبو ، فاسرع دارتنيان بالدخول ليجد اكواماً من زجاجات

الخمر والجرة الفارغة متراكمة قرب الباب ، وكان آتوس على احسن

ما يكون صحة وعافية ، وقابله بالترحاب وهو يترنح من شدة

السكر ، بينما وقف خادمه غريمو خلفه يحمل بندقية وهو كسيده

مثل ايضاً .

وهكذا جلا آتوس مع خادمه غريمو عن القبو ، بعد ان اقنعه

دارتنيان ، واطمان الى ان اخصامه قد ذهبوا الى غير رجعة .

وجاء الفندي يشكو مصيبتة ويقول بان الخسارة التي تكبدها

باهظة ، فبادره دارتنيان بقوله :

— اين جواد الفارس آتوس ؟
— انه في الاسطبل .
— وكم يساوي ؟
— ستون ديناراً .
— لا بل يساوي اكثر من ثمانين ديناراً ، خذهُ مقابل الحسائر
التي تكبدتها بسبب آتوس .
فاحتج آتوس قائلاً :
— وكيف تساوم على جوادي ؟
اجابه دارتنيان :
— لا تقلق ، فلقد احضرت لك جواداً في حالة جييدة ، بدلاً
من جوادك المعجوز .
وهنا التفت آتوس الى الفندق في وقال :
— اذن احضر لنا زجاجتين من افخر خمورك ، لنشرب نخب
بورتوس وارايميس .
فاصرع الفندق في يلبي طلبه دون تردد ، وهو يحدث نفسه بانفراج
ازمته قريباً .
وملاً آتوس قدسه وقدم دارتنيان وقال :
— لنشرب نخب بورتوس وارايميس .
قال ذلك وافرغ محتويات كأسه في جوفه دفعة واحدة ثم
لقى نظرة فاحصه على دارتنيان وقال :
— ارى مسحة من الحزن باذية على صفحة وجهك ، فما الذي
يقلقك ايها العزيز ؟؟

اجابه دارتنيان :

— انني أتعس مخلوق على هذه الارض .

— وهل تعاستك بلغت الى هذا الحد من اليأس ؟

وراح دارتنيان يقص على صديقه باختصار ما صادفه في رحلته الى لندره من مشقات واطوار ، وعودته الى باريس سالماً بعد ان تمكن من اتمام مهمته على اكمل وجه ، ثم ذكر ما جرى له بعد الحفلة الراقصة من المصادفات الغريبة ، والتي انتهت بمغامرته مع السيدة بوناسيو .

وكان آتوس يصغي بانتباه كلي الى حديث صديقه دارتنيان ، ولما انتهى زفر زفرة عميقة وقال :

— يحق لك ان تبتئس ايها الصديق .

ويبدو ان حديث دارتنيان عن مغامرته الغرامية مع جرمين بوناسيو ، قد لمس وتراً حساساً من قلب الفارس ، فاطرق هذا لحظة ، ثم رفع رأسه وقال :

— قد تتصور ان لي قلباً قد من صخر ، والحقيقة ان قلبي اصيب بطعنة في الصميم... والحب يا صديقي كورقة اليانصيب... والذي يربح هو الخاسر... ولهذا انصحك ان تخرج خاسراً من كل مغامرة غرامية...

اجابه دارتنيان :

— ولكن المرأة التي احبها ، تبادلي الحب بصدق واخلاص .

— لا تكن غيبياً...

— ان هذا ما يقوله كل عشيق مخدوع...

- ولكنني وسأقص عليك يا صديقي قصة حب حدثت لاحد لأصدقائي لتكون لك عبرة وعظة ...

فابدى دارتنيان استعداداه لسماع القصة .

وبدأ آتوس حديثه فقال :

- كان احد اصدقائي رجلاً نبيلًا ، يحمل لقب كونت ، ويقطن مقاطعة (بيروي) وكان شابا موفور الصحة والنشاط ، في الخامسة والعشرين من عمره ، يتمتع بقسط وافر من الجمال والذكاء ، وصدفة التقى فتاة رائعة الجمال ، هادئة الطبع ، كانت تقطن في منزل متواضع الى جوار احيائها السكان .. ومنذ اللقاء الاول ، اسرت لبه ولا مست شغاف قلبه ، فأحبها حباً جنونيا ، وعزم على ان يتخذها زوجة له ، ويجعل منها السيدة الاولى في تلك المقاطعة ، مع انه كان بإمكانه لكونه السيد المطاع هناك ان يغريها ليشبع شهوته منها وينبذها بعد ذلك نبذ النواة .

واصبحت هذه الفتاة زوجة الكونت ، وعاشت في بحبوحة من العيش والسعادة والهناء ...

و ذات يوم بينما كان الكونت مسع زوجته في رحلة صيد ، سقطت الزوجة الشابة عن ظهر جوادها واعمي عليها في الحال ، فاسرع الكونت الى نجدها ، وارتابى ان يحل ازرار ثوبها ، لكي يمكنها من التنفس بسهولة ، وكشف عن كتفها و صدرها لينعشها بالماء . ووقع نظر الكونت على وشم موسوم على كتفها ، جعله ينتفض غيظاً ... لقد رأى زهرة الزنبقة موسومة على كتفها ، وهي العلامة التي يسم بها السارقون !

وتوقف آتوس عن متابعة حديثه ، وكانت علامات التأثر بادية على
قسمات وجهه ، وتناول قدحه يجرع ما فيه من خمر جرعة واحدة ،
ويمسح حبيبات العرق البارد التي كالت جبهته ، وسأله دارتنيان بلهفة :
- وماذا فعل الكونت بعد ذلك ؟

- لقد شعر الكونت ان كرامته قد اهينت ، وانه كان
ضحية الحيانة والخداع ، فما كان منه الا ان مزق ثياب زوجته ،
واوثق يديها وعلقها الى جذع شجرة قريبة ..
فبادره دارتنيان يقول :

- يا الهي لقد اصبح مجرمًا في نظر الناس !
فغمغم آتوس بصوت متهدج :

- اجل اصبح مجرمًا ... الا انه ثار لشرفه وكرامته ...
وتناول آتوس زجاجة الخمر وراح يكرع ما فيها الى ان أتى
عليها .. وترك رأسه يسقط بين راحتيه ، بينما كان دارتنيان يرمقه
بنظرات اشفاق ورثاء . ثم عاد يتمتم بصوت خافت :
- وهكذا شفيت تمامًا من الحب .. من فتنة النساء وخداعهن .
وسأله دارتنيان :

- وماذا جرى لشقيقها الراهب ؟

- كان بودي ان اسنقه هو الآخر .. الا انه اختفى في اليوم
نفسه ، والانكى من ذلك انه لم يكن شقيقها ، بل عشيقها وقد
تخفى بثياب الكهنوت ليخدع الناس ..
وتذكر آتوس رغم سكره ، بان لسانه قد انزلني ، فعاد يردد
على مسمع من دارتنيان :

- ان ذلك الكونت تعيس ، ونعامته لا تقاس بالشيء الذي
تشكو منه انت يا صديقي .
ثم تناول شريحة من لحم الخنزير ووضعها في صحن دارتنيان
وقال :

- هيا تذوق هذا اللحم المقدد ، انه لذيذ جداً .. تصور انني
تجرعت خمسين زجاجة من اجود خور هذا الفندق في العين وكمية
كبيرة من هذا اللحم .
وكانت اعصاب دارتنيان لم تعد تحتل مزيداً من الارهاق
فوضع رأسه بين راحتيه وتظاهر بالنوم .
ولما شعر آتوس ان صديقه قد استسلم للكرى ، تناول قدحه
وافرغ ما فيه بجوفه وغرق في تأملاته ..

٢٨

العودة الى باريس



وفي صباح اليوم التالي ، راح دارتنيان يستعرض مأساة صديقه آتوس المحزنة ، وادرك بغريزته ان صديقه ، انما روى قصة غرامه الشخصية تحت تأثير افراطه في شرب الخمر .

وبكر الخادمان بلانشيه وغريمو في اعداد الجياد استعداداً للسفر . وظل آتوس طيلة الوقت معتصماً بالصمت المطبق ، وعندما حانت ساعة الرحيل التفت الى صديقه وقال له :

— لقد كنت ليلة امس ، شديد السكر ، واظنني رويت لك قصة حب مؤثرة أليس كذلك ؟

فاجابه دارتنيان متظاهراً بعدم الاكتراث :

— يبدو انني كنت اشد سكرآ منك ، لاني لا اذكر اني سمعتك تروي قصصاً محزنة .

وعاد آتوس يحاول ان يزيل من مخيلة صديقه اي اثر او شك

لقصة أمس فقال :

- ألم تلاحظ ان كل انسان له طابعه الخاص ، فاننا مثلاً عندما اغرط في الشراب يسيطر عليّ طابع الحزن ، فأبدأ بصرده المأسوي والقصص المحزنة ، التي سمعتها من مربيتي عندما كنت فتى في العاشرة .

فأيد دارتنيان قول صديقه متظاهراً بالافتقار ، وهنا بات الارتياح علي وجه آتوس وعادت اليه طبيعته ، فراح يتجاذب وصديقه اطراف الحديث في مختلف الشؤون ، وهما علي ظهر جواديهما . وعندما وصلا الي بلدة كريفيكور ، كان اراميس يتكئ علي نافذة غرفته يحدق في الأفق البعيد .

فصاح دارتنيان وآتوس في صوت واحد :

- مرحى ... مرحى يا اراميس !

فانتبه لوجودهما وهتف جذلاً :

- هذا انت يا آتوس ... ودارتنيان مرحباً بكما .

وبعد استراحة قصيرة لم تطل اكثر من ساعة ، انضم اليهما اراميس وخادمه بازان ، واستأنف الراكب الصغير سيره قاصداً بلدة شانتييلي ، ليلتقوا برفيقهم الرابع الفارس بورتوس . وكان بورتوس قد استعاد قواه ، واصبح بحالة تمكنه من مرافقة اصدقائه الي باريس .

ولما سأله آتوس عما اصابه ، ولماذا تأخر عن اللحاق بهم ، ابي الاعتراف بانه اصيب بجرح اثناء المبارزة ، وادعى انه اصيب بالم في ركبته اقدمه عن الحركة ، وتظاهر رفاقه بتصديق قوله .

واخيراً وصل الرفاق الاربعة الى باريس ، واقاموا مأدبة غداء
فاخرة لمناسبة عودتهم سالمين من تلك الرحلة المحفوفة بالاعطار
والمشقات .

وبعد ان انتهوا من الطعام ، اسرع دارتنيان الى منزله ،
فوجد رسالة تنتظره من القائد دي تريفيل يعلمه فيها ان
الملك وافق على الحاقه بفرقة الحرس الملكي .
فرقص قلب دارتنيان غبطة وسروراً ، فقد نال ما كان يرجوه
ويتمناه .

فاصرع ينقل الى رفاقه الثلاثة ، النبأ السار ، فوجدهم مجتمعين
في منزل آتوس ودلائل الاهتمام بادية على وجوههم . فابلغوه ان
القائد دي تريفيل ، انبأهم بان الملك سيدبأ حملته ضد الهوكنوت
لطردهم من بلدة لاروشيل حيث يعتصمون بها منذ اشهر .
وطالب اليهم قائدهم ان يكونوا على اهبة الاستعداد بكامل اسلحتهم
وجيادهم ، لأن الحملة ستبدأ في بداية شهر ايار (مايو) القادم ، بعد
خمس عشرة يوماً .

وراح الفرسان الاربعة يتداولون في امر الحصول على اسلحة
جديدة وجياد صالحة بعد ان فقدوا جيادهم ومعداتهم في تلك
المغامرة .

واستأذن دارتنيان بالانصراف بعد ان وعد رفاقه بان يعمل
من جهته على مساعدتهم ، وتوجه الى قصر دي تريفيل ليشكره

محاولات للحصول على المعدات



كان اهتمام الفارس دارتنيان منصباً بصورة خاصة ، في البحث عن حبيبته ، فقد ابلغه دي تريفييل بأنه اعلم الملكة باختفاء وصيفتها جرمين بوناسيو ، فوعدت بالاهتمام للعثور عليها .
اما الفارسان بورتوس و اراميس ، فقد انصرفا يبحثان بجد ونشاط عن وسيلة للحصول على المال لشراء الاسلحة والجياد ، بينما اعتصم آتوس في منزله ، معلنا انه لن يبذل اي مشقة في هذا السبيل . .

وذات يوم لمح دارتنيان صديقه بورتوس يقف قرب كنيسة سان لو ، فراح يراقبه عن كثب ، فرآه يدخل الى الكنيسة ، فتبعه على الاثر ، فشاهده يستند الى احد الاعمدة يراقب جموع المصلين الذين كانت تزخر بهم الكنيسة ، ولاحظ دارتنيان ان هناك امرأة شقراء تجلس على مقعد قريب من المسكان الذي وقف

فيه بورتوس . ويستدل من مظهرها انها من النبيلات وانها نفس الفتاة التي صادفها في بلدة « مينع » وأن اسمها « ميلادي » ، اذ كانت ترافقها فتاة زنجية تحمل مسنداً لتستخدمه السيدة الجميلة في الركوع عليه عند الصلاة .

وكانت السيدة ترمق بورتوس من حين لآخر بطرف عينها . ولما انتهت الصلاة ، تعمد بورتوس ان يعترض طريقها ، ويبادها النظرات والتحية وهي تم بمغادرة الكنيسة . وفي تلك اللحظة بالذات اقتربت من بورتوس امرأة اخرى سمراء ، علم دارتنيان انها السيدة كوكينار . وهمت المرأة في اذن بورتوس قائلة :

— هل تتكرم بمرافقتي ، فلدي ما اقله لك على انفراد .
فابدى بورتوس بعض التردد ، الا انه انصاع للامر الواقع ، عندما رآها تتأبط ذراعه وتشده اليها تدعوه الى المسير .
ولما اصبحا خارج الكنيسة ، انخرقت به الى زقاق منعزل ، وبعد ان اطمأنت الى ان ليس هناك من يسمعها قالت :
— تخيل لي انك اصبحت مغامراً كبيراً .. ايها السيد بورتوس؟
— ولماذا ياسيدي؟
— لا تحاول الانكار ، فلقد راقبتك منذ البداية ، وانت تتحدث بالامارة الى تلك السيدة العظيمة .. انها ولا شك احدى الاميرات .

— اخطأت التقدير ، فهي دوقة وليست اميرة .
— اذن فقد اصبحت الرجل المدلل للسيدات الجميلات النبيلات .

— ان حظي سعيد يا سيدتي !
 فصاحت به السيدة كو كينار حائقة :
 — يا الهي ما اشد نسيان الرجال ، واكثر خداعهم !
 فأجابها بورتوس بلهجة ساخرة :
 — والنساء أيضاً ... لقد كدت أموت في ذلك الفندق
 الصغير ببلدة شانتييلي ، ومع ذلك لم تتنازلي بالاجابة على رسالة
 واحدة من رسائلي الثلاث .
 واحست السيدة كو كينار بخطأها ، فراحت تتودد الى فارسيها قائلة :
 — وهل نسيت كم ضعيت من أجلك في الماضي ... اما
 المبلغ الذي طلبته مني برسائلك الاخيرة فأؤكد لك اني لم استطع
 الحصول عليه من زوجي البخيل .
 — لقد كتبت لك يا سيدتي لثقتي بك ، مع اني لو أرسلت
 اطلب من الدوقة ، ولا حاجة لذكر اسمها ، اي مبلغ من المال لما تأخرت
 لحظة واحدة . فدمعت عينا السيدة كو كينار وقالت بصوت متهدج :
 — لقد كنت قاسياً جداً في انتقامك مني ، وثق اني لن
 أتأخر في المستقبل عن مساعدتك بكل ما تطلبه مني .
 — دعينا يا سيدتي من حديث المال .. انه لا يليق بالحسين .
 — وهل نما زلت تحبني ايها العزيز ؟
 وظل بورتوس محتفظاً بهدوئه وحمته دون ان يجيب — الى
 سؤال عشيقته .
 وعادت تكرر السؤال بلهجة التوسل :
 — تكلم لماذا لا تجيب ??

فرجع بورتوس رأسه وقال بلهجة حزينة :
- ان نفسي تحدثني بأنني سأقتل في الحملة التي ستبدأ بعد
خمسة عشر يوماً .

فارسلت السيدة كوكينار زفرة من صميم قلبها وقالت :
- لا سمح الله ...

- اصارك يا عزيزتي ، بأنني ما زلت اجتفظ لك في سويداء
قلبي بالحلب الخالص ، ولكن بعد خمسة عشر يوماً ستبدأ تلك
الحملة اللعينة ، وسأضطر الى الانهك في اعداد ما يلزمي من
اسلحة ومعدات ، وربما اضطرت للسفر الى بلدي في بريتانيا ،
للحصول على المبلغ اللازم لهذه الرحلة .

وسكت لحظة ثم اردف يقول :

- وبما ان الدوقة التي لمحتها في الكنيسة مسافرة الى تلك
المقاطعة ، فقد قرت مرافقتها الى هناك ...
فقاطعتها السيدة كوكينار قائلة :

- لا حاجة بك الى السفر يا عزيزي ، وسأتولى بنفسني تدبير
المبلغ من زوجي البخيل الهرم ... فعد غداً الى منزلي عند
الظهر . وسأدعي امام زوجي بأنك قريبي وقد جئت الى باريس
لاعمال خاصة . ولا تنس ان تكون حذراً .

فتناول بورتوس يد عشيقته وقبلها بجرارة قائلاً :

- شكراً لك ، وثقي ان حبك لن يبرح قلبي . والى اللقاء ..

٣٠

ميلادي !



وكان دارتنيان يصفي الى هذه المحاورة الغرامية بين صديقه بورتوس وعشيقة ، ولما افترق العاشقان ترك صديقه يذهب في سبيله ، وذهب في اثر ميلادي ، فسمعها تقول لسائق عربتها بان ينقلها الى ضاحية سان جرمين .

فعاد ادراجها الى منزله ؛ وأوعز الى خادمه بلانشيه ان يعد جوادين ويلحق به الى منزل آتوس .

وكان آتوس كعادته جالسا الى مائدة الشراب ، يجرع الخمر فقص دارتنيان عليه مغامرة صديقه بورتوس مع المرأتين ، وانتهى الى القول بأن بورتوس تمكن بدهائه من الحصول على المال اللازم لشراء جواد قوي ومعدات حربية .

فأجابه آتوس :

— اما أنا فلن أبدأ الى هذه الوسيلة .

وفي هذه اللحظة اطل بلانشيه برأسه من باب الغرفة ، وابلغ صبيده دارتنيان بأن الجياد جاهزة .

فسأله آتوس بدهشة :

- ولمن الجياد ??

- لقد قررت ان اقوم برحلة قصيرة في ضاحية سان جرمين لمراقبة المرأة التي التقى بها بورتوس في الكنيسة ، واعتقد انها لها علاقة باختطاف جرمين بوناسيو .

قال له آتوس :

- يالك من مغرم تعس ، تبهث عن سعادتك الضالة بين الاوهام ... وارجو الا تصاب بصدمة نفسية من جراء هذا الحب .

ثم نهض دارتنيان يودع صديقه آتوس ، ويسرع في ركوب جواده ، متجهاً في طريق سان جرمين وخلفه خادمه بلانشيه . وتذكر دارتنيان وهو في طريقه ، ان ميلادي هذه ، على علاقة برجل « مينغ » ، الذي اختطف السيدة بوناسيو في المرة الاولى ، ولا بد انه هو الذي اختطفها في هذه المرة ايضاً ! وقرر ان يبذل ما بوسعه لمقابلة ميلادي ليقف منها عن مصير حبيبته .

ولما وصل الى ضاحية سان جرمين ، تمهل في سيره وراح يراقب المنازل الواقعة على جانبي الطريق ، علّه يلمح وجهاً يعرفه ، وبعد ان قطع مسافة قصيرة ، وقع نظره مصادفة على شخص يجلس في حديقة احد المنازل الفخمة ، عرفه في الحال انه خادم الكونت دي وارد المدعوسيمون ، والذي التقى به في كاليه . فاعز

الى بلانشيه ان يترجل عن جواده ويقرب منه ليتنسم اخبار سيده
الكونت دي وارد . بينما تابع دارتنيان سيده بالجوادين الى زقاق
منعزل قريب من المنزل ، ووقف يراقب وهو على ظهر جواده
ما يجري في الداخل .

وفجأة سمع صوت عربية تقف امام المنزل ، ويطل منها رأس
السيدة ميلادي ، ثم تهبط منها فتاة يانعة هي وصيفة ميلادي ،
وتتجه بسرعة صوب باب المنزل ، وهناك تصادف بلانشيه واقفاً
بالباب ، فتظنه خادم الكونت ، الذي كان قد دخل في تلك
اللحظة الى المنزل ، وتمد الوصيفة يدها بورقة مطوية قائلة :

— هذه الرسالة الى سيدك .

فسألمها بلانشيه مندهلاً :

— أتقولين الى سيدي ؟

— اجل وهي لامر مستعجل جداً . . .

قالت ذلك وامرعت عائدة الى العربية التي كانت بانتظارها ،
وما ان اصبحت بداخلها ، حتى تابعت العربية سيرها بسرعة ،
واختفت بلحظات قليلة عن الانظار .

واخذ بلانشيه يقلب الورقة المطوية بين يديه وقد اخذه العجب
والخيرة ، ثم ما لبث ان اسرع بها الى سيده دارتنيان قائلاً :

— لقد اعطتني هذه الرسالة وصيفة جميلة وطلبت الي ان
اسلمها لك .

فتناول دارتنيان الرسالة وقرأ فيها العبارة التالية :

— هناك شخص يود مقابلتك للافضاء اليك بمحديث خطير ،

وجهه ان يلقاك في الغابة ، وسينتظر غداً خادم اسود جوابك امام
فندق (الحقل الذهبي) .

وبعد ان انتهى من تلاوة الرسالة رفع رأسه مخاطب خادمه
بلانشيه بقوله :

- اذن فالكونت دي وارد ، لم يت ، وقد تمكن من العودة
الى باريس ... وكانت هذه الرسالة موجهة اليه ولا شك . .
اجابه بلانشيه :

- اظن ان سيفك لم يصب منه مقتلاً .

ولكن فارسلنا الشاب ظهر جواده وقال لبلانشيه :

- هيا بنا نلحق بالعربة .

ونكنا من الاحاق بالعربة بمدة قصيرة لم تتجاوز خمس دقائق
فشاهدنا تقف الى جانب الطريق ، وقد وقف امام بابها ، فارس
يرتدي ثياباً فاخرة .

ويبدو ان الحديث بين الفارس والسيدة ميلادي ، كان هاماً
بما اتاح لدارتنيان ان يقترب منها دون ان يشعر ا به .

وكان الحديث يدور بين الاثنين باللغة الانكليزية ، فلم يفهم
منه دارتنيان شيئاً ... الا انه ادرك ان ميلادي تقسو بكلامها
ثم ما لبثت ان صفت الفارس بروحتها على وجهه ، فقابلها
الفارس بضحكة عالية ، زادت في حلق ميلادي وغيظها .

ورأى دارتنيان ان الفرصة مؤاتية له للتدخل بين السيدة
والفارس ، فاقرب من الباب الآخر وخاطب السيدة بقوله :

- أسمح لي السيدة ان اعرض خدمتي عليها ... قولي كلمة

واحدة ، وسترين كيف اؤدب هذا الفارس الوقح .
فالتفتت ميلادي الى الفارس دارتنيان تقول بلمهجة ناعمة :
- انه شرف عظيم لي يا سيدي الفارس ان احظى بحمايتك ، لو
لم يكن الرجل الذي احادته هو شقيقي .
وصاح الفارس الآخر يقول بحدة :
- من هذا الرجل الوقح ، ولماذا يتدخل بما لا يعنيه ؟
فبادره دارتنيان بلمهجة حازمة :
- انت الوقح ، واذا كانت هذه السيدة التي تقول انها قريبتك ،
تتحمل وقاحتك ، فأنا لن اتحملها . .
وسمع دارتنيان السيدة ميلادي توجه عبارة بالانكليزية الى
الفارس ، ثم ما تلبث ان تأمر سائق عربتها قائلة :
- سر بنا حالاً الى الفندق .
وحاول الفارس الآخر ان يلحق بالعربة ، الا ان دارتنيان
اعترض طريقه ، خاصة بعد ان عرف انه احد الانكليزيين اللذين
التقى بهما في فندق اميان . وخطبه بقوله :
- مهلاً ايها السيد ، لا تنس ان عليك حساباً يجب ان تسدده
قبل ان ترحل .
اجابه الفارس :
- انني مستعد لان اقابلك انت ورفاقتك ، فحدد الموعد
والمكان .
- قابلني هذا المساء في حديقة اللوكسمبورغ عند الساعة السادسة .
- حسناً سأكون في الموعد المحدد .

وقبل ان يفتوق الحصان تم التعارف بينهما ، فعلم الفارس
دارتنيان ان خصمه يدعى الكونت وي دنتر ، بارون شيكايد .
وعاد دارتنيان مع خادمه بلانشيه الى باريس ، وقصد اتوه
الى منزل صديقه الفارس آتوس ، ليروي له ما صادفه في رحلته
القصيرة الى سان جر مين .
وبعد ذلك عاد الى منزله ، وهنا بدأ يعدّ في مخيلته خطة بارعة
اعتزم تنفيذها في القريب العاجل .

المبارزة الجماعية



وما ان ازفت الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم ، حتى كان
 الفارس دارتنيان مع رفاقه الفرسان الثلاثة يصلون الى حديقة
 اللوكسمبورغ ينتظرون وصول الكونت الانكليزي مع رفاقه ،
 ولم يطل انتظارهم طويلاً ، فقد حضر الكونت دي ونتر ورفقته
 ثلاثة من النبلاء الانكليز ، فقدم دارتنيان شاهديه باسميهما : آتوس
 وبورتوس . ويبدو ان الكونت دي ونتر ورفاقه لم تعجبهم هذه
 الاسماء وقالوا انها اسماء غير نبيلة ، فاغتاظ آتوس من هذا القول ،
 ونحاطبهم بقوله :

— انها اسماء مستعارة ايها السادة . وثقوا اننا لا نقل عنكم
 نبلاً .

وانتهت المناقشة بين الفرسان والنبلاء الانكليز الى مبارزة
 حامية ، اذ اشتبك كل من آتوس وبورتوس وأراميس مع

الانكايز الثلاثة، بينما تولى دارتنيان تصفية حسابه مع خصمه الكونت دي ونتر، واسفرت هذه المبارزة الجماعية عن سقوط النبلاء الثلاثة صرعى بيد الفرسان .

اما دارتنيان فقد تمكن من التغلب على خصمه الكونت ، إلا انه قرر ان يعفو عنه ، لغاية مبيتة في نفسه ، فما ان شاهده يسقط على الارض عاجزاً بعد ان طار السيف من يده حتى وقف دارتنيان فوق رأسه ونصل سيفه على رقبتة قائلاً :

- يمكنني ان اقضي عليك ايها الكونت ، الا انني قررت ان اهبك الحياة اكراماً لشقيقتك .

وكان دارتنيان قد وضع خطة محكمة ، منها العفو عن الكونت دي ونتر ، فمد الكونت يده الى فارسنا الشاب يشكره بحرارة قائلاً :

- اسمح لي ان ادعوك منذ الآن يا صديقي الحميم .
واقترح من دارتنيان يضمه الى صدره ، بينما وقف الفرسان الثلاثة يتفرجون على هذا المنظر المؤثر .

وكان الفارسان بورتوس وراميس قد استوليا على اسلحة النبيلين الانكايزيين وجواديها ، كما استولى بورتوس على كيس مليء بالدنانير الذهبية سقط من خصمه الانكايزي . وقبل ان ينصرف الكونت دي ونتر التفت الى الفارس دارتنيان يقول :

- هل تسمح يا صديقي الحميم ان اقدمك الى شقيقي اللادي كلارك ، فهي ذات نفوذ واسع في البلاط الفرنسي . وباستطاعتها ان تؤدي لك خدمة كبيرة .

فانبسطت اسارير دارتنيان وانحنى علامة القبول ، اذ لم تكن هذه السيدة سوى ميلادي ...

واعطاءه الكونت دي ونتر عنوان شقيقة السيدة ميلادي او اللادي كلاريك ، في الساحة الملكية ، وتواعدا على اللقاء في منزل الفارس آتوس ، ليتولى الكونت تقديم دارتنيان الى اللادي كلاريك .

وعاد فارسنا الشاب الى منزله يصلح من شأنه ويستعد للموعد ، وبعد ذلك قصد الى منزل صديقه آتوس ، وقص عليه كعادته مواعده المنتظر مع السيدة الشقراء ميلادي .
فهز آتوس رأسه وقال :

— عليك ان تكون حذراً ، ايها الصديق ، لأنني اراك سريع القلب فقد فقدت امرأة حسناء وصفتها بانها طيبة القلب ، رائعة الجمال كاملة .. وبدأت الان تتعلق بحب امرأة اخرى .
اجابه دارتنيان :

— ما زلت احب جرمين يوناسيو من صميم القلب ، اما هذه فسأعتمد الى اتخاذها عشيقة لي ، لأحقق هديتي ، ولأوقوف على الدور الذي تلعبه هذه المرأة في البلاط الفرنسي .
قال اتوس :

— أوكد لك ان الدور الذي تلعبه هذه المرأة الشقراء « ميلادي » ليس من الصعب التكهّن به ، فهي ولا شك جاسوسة الكردينال .. واخشى ان تقودك الى مكيدة جديدة تقع بها في سهولة كلية .

- يا للشيطان ! .. انك تنظر دائما الى الاشياء بمنظار اسود .
 - يا عزيزي انني دائما احذر خداع النساء ، لأنني بلوهم
 ودفعت ثمناً غالياً على حساب كرامتي ومستقبلي .. وخاصة
 الشقراوات منهن ! فارجو لك النجاة يا عزيزي والتوفيق .
 وفي هذه الاثناء حضر الكونت دي ونتر في الموعد المحدد ،
 الى منزل الفارس آتوس ، فاستقبله دارتنيان وحده ، بينما انتقل
 آتوس الى غرفة اخرى .

واصطحب الكونت دي ونتر الفارس دارتنيان الى قصر شقيقته
 اللادي كلاريك وقدمه اليها قائلاً :

- اقدم لك يا عزيزي هذا الفارس الشاب ، الذي كان بإمكانه
 ان يقضي عليّ في مباراة شريفة . ومع ذلك عفا عني اكراما
 لك .. فارجو ان تقدمي له الشكر والثناء .

فرمقه ميلادي بنظرة فاحصة تفاعلت فيها عدة عوامل ثم
 قالت بلمهجة مغرية :

- اهلاً بك ايها الفارس الباسل ، وثق انني لن انسى لك هذا
 الجميل ..

وبدأ الكونت يشرح لها تفاصيل مبارزته مع الفارس دارتنيان
 وهي تصغي اليه بانتباه كلي ، وترمق الفارس من حين لآخر
 بنظرة ذات معنى لم يدرك مغزاها دارتنيان الا فيما بعد .

وبعد ان انتهى الكونت من حديثه ، اقترب من مائدة
 الشرب فملأ قدحين قدم احدهما لدارتنيان واحتفظ لنفسه بالآخر ،
 وبينما هو يرفع كأسه ليشرّب نخب دارتنيان ، دخلت الوصيفة وتقدمت

من الكونت تمس بأذنه بعض الكلمات، فاعتذر في الحال وغادر القاعة بعد ان طلب من شقيقته أن تهتم بأمر ضيفها الفارس .

وما ان غادر الكونت المكان ، حتى انحلت عقدة لسان ميلادي ، فبدت على حقيقتها ، ولم تتردد في ابلاغ دارتنيان ان الكونت دي ونتر ليس اخاً لها ، بل شقيق زوجها المتوفي ، وانها انجبت من زوجها غلاماً ، هو الذي سيحمل لقب اللوردية . واستمر الحديث بين ميلادي ودارتنيان نصف ساعة ، تأكد فارسنا في نهايتها ان ميلادي ليست انكليزية ، بل فرنسية الاصل من اللهجة الصحيحة التي تتكلم بها وعندما غادر دارتنيان قصر اللادي كلاريك ، كان واثقاً من نفسه بأنه كسب ثقتها ومحبتها . وعاد دارتنيان في اليوم التالي فاستقبلته بالترحاب والحفاوة وكانت بمفردها فأبدت عناية خاصة به ، وراحت تسأله عن شؤونه الخاصة واطواعه الاجتماعية ، واخيراً سأله اذا كان يرغب في الالتحاق بخدمة نياقة الكردينال .

وكان دارتنيان فطناً فلم تفته الغاية من هذا السؤال ، فأثنى ثناء حاراً على نيافته ، وقال انه ما كان ليتأخر عن الالتحاق في حرس الكردينال ، لو هيأت له الظروف معرفة القائد دي كافوا بدلاً من القائد دي تريفيل مواطنه الذي ألحقه بفرقه حرس الملك .

وغيرت ميلادي الحديث باتجاه آخر وسألت دارتنيان بدون اكتراث : هل زرت انكالترا ؟

فأجابها بانه سافر الى انكالترا بمهمة خاصة كلفه بها القائد دي تريفيل ، وهي شراء عدد من الجياد الانكليزية ، واذاف بانه

احضر معه فعلاً أربعة منها كنموذج .
وعضت ميلادي على شفقتها ، لأنها تأكدت انها تلعب لعيه
خاسرة مع هذا الغاسقوني الداهية .
وانتهت زيارة فارسنا الشاب فانصرف ، وبما كان يجتاز
الرواق الطويل المفضي الى الباب الخارجي التقى الوصيقة الحسنة
كاتي ، فداعب خديها متودداً .
وتكررت زيارات دارثنيان الى قصر ميلادي في الايام التالية
وفي كل زيارة كانت ميلادي تقابله بالترحاب . وفي كل مساء عند
انصرافه كانت تعترض طريقه الوصيقة الجميلة تحاول التحرش به
والتودد اليه ، فكان يقابل عملها بشيء من عدم الاكتراث .

٣٢

العشيقه البخيلة



ومع ان الفارس بورتوس قد خرج من تلك المبارزة بحصة
الاسد اذ استولى على كيس مفعم بالدنانير الذهبية من النبيل
الانكليزي الذي صرعه ، الا انه لم يميل موعده مع عشيقته مدام
كوكينار في منزلها .

وما أن ازفت الساعة الواحدة من بعد ظهر اليوم التالي ، حتى
كان بورتوس يطرق باب عشيقته ، وما ان لحت به يجتاز الرواق
خلف الخادم ، حتى بان عليها الارتباك وبادرته قائلة :

هذا انت يا ابن العم .. مرحباً بك يا عزيزي بورتوس ...
فاسرع بورتوس الى تحيتها مدعياً امام الخادم بانه قادم لتوه من
الريف لاعمال خاصة في باريس قد تستغرق بضعة ايام .

فرحبت به وقادته الى قاعة الاستقبال ، وكان قدوم ضيف
الى منزل السيد كوكينار النائب العام الهرم ، امرأ غيو مألوف ،

ولهذا السبب انتقل اليه النبا غير السار ، بسرعة البرق ، فهرول الى قاعة الاستقبال يتوكأ على عصاه ليروي هذا الضيف الثقيل الذي حضر في الموعد المحدد لتناول طعام الغداء . . . فتولت الزوجة تقديم الضيف ، على انه ابن عمها ، وقد حضر اليوم من الارياف لقضاء بعض الاعمال في باريس فراح الزوج الكهل المعروق يرمق زائرہ بنظرات فاحصة بضع ثوان ثم خاطبه بقوله :

— يبدو اننا اقرباء ايها السيد بورتوس اليس كذلك ؟

فهن بورتوس رأسه علامة الموافقة وقال :

— اجل ايها السيد كوكينار ، وانه لشرف عظيم لي ، ان اكون قريبك !

اجابه الكهل بنخبث :

— وان هذه القرابة التي بيننا تتصل عن طريق النساء .

فاحمر وجه زوجته السيدة كوكينار ، التي ادركت غرضه من وراء هذه الغمزة ، الا انها بلغت هذا التعريض ، خوفاً من افتضاح امرها .

وحان موعد تناول طعام الغداء ، فدعي الضيف بورتوس الى حجرة الطعام ، وهي عبارة عن غرفة مظلمة تقع في مواجهة المطبخ ، وكانت ألوان الطعام عادية جداً ، تتفق مع ما اشتهر به النائب العام العجوز وزوجته من بخل شديد .

ونفض الضيف بورتوس عن المائدة وهو اشد جوعاً من قبل ، لان الطعام الذي وضع على المائدة لم تستسغه نفسه .

وبعد تناول الطعام انسحب كوكينار الى غرفته ليأخذ

قسطه من الراحة والقيولة ، بينما ادخلت السيدة كوكينار
عشيقتها بورتوس الى غرفة منعزلة ، وبدأت مساومة بينهما
على المبلغ الذي يحتاج اليه لشراء معداته واسلحته والتي وعدته به
اذا ظل على اخلاصه وحبها لها .

وبعد مساومة طويلة وحوار اطول بين الفارس المعشوق
والعشيقة البخيلة ، استغرق اكثر من ساعة ، تمكن بورتوس بما
اشتهر به من دهاء وقوة عزم ، من انتزاع مبلغ ثمانماية دينار ، كما
وعدته باعطائه جواداً كريماً له وبغلاً قوياً لحادمه موسكينون .

٣٣

بين الوصيفة والسيدة



على الرغم من نصائح الفارس آنوس وتحذيره ، فقد وقع دارتنيان في حب ميلادي او اللادي كلاريك ، واصبح يتردد بصورة منتظمة على منزلها في الامسيات ، يتردد اليها ويلاحقها بغزله ، آملاً ان تستجيب لحبه في يوم من الايام .

وفي ذات يوم ، بينما كان يهم بالدخول الى منزل ميلادي التقى الوصيفة كاتي في الرواق الطويل ، فاعترضت طريقه وخطبته بصوت متردد :

— لدي ما اقله لك يا سيدي الفارس ..

اجابها دارتنيان : « تكلمي فكلي آذان صاغية ! »

— من المستحيل ان اتحدث اليك في هذا المكان يا سيدي الفارس ، لان ما سأقله لك غاية في الخطورة ... ولهذا ارجو ان تتبعني . وامسكت بيده تقوده الى سلم مظلم ، وبعد ان

صعدت واياہ حوالی خمسين درجہ ، فتحت باباً وقالت له :
 - ادخل يا سيدي الفارس ... يمكننا في غرفتي الخاصة ان
 نتحدث بحرية .

ثم اشارت الى باب آخر وارذفت تقول :
 - هذا الباب يفضي الى غرفة اللادي كلاريك مباشرة ، وهي
 لا تحضر الى غرفتها قبل منتصف الليل .
 وتركزت عينا دارتنيان دون ان يشعر على ذلك الباب ،
 ولاحظت الوصيفة ذلك فبادرته بقولها :

- هل تحب سيدي اللادي ايها الفارس ؟
 - بل اعبدها ... يا كاتي .
 فزفرت الوصيفة الحسنة زفرة عميقة وقالت :
 - من المؤسف حقاً ألا تبادلك سيدي هذه العاطفة ، اذ
 انها لا تضمر لك شيئاً من الحب .

فبان الامتعاض على وجه دارتنيان وسألها :
 - هل انت مكلفة من قبل سيدتك ، ان تقولي لي ذلك ؟
 فهزت رأسها بالنفي ، ثم تناولت من صدرها ورقة مطوية ،
 قدمتها الى دارتنيان قائلة :
 - خذ واقرأ ...

فتناول الفارس الشاب الرسالة وقرأ العنوان ، وكانت باسم
 الكونت دي وارد . وتذكر عربه ميلادي عندما التقى بها في
 ضاحية سان جرمن وقرب منزل هذا الكونت بالذات . وراح
 يقرأ ما تضمنته تلك الرسالة :

« لم اُتلق منك جواباً على رسالتي الاولى .. هل نسيت
النظرات المحمومة التي كنت توجهها اليّ في الحفلة الراقصة التي
اقامتها السيدة دي كيز؟ انها فرصة يا عزيزي الكونت فلا
تدعها تفوتك ! »

فامتقع لون دارتنيان وبان عليه التأثر .. واحس انه طعن في
كرامته ، لقد حاول ان يستولي على قلبها ، فلم يفلح ، فهي مشغولة
بحب رجل آخر .. ولاحظت الوصيفه كاتي اضطرابه فبادرته قائلة
بصوت مفعم بالرتاء والعاطفة :

- يا لك من شاب تعس !

- وهل ترثين لحالي يا صغيرتي ؟

- اجل ومن صميم قلبي ... لانني بلوت الحب .

- اذن ارجو ان اتال مساعدتك للانتقام من سيدتك .

- واي نوع من الانتقام تريده ؟

- اريد ان اسيطر عليها ، واسعى لابعاد منافسي على حبها .

فأجابته كاتي بجدة :

- لن تحظى بمساعدتي يا سيدي الفارس ! ..

فاقترب منها دارتنيان يطوق خصرها بذراعه ويقول :

- ولماذا يا عزيزتي كاتي ؟

فغمغت قائلة :

- لان سيدتي لا تحبك .

وادرك دارتنيان بفطنته ما ترمي اليه الوصيفة الحسنة ، فاسرع

يبحث عن شفتيها ليمتص رحيقها بقبلة طويلة .. جعلت الوصيفة

تتخاذل وتقول بصوت مبهوح :

— لا .. لا .. انك لا تحبني .. انك تحب سيدي .

فأجابها دارتنيان دون ان يدعها تفلت من بين ذراعيه :

— وهل تريدني يا صغيرتي ان اقدم لك برهاناً ساطعاً على انني

بدأت اشعر نحوك بشيء من الحب ؟

فسألته بدلال :

— وما هو هذا البرهان ؟

— هو ان اكرس هذه الليلة لك ، واعتبر نفسي وكأني

قضيتها مع سيدتك .

فاشرقت اسارير الوصيصة الشابة وقالت :

— سنرى ...

— حسناً يا عزيزتي ، لقد قررت البقاء هنا .

وجلس على مقعد قريب من سريرها وتركها تجلس الى جانبه

على السرير واردف يقول لها :

— انك والحق يقال ، اجمل وصيفة رأيتها في حياتي !

ثم راح يتمدحها ويتملقها . اومرت الساعات بين هجوم من قبل

دارتنيان وبماعة مغرية من قبل الوصيصة الجميلة .

ودقت الساعة معلنة انتصاف الليل ، وبعد لحظات قليلة سمعت

الوصيصة جرس سيدتها يدق ، فصاحت في صوت خافت :

— يا الهي .. ان سيديتي تناديني ، ارجوك ان ترحل حالاً .

فنهض دارتنيان واختطف، قبعته متظاهراً بالانصراف، وبدلاً

من ان يخرج من الباب ، فتح باب خزانة كبيرة واختبأ بداخلها

بين اثواب السيدة ميلادي ، فصاحت الوصيفة مذعورة :

— وهل تريد ان تبقى هنا ؟

فاغلق باب الحزانة عليه ولم يجيبها . وعاد الجرس يدق بشدة ، فاسرعت الوصيفة لتلبية نداء سيدتها ، ولما فتحت الباب الموصل الى حجرة سيدتها ، تركته مفتوحا ، مما اتاح لدارتنيان ان يسمع ما دار من حديث بين ميلادي ووصيفتها ..

فسمع ميلادي تسأل وصيفتها :

— ألم يحضر الشاب الغاسقوني هذا المساء ،
اجابتها كاتي :

— وهل بدأت سيدتي تميل الى هذا الشاب ؟

— انني اكرهه .. لاسباب عديدة يجعلها هو ، وهناك حساب طويل بيني وبينه يجب تصفيته قريباً . لقد فقدت ثقة نينا الكريدنال بسببه ، كما الحق بي ضرراً فادحاً ، اذ حجب دم شقيق المرحوم زوجي الكونت دي ونتر ، حين كان في مقدوره ان يقتله في مباراة شرعية ، وبذلك حرمني من الحصول على ثلاثماية الف جنيه سنوياً .

وارتعدت فرائص دارتنيان وهو يسمع هذه المرأة تفصح عن خططها الجهنمية .

وسمعا بعد ذلك تخاطب وصيفتها قائلة :

— والآن عودي الى حجرتك ، وابذلي جهدك غداً لتحصيلي على جواب من الكونت دي وارد .

وبعد ذلك سمع دارتنيان اغلاق الباب الذي يفصل بين غرفة

ميلادي وغرفة وصيفتها ، ولما اطمأن الى ذلك ، فتح باب الخزانة
وخرج بتحمل فقابلته كاتي قائلة بصوت منخفض :

— ما لك بمتع الوجع ؟

فغصم دارتليان :

— يا لها من امرأة قدرة خيفة !

— صه ! فقد تسمع صوتك ، فهي لم تنم بعد ... والان هيا

اخرج .

— سأخرج ولكن فيما بعد ...

قال هذ وجذبها اليه وعصر جسدها اللدن بين ذراعيه القويتين
فحاولت المقاومة والافلات ، الا انها خشيت اقتضاح امرها ، ...
واخيرآ وبعد بمائة لم تدم طويلآ أن وجدت لا هابذ من الاستسلام ،
فاستسلمت .

وقد برر فيما بعد ، دارتليان هذا العمل بينه وبين نفسه ، بانه
انتقام من ميلادي ... ووجد عذراً مقبولاً لمن يقول بان الانتقام
هو متعة الالهة .

وانحصر هم فارسنا الشاب ، بأمر واحد هو استدراج الوصيفة
كاتي ، بعد ان وثقت به ، لمعرفة مصير ومقر حبيبته جرمين
بوناسيو . وقد اقسمت الوصيفة المسكينة بكل مقدس عندها ،
انها لا تعرف عنها شيئاً ، اذا ان سيدتها لا تطلعها على جميع
اسرارها .

وتعهد دارتليان ان يزور ميلادي في مساء اليوم التالي ،
فوجدوها متبرمة نائمة ، الا انها قابلته بالابتسام والترحيب ، وسمحت

له بان يلثم يدها عندما هم بالانصراف ، وامام الباب الخارجي التقى بالوصيفة كاتي فامسكت بذراعه وقادته تواء الى حجرتها ، وفي اللحظة التي دخلت فيها مع الفارس الحبيزة ، سمعت سيدتها قناديلها فاسرعت اليها .

وسمع دارتنيان حواراً طويلاً يتعلق بالكونت دي وارد وعدم اجابته على الرسالتين اللتين بعثت بهما اليه ، وطلبت ميلادي الى وصيفتها ان تحضر غداً عند الساعة التاسعة صباحاً لتحمل رسالة ثالثة الى الكونت .

ولما عادت كاتي الى حجرتها طلب اليها دارتنيان ان تحمل الى منزله رسالة سيدتها . ثم تكررت عملية الهجوم والدفاع بين فارسنا الشاب والوصيفة كاتي ، انتهت باستسلام الوصيفة . وعاد دارتنيان الى منزله عند الساعة الخامسة صباحاً . وعند الساعة الحادية عشرة ، حضرت كاتي تحمل اليه الرسالة ، فمزق غلافها وقرأ :

« هذه هي الرسالة الثالثة التي اكتبها لك ، لأقول فيها انني احبك .. حذارِ الا اكتب لك الرسالة الرابعة واقول فيها انني اكرهك .. ! »

ولما انتهى دارتنيان من تلاوة الرسالة بادرت كاتي بقولها :

— وهل ما زلت تحبها ؟

أجابها دارتنيان بلهجة جازمة :

— كلا .. انك مخطئة في ظنونك ، فانا لا احبها ابدأ ، واريد

الانتقام منها ، فهي تتعمد تحقيري .

وتناول دارتنيان ورقة وسطر عليها الرسالة التالية بلسان الكونت دي وارد وهذه نصها :

« سيدتي ، لقد شككت بأن تكون الرسالتين السابقتين موجهتين لي شخصياً ، وقد اسففت كثيراً لأنني لم اجب عليهما في حينه ، ولكن الآن بعد ان تأكدت من عاطفتك وحبك لي ، قررت ان اقابلك هذا المساء ، عند الساعة الحادية عشرة .. »

وطوى الرسالة ووضعها في مظروف وناولها الى الوصفة كاتي قائلاً :

— هذا جواب الكونت دي وارد ..

فامتقع وجه كاتي ، اذ كانت متشككة بمحتويات الرسالة ، فطوق دارتنيان خصرها وقال :

— اسمعي يا عزيزتي ، لا بد من ان تنتهي هذه المهزلة ، وتعلم سيدتك ميلادي ، بانك سلمت الرسالة الاولى الى خادمي بدلاً من تسليمها الى الكونت أو خادمه ، كما ان الرسالة الثانية قد تسلمتها انا ومزقتها ، ولذلك ارى ان تسلمها هذه الرسالة ، ودعيني انقد ما يمكن انقاذه .. فسألته كاتي :

— وماذا تحتوي هذه الرسالة ؟

— ستطلعك ميلادي على محتوياتها

فصاحت به كاتي قائلة :

— آه .. اذن فانت لا تحبني ، انني تعيسة !

اجابها دارتنيان :

— ان النساء مخدوعات دائماً .

وقبل ان تذهب كاتي وعدها دارتنيان بان يزورها في حجرةتها بعد زيارة سيدتها ..

٣٤

بورتوس و اراميس يبحثان عن المال



ومنذ اللحظة التي قرر فيها الرفاق الاربعة مواصلة سعيهم للحصول على معدات واسلحة جديدة ، لم يجتمع شملهم في مكان معين ، الا انه كان من عادتهم ان يلتقوا مرة في كل اسبوع بمنزل صديقهم الاكبر الفارس آتوس ، ذلك لان آتوس لم يبارح منزله طيلة هذه المدة .

وذات يوم اجتمع شمل الرفاق الاربعة في منزل الفارس آتوس وراحوا يتحدثون في شؤونهم الخاصة ، وفي اثناء ذلك حضر الخادم موسكينون واخبر سيده بورتوس بضرورة الاسراع الى منزله لأمر هام جداً . فاستجاب الفارس بورتوس لالحاح خادمه واسرع الى منزله .

وبعد لحظات قليلة حضر بازان وابلغ سيده الفارس اراميس بأن في المنزل شخصاً ينتظره ويلج في مقابلهته .

فسأله اراميس :

— ومن هذا الشخص ؟

— ان ملاحظه تدل على انه من المتسولين !

فبادره اراميس بجدة :

— اتقول شهاد ؟ ولماذا لم تصرفه ؟

اجابه بازان :

— لقد اصر على مقابلتك لامر هام جداً ، وقال انه قادم من

بلدة تورس .

فهتف اراميس :

— قادم من تورس ؟ .. لا شك ان هذا الرجل يحمل انباء

سارة .

وما لبث ان اسرع بالذهاب الى منزله لمقابلة ذلك الرجل . وما

ان توارى اراميس عن الانظار ، حتى التفت الفارس دارتنيان الى

آتوس يقول :

— لا شك ان هذه المقابلات المفاجئة ، لها علاقة بمغامرات

غرامية .

اجابه آتوس :

— دعنا من بورتوس و اراميس ومغامراتهما ، ودعنا نتحدث

عن مغامراتنا الاخيرة مع الشقراء الانكليزية «ميلادي» لقد دعاني

امس القائد دي تريفيل الى قصره ، وأبدى قلقه من كثرة زياراتك

لتلك الانكليزية التي تستمد نفوذها من الكردينال لانها من اتباعه .

اجابه دارتنيان :

— لقد اطلعتك على الاسباب التي جعلتني اكثر من التردد على منزل تلك السيدة ، ذلك ان لها علاقة باختفاء السيدة بوناسيو .
— فهمت ... انك في سبيل العثور على امرأة تغازل امرأة اخرى ... انها الطريق الطويلة الا انها اكثرها تسلية ومتعة !
وكاد دارتنيان يبدسط لصديقه آتوس تفاصيل مغامراته الاخيرة مع ميلادي ووصيفةها الحسنة كاتي ، الا انه فضل السكوت ، لأن آتوس لا يتسامح بمثل هذه التصرفات فسكت ، بعد ان اقتنع آتوس بوجهة نظر صديقه الشاب .

ولنتبع الفارس اراميس الى منزله لنراه يتسلم من الشحاذ القادم من بلدة تورس رسالة خاصة ، فاسرع يفض غلافها بلمهة زائدة ، ويقرأها وقد جاء فيها :

« ايها الصديق .. يا بى القدر الا ان يطول أمد فراقنا .. ولكن ايام الشباب الجميلة لن تذهب دون رجعة ، ارجو ان تقوم بواجبك في حملة الربيع القادمة . خذ ما يسلمك اياه حامل رسالتي هذه ، لا تنساني .. والوداع او بالاحرى الى اللقاء . »

ورفع اراميس رأسه عن الرسالة ، ليري الشحاذ قد مزق بطاقة معطفه الداخلية ، واخرج منها مئة وخمسين قطعة ذهبية اسبانية ، وضعها على المائدة امام عيني اراميس الخائرتين ، وسرعان ما اتجه نحو الباب وخرج مهرولاً ، قبل ان يتسنى لاراميس ان يستزيد منه او يستوضحه ..

وأعاد اراميس تلاوة الرسالة مرة ثانية ، فقرأ في اسفلها الملاحظة التالية : « ان حامل رسالتي هذه نبيل من نبلاء

الاسمان فلا تهمل تقديم واجب الاحترام له . . .
فلحق بالرجل الى الباب ، فوجده قد توارى عن الانظار ،
فعاد الى الحجرة وقد تملكته الغبطة ، لوفاء حبيبته واخلاصها له
وراح يقبل الرسالة بشغف كلي ويناجي صاحبته باعذب الالفاظ ،
متذكراً ايامه الحلوة مع هذه الحبيبة ، معللاً النفس باللقاء
القريب .

وعندما أطل خادمه بازان من باب الغرفة وشاهد الدنانير
الذهبية تغطي المائدة ، أصيب بدهشة ، ونسي بانه جاء ليلبغ سيده
قدوم الفارس دارتنيان ، الذي دخل في تلك اللحظة ووقع نظره
على النقود الذهبية تلمع على المائدة وقال :
— يا لك من محظوظ كبير يا عزيزي اراميس ، ان اصدقاءك
في نورس يبدون نحوك كل اهتمام وعطف !
اجابه اراميس :

— انك مخطيء يا عزيزي دارتنيان ، لقد تلقيت هذا المال من
احد الناشرين ثمناً لاشعار ارسلتها له .
اجابه دارتنيان بلمهجة ساخرة :
— حقاً ان هذا الناشر سخيف جداً ، لانه يشتري انتاجك الادبي
بوزنه ذهباً . .

ثم رمقه بنظرات ذات معنى واردف يقول :
— وهذه الرسالة التي على وشك السقوط من جيبك لا شك انها
من الناشر ايضاً !
فاحمر وجه اراميس ، واسرع يمسك الرسالة في جيب معطفه

الداخلي ويقول :

- هلم بنا الآن نبحث عن رفاقنا ، لنحتفل بهذه المناسبة السعيدة ..

اجابه دارتنيان :

- لعبري لقد مضى علينا زمن طويل لم نجتمع فيه على مائدة طعام او شراب .

واسرع الصديقان الى منزل الفارس آتوس ، فوجداه معتصماً بمنزله لا يفارقه ، فابلقه دارتنيان بان اراميس قد هبطت عليه الثروة من السماء ، قادمة عن طريق تورس ، وانه قرر دعوة الرفاق الى مأدبة فاخرة .

ثم توجه الصديقان اراميس ودارتنيان الى منزل بورتوس ليؤفاه اليه البشري السارة ، فالتقيا في الشارع القريب لمنزله ، خادمه موسكينيون وكان يحرق خلفه جواداً وبغلاً .

فسأله دارتنيان عن سيده بورتوس ، فقال الخادم بانه قصد الى منزل عشيقته الدوقة ..

واعاد دارتنيان السؤال عن الحيوانين الذين يحرقهما خلفه فقال :

- ان عشيقه سيدي بورتوس قد ارسلت له هدية مؤلفة من جواد كريم من افضل جياذ اسبانيا ، وبغل قوي ، الا ان زوجها الرجل البخيل قد استبدل الجواد الاصيل بهذا المعقور ، كما استبدل البغل القوي بهذا البغل الاجرب ، ولهذا طلب الي اعادتهما الى منزل العشيقه .

وتركها الخادم موسكينيون ليلحق بسيده بورتوس ، الذي

وصل الى منزل عشيقته السيدة كوكينار ودلائل الغضب بادية على
 محياه ، وكانت العشيقة قد رآته يدخل المنزل على هذا الحال ، كما
 شاهدت خادمه موسكينون يحرق خلفه الجواد والبغل ، فأدركت
 مقدماً سبب غضبه ، فقابلته بالترحاب وحاولت تهدئة اعصابه ،
 معترفة بان الخطأ ليس خطأها ، بل خطأ زوجها البخيل الذي
 استبدل الهدية دون علمها ، واعدة عشيقها الفارس باستبدال الجواد
 باحسن منه .

وحاول بورتوس ان يدعها وشأنها وينصرف ، الا انها تشبثت
 بذراعه متوسلة وقالت :

— اسمع... ان السيد كوكينار سيذهب في هذا المساء لمقابلة
 الدوق دي شولناس ، لاعمال خاصة ، وسأكون في المنزل لوحدي
 فتمتع لنتفاهم .

فهر بورتوس رأسه وقال :

— سأرى .. الى المساء .

عندما تطفأ الانوار تتساوى نساء العالم



وكان الفارسان بورتوس ودارتنيان ينتظرات بفارغ الصبر حلول المساء ، فتوجه الشاب الغاسقوني كهاده الى منزل ميلادي عند الساعة التاسعة مساء ، فالفاهها منشرحة الصدر ، تملأ الغبطة اعطافها ، وتأكد فارسنا للشاب ان رسالته التي سلمها للوصيفة كاتي قد وصلت ، وهي مصدر هذه الغبطة .

ودخلت بعد حين الوصيفة كاتي تحمل بعض المرطبات ، وكان يبدو على محياها دلائل الحزن والقلق .

وراح دارتنيان يقارن بين المرأتين ، فاعترف بينهما وبين نفسه ، بان الطبيعة قد خدعت في تكوين نفسية كل من المرأتين . . . فمنحت السيدة العظيمة ، نفسية ميتدلة شريرة ، بينما وهبت الوصيفة البسيطة ، قلباً كبيراً جديراً بالبيلات .

وما ان أزفت الساعة العاشرة حتى بدأ القلق يساور ميلادي ،

وادرك دارتنيان السبب ، فالقى نظرة عابرة على الساعة المعلقة ، ثم مالبت ان نهض من مقعده ، وتناول قبعته ليهم بالانصراف ، فقابلت ميلادي بادوته بالارتياح ، وابتسمت له كما سمحت له بان يطبع على يدها قبلة طويلة قبل ان ينصرف .

وهذه المرة لم تكن الوصيفة كاتي تلتظره في الرواق كعادتها في كل مساء ، وكان عليه هذه الليلة ان يصعد الدرج المظلم وحده ، ليبعث عن حجرتها ، ولما اطل برأسه الى الداخل ، وجدها تدفن رأسها بين يديها وهي تنشج بالبكاء ، ومع انها احست بدخوله ، الا انها لم ترفع رأسها ، فاقترب منها وازاح يديها ، وراح يعبث بشعرها ويداعب خديها بانامله .

فهدأت بعض الشيء ، وراحت تقص عليه ، بأن سيدتها تلقت رسالته بالغبطة والسرور ، ومنحتها مكافأة مالية ، ثم ابدت الوصيفة المسكينة مخاوفها من عاقبة هذا العمل ، عندما تكتشف سيدتها الخدعه ، فطمأنها دارتنيان بانه سيتدبر الامر .

واضافت كاتي بان سيدتها طلبت اليها ان تطفىء جميع الانوار في جناحها الخاص ، وفي حجرة نومها ايضاً ، وعلى الكونت العشيق ان يصل الى حجرتها تحت ستار الظلام .

وفي هذه الاثناء كانت ميلادي قد وصلت الى لحجرة نومها ، فامسح دارتنيان الى الاختباء في الخزانة ، وما ان اقبل الباب عليه ، حتى سمع الجرس يدق ، ولبت الوصيفة النداء ، الا انها لم تترك الباب مفتوحاً كالسابق ، ومع ذلك فقد تمكن دارتنيان من ان يسمع الحديث بين المرأتين .

وطالبت ميلادي من وصيفتها ان تطفىء النور الذي يضيء غرفتها ، وتعود لنتظر وصول الكونت دي وارد ، لتتولى توصيله الى باب حجرتها .

فنفذت الوصيفة تعليمات سيدتها ، وبينما كانت تفتح الباب الذي يفصل حجرتها عن حجرة سيدتها ، كان دارتنيان قد خرج من مخبأه في الخزانة ، ووقف امامها محاولاً الدخول ، ولما شعرت به كاتي ، حاولت منعه خشية افتضاح امرها ، الا انه اصر على الدخول وهمس باذنها قائلاً :

- لا تخشي بأساً ، فسادافع عنك ، واحميك من كل اذى يلحق بك .

وترامى الى سمع ميلادي التي كانت مرهفة الحس صوت الهمسات فصاحت قائلة :

-- من هناك ؟

اجابها دارتنيان بصوت منخفض ، محاولاً تقليد صوت الكونت دي وارد :

- هذا انا يا سيدتي .. الكونت-دي وارد !

فهمت ميلادي من غرفتها تقول بصوت مرتجف :

- ولماذا لا تدخل يا كونت ... انت تعلم انني انتظرك .

وحيال هذا النداء من ميلادي ، ابتعد دارتنيان عن الوصيفة كاتي ، ونفذ من الباب الى حجرة نوم السيدة ميلادي التي كانت تعقب بالروائح العطرية الذكية .

وكان موقف دارتنيان مؤلماً جداً ، فقد كانت الغيرة تنهش

قلبه نهشاً ، وتألّم كما كانت تتألّم المسكينة كافي التي راحت تذرف الدموع السخية في الغرفة المجلورة .

وفي هذه اللحظة ، اقتربت منه ميلادي وامسكت براحته بين يديها وراحت تضغط عليها بشغف ثم قالت :

— أجل يا كونت اني سعيدة بهذا الحب ، واتخيل نفسي من نظراتك وعبارتك ، اننا التقينا قبل الآن ... وارجو ان لا تنساني .

ثم تناولت من صدرها خاتماً ماسياً ثميناً وادخلته في اصبع دارتنيان قائلة :

— هذا الخاتم هدية مني ...

وتظاهر دارتنيان بأنه يريد اعادته اليها ، الا انها اصرت عليه قائلة :

— احتفظ بهذا الخاتم كعربون لهذا الحب الذي بيننا .

وتتم دارتنيان يخاطب نفسه :

— يا لها من امرأة غامضة !

وفي هذه اللحظة خطرت لدارتنيان فكرة جريئة ، عزم على تنفيذها ، وهي ان يعلن عن حقيقته ، ويصارحها بأنه اراد الانتقام منها ... الا انها بادرت به قولها :

— يا لك من ملاك مسكين ، لم يتمكن ذلك الوحش الغاستوني

من ان يقضي عليك ... هل ما زالت جراحك تؤلمك ؟

اجابها دارتنيان :

— أجل ...

فتمتعت ميلادي بصوت غامض .
 - كن مطمئناً! فسأنتقم لك بنفسى، وسيكون انتقامى رهيباً .
 وعلى الرغم مما تفوقت به ضده فقد احسّ دارتنيان بأن
 هذه المرأة الخيفة ، تسيطر عليه سيطرة غريبة ، فهو يحبها
 ويكرهها في آن واحد ، ولم يكن يتصور اجتماع الحب
 والكراهية في قلب واحد وان اجتماعهما يؤلفان حباً غريباً
 شيطانياً ...

ودقت الساعة تعلن منتصف الليل ، وكان على العاشقين ان
 يفتروا ، وعندما همّ دارتنيان بالانصراف ، شعر بالأسى بحز قابه
 لهذا الفراق ، وبعد ان تبادل القبلات المحبومة ، تواعدا على اللقاء
 في الاسبوع القادم .

وودت المسكينة كافي ان تتحدث الى عشيقها قبل انصرافه
 ولكن سيدتها لم تمكنها من ذلك ، اذ رافقته رغم الظلمة حتى
 الدرج المؤدي الى الباب الخارجى .

وفي صباح اليوم التالى ، اسرع دارتنيان الى منزل صديقه
 آتوس ، ينقل اليه تفاصيل مغامراته في الليلة الماضية ، وقطب
 الفارس آتوس حاجبيه وقال :

- يبدو لي ان ميلادي هذه ، امرأة خيفة ، ولكنك لم تكن
 مخطئاً في خداعك لها ، ولا تنسَ انها عدوة لدودة حتى ولو
 احتمويتها بين ذراعيك .

وكانت عينا آتوس قد تركزت على الخاتم الماسي الذي يضعه
 دارتنيان في اصبعه ، وانتبه الشاب الى ذلك وقال مشيراً الى

الخاتم :

- هل يعجبك هذا الخاتم ؟

- انه نادر الوجود ، هل حصلت عليه بدلاً من الخاتم الذي
اهدته اليك الملكة ؟

- كلا انه هدية من ميلادي ، ولقد اعطتني اياه هذه الليلة !
- دعني اتفحصه ...

فانتزعه الفارس الشاب من اصبعه وقدمه الى اتوس الذي
انهك يفتحصه بدقة كلية . . . ثم ما لبث ان بانث على قسبات وجهه
دلائل القلق وقال وكأنه يخاطب نفسه :

- من المستحيل ان تكون هي . . والا فكيف وصل هذا
الخاتم اليها ؟!

فبادره دارتنيان :

- وهل تعرف صاحب هذا الخاتم ؟

- يخيل اليّ انني اعرف صاحبه ، وهو انا ، اذ يدكرني
بذكريات مؤلمة جداً ، لا اريد ان ارددها الآن .

فسأله دارتنيان :

- ومن اهداك هذا الخاتم ؟

- انه هدية من المرحومة أمي ، وقد ورثته من امها ايضاً ،
فهو حليلة قديمة توارثتها العائلة وتعتز بها .

- وهل اضطررت الى بيعه ؟

اجابه آتوس بصوت متهدج :

- لقد قدمته هدية في ليلة غرام ...

واطرق دارثنيان مفكراً ، يستعيد قسماً تلك المرأة التي
أهدته الخاتم .

وقطع عليه حبل افكاره آتوس يقول :
— احتفظ بهذا الخاتم يا عزيزي ، فأنت اعز من ولدي ...
وانصحك بأن تترك هذه المرأة ، لأن نفسي تتحدثني بانها مخلوق
مشؤوم .

— انك على حق واؤكد لك ان هذه المرأة تخيفني .
— اذن ابتعد عنها ، والله يردك ويبعد شرورها عنك .
واستأذن الفارس الشاب بالانصراف ليعود الى مسكنه ،
وهناك وجد بانتظاره الوصيفة كاتي ، وكانت بحالة يرثي لها من
الاعياء والاصفرار .
فاعلمته ان سيدتها أوفدتها لتطلب من الكونت دي وارد ، تحديد
موعد زيارته القادمة .

وكانت كلمات آتوس وتحذيراته ما تزال تترنن في أذني الشاب
فقتاول ورقة وسطر عليها بلسان الكونت الرسالة التالية :
« ليس باستطاعتي ياسيدي ان احدد لك موعداً قريباً ، لان
عليّ عدة مواعيد من هذا النوع يجب ان اقوم بها ... وعندما
يحين دورك سأعلمك . »

وناول الرسالة دون ان يختمها الى كاتي ، التي قرأت سطورها ،
فانبسطت اساريرها ، واسرعت بها الى سيدتها . وما ان اطلعت
عليها ميلادي حتى راحت ترتجف من شدة التأثر والحنق وقالت
تخاطب وصيفتها :

— من المستحيل أن يكتب رجل نبيل ، الى سيدة مثل هذه
الرسالة !
وفجأة شعرت بضيق في صدرها ، وحاولت ان تخطو نحو
النافذة ، لتستنشق الهواء النقي ، الا أن رجلها لم تقويا على
حملها ، فتخاذلت على اريكة وهي تلهث ، واقتربت منها الوصيفة
تريد ان تحمل ازار ثوبها الضيق لتمكنها من التنفس بسهولة ،
دفعت ميلادي عينيها ، وانتهرت وصفتها وأمرتها بمغادرة الحجرة
وتركها بمفردها .

٣٦

حلم الانتقام



وفي المساء اوعزت ميلادي الى وصيفتها كاتي ان تدخل
 بجناحها الخاص الفارس دارتنيان فور حضوره ، الا انه لم يحضر
 في تلك الليلة . . . وموت ثلاثة ايام انقطع دارتنيان عن زيارة
 ميلادي ، بما زاد في قلقها واضطرابها . وفي اليوم الثالث اوفدت
 وصيفتها كاتي برسالة خاصة للفارس الشاب ، فتناوها وكانت هذه
 المرة باسمه وليس باسم الكونت دي وارد ، وقرأ فيها :
 « يبدو لي انك اهملت شأن اصدقائك الجدد . . . لقد انتظرونا
 انا وشقيق زوجي الكونت دي ونتر ، حضورك امس ، ولكن
 بلا جدوى . ونأمل ان نراك في هذا المساء .

لا دي كلاريك»

ولما انتهى من تلاوة الرسالة بادرته الوصيفة كاتي قائلة :

... وهل تنوي ان تلبي الدعوة ؟

— اسمعي يا صغيرتي ، انه من الضروري أن الي هذه الدعوة ،
 كيلا يفسر انقطاعي عن زيارة سيدتك ، تفسيراً سيئاً اليك .
 — يا الهي ما أشد دهائك ! انك دائماً تجد مبرراً معقولاً
 لتبريراتك . وهل تريد ان تلاحقها بحبك ؟
 فأكد لها الفارس الشاب بانه لن يخضع لها او ينقاد الى اغراءاتها .
 وفي الساعة التاسعة كان دارتنيان يدخل منزل ميلادي ،
 ويتوجه رأساً الى جناحها الخاص ، حيث استقبلته بحفاوة بالغة ، ولا حظ انها
 مكفهرة الوجه بادية الابعاء .
 فسألهما عن صحتها فأجابته :
 — سيئة جداً ، اذ أشعر بأعياء .
 — اني آسف اذ ازعجتك بزيارتي ، فامحي لي ان انسحب .
 فاسرعت تمسك بذراعه قائلة :
 — لا تذهب ان وجودك الى قربي يرفه عني ، ويخفف من
 آلامي .
 وراحت تبدي للفارس الشاب ضروب المجاملة والتودد ، الى
 الى أن سأله اذا كان له عشيقة يحبها ، فتشهد واجابها :
 — لقد كنت قاسية في سؤالك هذا . . . لأنه منذ اللحظة التي
 التقيت بك ، أصبحت لا اتنفس الا من أجلك .
 فارتسمت على شفهي ميلادي ابتسامة غريبة وقالت :
 — الى هذا الحد انت تحبني ؟
 فقرب دارتنيان مقعده منها ، بينما اردفت تقول :
 — وماذا يمكنك ان تعمله لتؤكد صدق حبك ؟

- كل ما يطلب مني فعله ، فأنا مستعد لانفذه فوراً .

- كل شيء مهمها كان خطيراً ؟

- كل شيء .

فمظاهرات ميلادي كأنها تفكر بأمر ثم التفتت الى الفارس

وقالت :

- هناك عدو لي لدود ، اود التخلص منه ، مهما كلف الامر ،

عدو اهاني بقساوة ، فهل يمكنني الاعتماد عليك .

فأدرك دارتنيان فوراً من تقصد بذلك فأجابها :

- يمكنك الاعتماد عليّ ياسيدي ، فساعدي وحياتي اضعهما

تحت تصرفك .

لقد كانت تقصد ميلادي بذلك العدو اللدود الكونت دي

وارد الذي حطم قلبها وطمعها في كرامتها وكبريائها ، فقررت

أن تسخر هذا العاشق الغاسقوني للقضاء على الكونت الغادر !

وهنا امسكت بذراعه تتودد اليه قائلة :

-- اذن لقد فهمت ما اقصد يا عزيزي دارتنيان ؟

-- هيا اذكري اسم ذلك العدو السيئ الحظ .

فترددت بعض الشيء ثم قالت :

- انه يدعى ...

فقاطعها دارتنيان بقوله :

- دي وارد ! ..

فامسكت ميلادي بكنتا يديه قائلة :

- وكيف عرفت اسمه ؟ !

فأدرك الشاب بأنه تسرع في الكلام وأرتكب هفوة يجب أن
يعمل على تلافيها فقال :

- لقد علمت أن دي وارد هو عدوك اللدود ، لأنه كان
أحسن يتحدث إلى بعض أصدقائه ، وبيده خاتم ماسي ثمين قال أنه
هدية منك .

فصاحت ميلادي حانقة :

- ياله من رجل حقير !

وأمسكت بكتف الفارس الشاب تسأله :

- وهل ستلتقم لي قريباً ؟

- سأأثر لك من عدوك غداً إذا شئت ..

وهنا تناهى إلى سمعها حركة ، فارهفت السمع ، ثم التفتت إلى
دارتنيان تقول :

- أنه الكونت دي ونتر شقيق زوجي ، وأرى أنه من غير
المناسب أن يراك هنا .

وقرعت الجرس لوصيقتها كاتي ، ثم فتحت الباب الموصل بينها
وبين حجرة الرصيفة ودفعته قائلة :

- عد إليّ عند الساعة الحادية عشرة ، فانا بانتظارك .

ولما أصبح في حجرة كاتي ، راحت هذه تنحي عليه باللائمة ،
ولم يدعها تسترسل في ثرثرتها وغيرتها فوضع أصبعه على شفيتها وقال :
- لا تكوني حمقاء .. هذه المرأة شريرة وخطرة ، وعلمينا أن
نحذرها !

٣٧

سر ميلادي



وغادر حجرة الوصيفة كاتي ، وراح يذرع الطريق المجاورة لمنزل ميلادي ذهاباً وإياباً ، يفكر بالطريقة للخلاص من هذه المرأة الخبيثة . وحديثه نفسه بأن يذهب الى منزله ، ليمسطر رسالة طويلة الى ميلادي ، يصارحها بكل شيء ، فيقول لها بأنه انتعمل شخصية الكونت دي وارد ، واجاب على وسائله . . . الا انه عدل عن هذه الفكرة ، اذ تغلبت انانيته وطموحه على كل شيء ، للسيطرة على هذه المرأة بشخصه . وتابع سيره وهو يراقب جناح ميلادي ، وما ان شاهد النور يطفأ حتى توجه رأساً الى حجرة الوصيفة كاتي ، التي حاولت منعه من الدخول بدافع الغيرة ، ولكن ميلادي فتحت الباب ، ودعته الى الدخول ثم اغلقت الباب خلفهما .

واندفعت كاتي بدورها وراء الباب تتفاعل بصورها عوامل الغيرة والغضب وكبرياء المرأة العاشقة المظعونة بحبها ، تدفعها

لارتكاب الحماقات ! .. الا ان هذه العوامل ما لبثت ان هدت
ثأرتها ، عندما اتضح للمسكينة بانها ستكون الحاضرة من وراء
هذا العمل !

وفي الوقت نفسه كانت تصطرع في نفس الشاب دارتنيان عوامل
اخرى ، وسمع صوتاً خفيفاً يهتف بأذنه ، انه لم يكن سوى آلة
الانتقام ، ولكن كهرياء فارسنا الغاسقوني خنقت هذا الصوت ،
وجعلته يأمل بان يكون العشيق الحبيب المفضل لهذه المرأة .
وبدا دارتنيان حديثه مع ميلادي ، بان تعفو عن عدوها
الكونت دي وارد ، وقبل ان ينطق بعبارة الاولى فقرت منه
وقالت بلهجة حائقة :

.. هل انت خائف من مقابلته يا عزيزي دارتنيان ؟
- لست خائفاً ، ولكن قد يكون ذلك المسكين ، اقل
جرماً مما تتصورين .

.. على كل ، فهو قد خدعني ، ولهذا فهو يستحق الموت .
أجابها دارتنيان بلهجة حازمة :
- اذن يجب ان يموت ، طالما اصدرت حكمك عليه .
وأعجبته بلهجة الفارس وقراره الحازم ، فاقربت منه بدلال
تداعب خديه وتودد اليه باغراء ...

ولم ينصرف دارتنيان من خدع عشيقته ميلادي ، الا عند
تباشير الفجر الاولى ، وعندما كان يهيم بالانصراف ، تنبهت ميلادي
وعادت تذكره بالوعد الذي قطعه على نفسه بالثأر من الكونت
دي وارد .

- اجابها دارتنيان :
- انني على تمام الاستعداد ، لأن انفذ ما وعدت به ، ولكني اود ان اتأكد من انك تحبينني فعلاً .
- اظني اعطيتك البرهان الكافي حتى الآن .
- لا شك في ذلك ، ولكن اذا كنت تحبينني كما تصرحين ألا تخافين علي ؟
- ومن اخاف عليك ؟
- من ان اصاب بجرح قاتل ، او ان اقتل على الفور مثلاً !
- مستحيل ، انك رجل شجاع ، ومن امهر لاعبي السيف .
- وما رأيك في اللجوء الى وسيلة اخرى ، للتأثر منه ؟
- فرمقت ميلادي عشيقها بنظرة فاحصة ، دون ان تنبس ببنت شفة ، وقالت أخيراً :
- حقاً كنت واثقة من انك ستتردد في تنفيذ ما وعدت به .
- ليس هذا ترددآ .. ولكنني ارئي لحال هذا الكونت منذ ان اقلعت عن حبه .
- ومن اعلمك بانني احببته ؟
- اندفاعك الجنوني للانتقام منه .
- وسكت دارتنيان لحظة ثم عاد يقول :
- وبلاضافة الى ذلك ، فاني اصبحت مهتماً بامر هذا الكونت المسكين ..
- انت ا..ولماذا ؟
- لسبب لا يعرفه غيري ، وهو بعيد كل البعد عن كونه

مجرماً نحوك .

فهمت بصبر نافذ قائلة :

- اوضح هذه الالغاز ..

- سأوضح لك كل شيء فيما بعد .. والآن أخبريني ، هل
تصفحي عني اذا اقدمت ، بدافع الحب ، على ارتكاب هفوة نحوك ؟
فردت عليه بجدة :

- ربما صفحت عنك ..

وحاول الفارس الشاب والابتسامة تعلو شفتيه ، ان يقرب
فمه من شفتي عشيقته ميلادي ، الا انها لم تمكنه من ذلك ، وعادت
تلمح عليه بقولها :

- لماذا لا تكون صريحاً وتتكلم بما تعرفه ؟

فصمت دارتنيان بعض اللحظات ثم رفع رأسه ليسألها وابتسامة
التحدي والتشفي لا تفارق شفتيه !

- ألم تحدي موعداً للكونت دي وارديوم الخميس الماضي
في هذا المكان ؟

فأجابته بلهجة جازمة ، ادهشت دارتنيان :

- كلا ..

- لا تحاولي الكذب يا ملاكي الجميل .

فبادرته حانقة :

- صارحني بما عندك ، ولا تحاول اثارة اعصابي .

- ان الكونت دي وارديوم مذنب تجاهك ولا يستحق

الموت ..

— ولماذا ؟

فتردد لحظات قليلة ثم قال :

— ان الحاتم الماسي الذي قدمته هدية للكونت دي وارد ، هو الآن في حوزتي . وان الكونت المسكين لم يزرك يوم الخميس بل الذي زارك في حجرتك هذه ليلاً منتحلاً اسمه وشخصيته هو انا بنفسني .

وانتظر دارتنيان بعد هذه القنبلة التي اطلقها بوجهه عشيقته ميلادي ، ان تثور هذه المرأة وتتخاذل لبيتلذذ برؤية دموعها تذرف ولكنها لم تفعل شيئاً من ذلك ، بل هجمت عليه ودفعته بكلمات يديها في صدره بكل ما اوتيت من قوة . فما كان من الشاب الا ان امسك بطرف غلالتها الحريرية الناعمة ، محاولاً تهدئتها ، وكانت من نتيجة ذلك ان تمزقت الغلالة ، وانكشفت عن كتفين مستديرين ناصعي البياض . ووقف دارتنيان يمتع نظره بهذا المشهد الفريد ، واذا به ينتفض انتفاضة الذعر والدهشة ، فقد ابصر في مؤخرة كتفها الايسر شارة « زهرة الزنبق » ظاهرة بوضوح على ذلك الكتف الجميل الناصع ، وهي الشارة التي يسم بها الجلاد ، اللصوص والمجرمين .

وفطنت المرأة الى حركته ، وأدركت فوراً الباعث لهذه الدهشة ، وانه وقف على سرها ، هذا السر الخطير الذي لا يعرفه احد سواها . فانتصبت انتصاباً الحيوان الجريح واستلت من صدرها خنجراً حاداً ، وانقضت على دارتنيان تحاول الفتك به ولكنه تمكن في اللحظة الحاسمة من امتشاق حسامه ليدافع به عن

نفسه ضد هذه الذئبة الثائرة ، وغكن من ابعادها عنه بجهد ، ثم راح يتراجع الى الوراء ، الى ان بلغ الباب الموصل الى حجرة الوصيفة كاتي ، ففتحه بسرعة خاطفة ، واندفع بقفزة واحدة حتى صار خارج حجرة ميلادي ، ثم بادر الى اغلاق الباب خلفه واوصده بالمزلاج .

وسمع صوت ميلادي الهائجة تقذف من فيها الشتائم وتصبح باصوات منكورة وهي تضرب الباب براحتيها بشدة محاولة تحطيمه ، ولكنها عجزت عن فتحه ..

وقدمت الوصيفة كاتي الى الفارس الشاب الذي فر من حجرة سيدتها هاسر الرأس ، كل مساعدة لتسهيل فراره من المنزل . وفي اللحظة التي كان دارتنيان يتسلل فيها من المنزل ، كانت ميلادي تقرر الجرس بشدة وتطلب الى جميع الخدم بان لا يدعوا احداً يخرج من المنزل وان يحكموا اغلاق الابواب !

٣٨

كيف حصل آتوس على معداته



وانطلق الفارس دارتنيان وهو على تلك الحالة ، يعدو في شوارع باريس ، في تلك الساعة المتأخرة من الصباح ، ويده على مقبض حسامه ، وظل يجري بلا توقف حتى وصل الى منزل صديقه الفارس آتوس .

وفتح له الباب الخادم غريمو ، فأصابه الذعر لم رأى دارتنيان على هذه الحالة ، واسرع يوقظ سيده آتوس ، الذي نهض من نومه ليرى صديقه الشاب في حالة يرثى لها ، فسأله :
— ماذا حدث ايها الصديق ؟! هل مات الملك ، ام هل قتلت نيافة الكردينال ??

فأجابه دارتنيان :

— لا هذا ولا ذاك ايها العزيز .. سأقص عليك ما رأيته بأمر عيني ، وهو بعيد عن التصديق ، لقد رأيت كتفها الجميل الناصع

البياض .. رأيتُه موسوماً بشارة زهرة الزنبق وكدت لا اصدق
ما رأيت .

فامتقع وجه الفارس آتوس ، الذي كان يصغي الى حديث
صديقه بكل حواسه ، وسأله :

— ومن هي هذه المرأة ؟!

— انها ميلادي او اللادي كلاريك بذاتها .

ثم اقترب دارتنيان من صديقه يمس باذنه قائلاً .

— والآن اود ان اعرف ؟ هل كنت تعتقد اعتقاداً جازماً ،

انها هي الاخرى قد ماتت فعلاً ؟ .. اعني تلك الفتاة التي خنقتها
وعلقته فوق الشجرة ، عندما حدثتني عنها في فندق اميان ؟

وطفق دارتنيان يسرد اوصاف ميلادي او اللادي كلاريك
بدقة واسهاب ، بينما راح آتوس يغمغم بصوت خافت بعباسات
غير مفهومة ، وقد استند بظهره الى المدخنة وبدأ وكأنه يفكر
بماضي الماضي ، وأخيراً رفع رأسه وقال :

— اذن لم تمت تلك الحية الرقطاء ، وهي لا تزال على قيد الحياة
تواصل نفث سمومها !

وقطع عليها حديثهما ، حضور بلانشيه خادم دارتنيان ، يبلغ
سيده وجود فتاة حسناء في منزله تنتظره .

واسرع الفارس دارتنيان الى منزله ، ليرى الوصيصة كاتي
تبادره بقولها :

— لقد وعدتني بان تحميني من كل اذى ... اليس كذلك !

— اجل يا عزيزتي ... والان اخبريني ماذا حدث بعد ذهابي .

— لقد راحت تصب عليك جام غضبها ، ثم تذكرت انك هربت عن طريق حجرتي ، فاتهمتني بانني متواطئة معك ضدها ، وانني سهلت لك الفرار ، فطردتني في الحال ، وهي تهددني بأسوأ العواقب .

وفي هذه الاثناء وصل رفاقه الثلاثة الى المنزل ، واطلعوا على الحادثة ، فقرروا جميعاً مساعدة هذه الفتاة المسكينة والعمل على ابعادها عن باريس خشية أن يلحقها شر ميلادي .

وتبرع الفارس اراميس بتسطير رسالة خاصة الى السيدة « بواتراسي » لتتخذ من كاتي وصيفة خاصة لها ، وسلم الرسالة الى الفتاة ثم اقترب دارتنيان من الفتاة وانتحى بها زاوية وخاطبها وهو يربت على كتفها متودداً :

— والآن سنفتوق يا عزيزتي ، وآمل ان نجتمع في المستقبل القريب .

وبعد ذلك قصد دارتنيان الى احد المرابين اليهود ، وزهين الحاتم المامي بمبلغ خمسمائة دينار ، وتولى بمساعدة خادمه بلانشيه شراء معدات حربية له ولصديقه الفارس آنوس كجا ابتاع جوادين اصيلين .

٣٩

مقابلة



واجتمع شمل الفرسان الاربعة مرة ثانية عند الساعة الرابعة ،
في منزل آنوس ، وكان اهتمامهم بشأن المعدات اللازمة للحملة قد
تلاشى نهائياً ، وحل محله الاطمئنان . وبانت على ملامح ابطالنا
الطمأنينة والارتياح التام ، تخفي وراءها ما يجيبه كل منهم من
مشاكل وامراره الخاصة . وفجأة دخل عليهم بلانشيه ، يحمل معه
رسالتين الى سيده الفارس دارتنيان .

وكانت الرسالة الاولى ، عبارة عن ورقة زرقاء اللون مطوية
بعناية ورشاقة ، فقفز قلبه سروراً وغبطة ، اذ خيل له أنه عرف
مصدر الرسالة . اما الرسالة الثانية فكانت كبيرة الحجم وعليها
شعار نيافة الكوردينال ريشليو .

واسرع دارتنيان يفض الرسالة الاولى آملاً ان يطلع على انباء
سارة ، وقرأ فيها ما يلي :

« حاول ان تقوم بنزهة يوم الاربعاء القادم ، بين السادسة والسابعة مساء ، على طريقى شايو ولا تنس ان تراقب العربات التي قد تمر امامك . واذا كنت تحب الاحتفاظ بحياتك وحياة الذين تحبهم ، فلا تتلفظ بكلمة واحدة او تقوم بحركة يشتم منها انك عرفت الشخص الذي يضعي بحياته من اجل ان يراك ولو لحظة عابرة » ولم تكن الرسالة تحمل اي توقيع ظاهر ...

ولما عرض الرسالة على صديقه آتوس قال له :

— انها مكيدة مدبرة الايقاع بك فاحذر ..

فأجابه دارتنيان بقوله :

— ينحيل الي انني اعرف صاحب هذه الكتابة ..

فبادره آتوس بقوله :

— ربما كانت الكتابة مقلدة تقليدًا متقنًا ... ولا تنس ان في

الساعة السادسة والسابعة مساء تكون طريق شايو مقفلة تمامًا ، وكأنك تتوغل في غابة ..

اجابه دارتنيان :

— اقترح ان نذهب جميعنا الى هناك ، ومن المؤكد اننا لن

نؤكل لقمة سائغة نحن وخدمنا الاربعة واسلحتنا ؟ ..

فأيد بورقوس قول صديقه و اضاف قائلاً :

— وستكون مناسبة طيبة لاستخدام معدائنا واسلحتنا

الجديدة .

ووقف الفارس دارتنيان يقول لرفاقه :

— الساعة الآن هي الرابعة والنصف ، ولدينا متسع من الوقت

لنذهب الى طريق شايو لنكمن هناك ونراقب العربات المارة ،
حتى ولو كانت مؤامرة ضدنا ، فبإمكاننا ان نجبسطها فوراً ..
فأبدى الرفاق الثلاثة موافقتهم على اقتراح صديقهم دارتنيان ،
وقبل ان يغادر الفرسان منزل رفيقهم آتوس ، قال دارتنيان :
- لنقرأ الرسالة الثانية قبل ان نتحرك من هنا ..
وتناول الرسالة الثانية المختومة بخاتم الكردينال وفضها وراح
يتلو ما فيها :

« ان السيد دارتنيان من حراس جلالة الملك في فرقة القائد
دي زيسار مدعو للمثول في معسكر نيافة الكردينال ريشليو هذا
المساء عند الساعة الثامنة .

قائد الحرس
لاهودينيير »

فصاح الفارس آتوس قائلاً :
- هذا موعد يثير القلق والشكوك ، اكثر من الموعد
الأول ..

فبادره دارتنيان بصوت هادئ :
- ساذهب الى الموعد الثاني عندما انتهى من الاول فهناك
متسع من الوقت للموعدين ..
فأسرع اراميس يقول :
- اما انا فسأذهب الى الموعد الاول لأن الداعي اليه امرأة
اما الثاني فسأفجاهله لا سيما وان الداعي اليه الكردينال ...
فصاح بورتوس :

— انني اؤيد وجهة نظر اراميس بدون تحفظ ..

فقال دارتنيان :

— مهلا ايها الرفاق ، لقد تلقيت قبل اليوم دعوة مماثلة من القائد دي كافوا يدعوني لمقابلة نيافة الكردينال فاهملتها ، وكانت النتيجة ان تعرفت في اليوم التالي الى مصيبة كبيرة هي اختفاء جرمين بوناسيو .. ولهذا قررت هذه المرة ان اذهب لارى نيافته .

فبادره آتوس بقوله :

— اذا كنت قد عقدت العزم على الذهاب ... فاذهب .

فقال اراميس .

— وسبحن الباستيل ؟ ..

اجاب دارتنيان :

— اعتمد على مساعيكم لاجراحي منه ...

فصاح الفرسان الثلاثة بصوت واحد :

— اطمنن ايها الصديق ، واننا نعباهدك على ذلك .

واردف آتوس يقول :

— حقاً لقد اشتمقنا الى منازلة فرسان الكردينال والتعهرش

بهم وليكن هذا المساء عند الساعة الثامنة موعداً جديداً لاثارة المشاكل بيننا وبين فرسان نيافته ...

فاسرع بورتوس يقول :

— اما انا فساذهب الى مقر القائد دي تريفييل لاعلم رفاقنا في

الفرقة ، ليكونوا على تمام الاستعداد في الساعة الثامنة مساء ،

اما انتم فاعدوا الجياد والأسلحة ولتكن هذه الليلة المعركة الفاصلة
بيننا وبين رجال الكردينال .

وخرج الرفاق الاربعة من منزل آتوس ، وامتطوا صهوات
جيادهم متجهين اولاً نحو طريق شايبو وعندما وصلوا الى قرب
قصر اللوفر ، شاهدوا القائد دي تريفيل عائداً من ضاحية
سان جر مين ، فاوقفهم ليجزي لهم التهنئة والشكر على المعدات
الجديدة المجهزين بها .

وانتهز دارتنيان هذه المناسبة وتقدم من دي تريفيل ليطلعه
على الرسالة التي تلقاها من الكردينال ، كما اطلعه على القرار الذي
اتخذ بموافقة رفاقه ، فأقر القائد دي تريفيل خطة الرفاق الاربعة
بكامل تفاصيلها .

وأكد له انه في حال اختفائه ، فسيعمل المستحيل لمعرفة
مكانه وانقاذه ..

وفي تلك اللحظة ، بدأت ساعة « السامارتين » تدق معلنة
السادسة ، فأسرع الرفاق الاربعة للاستئذان من قائدهم وتابعوا
سيرهم نحو طريق شايبو ، وفي أقل من خمس دقائق ، كان
الفرسان يتوبصون قرب طريق شايبو في المكان الذي حددته
الرسالة .

وبعد انتظار ربع ساعة تقريباً ، ظهرت عربية فخمة قادمة
من طريق « سيفر » . واحس الشاب دارتنيان بشعور خفي ينشبه
بان هذه العربية تضم الشخص الذي ضرب له الموعد .
وما ان اقتربت العربية من الفارس الشاب حتى شاهد رأس

امرأة حسناء يطل من النافذة ويضع على فمه اصبعيه كأنه يريد ان يرسل له قبلة في الهواء ... وانطلقت من صدر فارسنا الشاب صيحة فرح اذ كانت المرأة التي وقع بصره عليها هي السيدة بوناسيو . وعلى الرغم من التعليمات التي أعطيت له في الرسالة ، الا ان دارتنيان لكز جواده محاولاً اللحاق بالعربة ، ولكنه لم يستطع اللحاق بها فقد اندفعت العربة تشق طريقها وغابت في الظلام .. واختفى معها كل اثر لجرمين بوناسيو .

وبينما هو في مطارده للعربة ، تذكر الوصية الواردة في الرسالة : « .. بأنه اذا كان يحافظ على حياته وعلى حياة من يجب فلا يحاول الاثيان بحركة ... » وما لبث ان توقف عن المطاردة ، وعاد الى رفاقه الفرسان الذين كانوا ينتظرون أوبته بفارغ صبر ... في حين كانت العربة تغد في سبورها نحو باريس .. والتفت دارتنيان الى رفاقه قائلاً :

لا شك انهم ينقلونها من سجن الى آخر ... فكيف السبيل الى انقاذها ؟ ..

وأجابه آتوس :

— دع ذلك للظروف .. واحمد ربك على انهم لا تزال على قيد الحياة .

ودقت الساعة في هذه اللحظة ، السابعة والنصف ، فتذكر دارتنيان مواعده مع الكردينال ، فأسرع مع رفاقه الى شارع سان اونوريه ، ثم الى معسكر « الكردينال » حيث وجدوا اثني عشر

فارساً من فرقة الحرس الملكي موزعين في المكان بانتظار اشارة من زملائهم الفرسان ، فتولى آتوس توزيع هذه القوة الى ثلاث فرق تولى هو قيادة احدها، بينما ترك لكل من بورتوس و اراميس الفرقتين الثانيةين .

اما دارتنيان فقد مضى لتوه الى مقر الكردينال ريشليو لمقابلته .

وفي قاعة الانتظار التي جلس فيها دارتنيان شاهد خمسة من فرسان الكردينال الذين يعرفونه تمام المعرفة ويعرفون انه هو الذي اصاب قائداهم دي جوساك بجرح بليغ في صدره . وعلى الرغم من نظرات الشرر التي راح الفرسان يحدجونه بها ، جلس بكل اعتداد واستهتار بينهم .

وما هي الا لحظات حتى حضر حاجب الكردينال و اشار اليه ان يتبعه ، فقام دارتنيان من مقعده ولحق الحاجب الى قاعة فسيحة تركه على بابها ثم انسحب .

ورسى فارسنا الجريء بصره في ارجاء القاعة ، فشاهد في نهايتها رجلاً نحيفاً يجلس الى مكتب فيخم يطالع كتاباً ضخماً امامه دون ان يعرفه ادنى اهتمام لدى دخوله ..

وحسب الفارس الشاب ، للوهلة الاولى ، انه امام قاض يفحص ملفه .. ثم رأى الرجل يكتب سطوراً غير متعادلة فخيّل اليه انه امام شاعر .. وبعد ثوان اغلق الرجل كتابه ثم رفع رأسه ... وهنا ادرك دارتنيان انه امام الكردينال ريشليو وجهاً

ارجه ...

٤٠

مقابلة مفزعة



كان الكردينال يتكلم بمرفقه على كتاب ساندأ وجنته ،
وهو يتأمل الشاب بامعان .

كانت نظراته عميقة فاحصة نافذة حتى ان دارتليان أحس بها
تتسرب الى شرايينه كأنها الحمى . ومع ذلك فقد تأملك نفسه ،
ووقف بشيء من الاعتداد ، وقبعته في يده ، يلمتظر حديث نيافته .
وتكلم الكردينال أخيراً فقال :

- هل انت ايها السيد من عائلة دارتليان دي بيرون ؟

واجابه الفارس الشاب :

- نعم يا سيدي .

- ولكن يوجد عدة فروع من هذه العائلة في « تارب »

وضواحيها ، فالى اى منها تنتمي ؟ ...

- اني ابن الرجل الذي قاتل في الحروب الصليبية تحت قيادة

الملك الكبير هنري ، والد صاحب الجلالة ملكنا الحالي .
- هذا ما حسبته . فهو اذن ائت ، الشاب الذي غادر قريته
منذ سبعة او ثمانية أشهر ليهبث عن الثروة والمجد في باريس ؟
- نعم يا صاحب النيافة !
- ولقد مررت في طريقك بقربة مينغ ، حيث وقعت لك
حادثة ما .. انني لا اذكر ما هي .. ولكنها حادثة ما ...
وقال دارتنيان مقاطعاً .
- اليك ما وقع لي يا صاحب النيافة ..
وقاطعه الكاردينال بابتسامة كأنها تقول انه يعرف القصة جيداً
وتابع :
- لا فائدة من مردها .. لقد كنت تحمل رسالة توصية الى
السيد دي تريفييل اليس كذلك ؟
- نعم يا صاحب النيافة ، ولكن وقع لي في حادثة مينغ
تلك ان ..
وقاطعه نيافته :
- ان فقدت الرسالة منك .. نعم انني اعلم ذلك . ولكن
السيد دي تريفييل انسان له نظريته الصائبة ، فما ان شاهدك لأول
مرة حتى اخطئك بفرقة دي زيسار على أمل ان ينقلك بين يوم وآخر
الى فرقة الفرسان .
وقال دارتنيان :
- ان صاحب النيافة مطلع تماماً على قصتي ..
ومضى الكاردينال يقول :

— ومنذ ذاك الوقت حدثت لك امور كثيرة ، مثل ذهابك ذات يوم للنزهة في « الشارترو » بينما كان يجدر بك ان تكون غير هناك ، ثم قمت مرة اخرى برحلة مع اصدقائك .. وقد توقفوا هم في الطريق بينما تابعتها انت .. لقد كان لك على ما يبدو اعمال في انكاثرا ١.

وقال دارتنيان بشيء من الامتعاض :
— ولكني يا صاحب النياقة كنت ذاهباً ..
وقاطعه الكاردينال :

— كنت ذاهباً للصيد في وندسور .. أو في مكان آخر .. هذا لا يخص احداً غيرك ، انا ادرك ذلك ؟ ولكن اذا كنت مطالباً على كل هذه الامور فلان مهيتي ان اعرفها . وعندعودتك استقبلتك شخصية بارزة ، وانني ارى بسرور انك لازلت تحتفظ بالهدية التي قدمتها لك .

وانخطفت يد دارتنيان الى الجوهرة التي اعطته اياها الملكة وأدار وجهها الى الداخل ولكن بعد فوات الاوان .
وتابع الكاردينال قائلاً :

— وفي اليوم التالي تلقيت زيارة « دي كافوا » ورجاك ان تمر على قصري ... ولكنك لم تأت وكان هذا خطأ فادحاً منك .
— ولكني خشيت يا مولاي ان اكون موضع غضب نيافتك
— آه .. ولكن لماذا ، يا سيدي .. ؟ لأنك قمت بتنفيذ أوامر رؤسائك بشجاعة وذكاء يعجز عنها اي شخص آخر غيرك .. أمن اجل هذا كانت ستعمل عليك ملامتي .. في حين انك تستحق

المديح . . ؟

ان الاشخاص الذين يعصون الاوامر هم الذين ينالون عقابي . .
وليس الذين مثلك يطيعون . . جيداً . والدليل على ذلك تذكر
تاريخ اليوم الذي طلبت منك فيه ان تزورني . . ابحت في ذاكرتك
عما حدث مساء ذاك اليوم .

وارتعدت فرائص دارتنيان . . فقد كانت تلك الليلة هي الليلة
التي أختطففت فيها عشيقته مدام بوناسيو . . وتذكر انه قبل نصف
ساعة فقط مرّت من امامه المرأة المسكينة . . ولعلها كانت مقودة
بنفس القوة الجبارة التي اختطفتها يومذاك .

ومضى السكاردينال قائلاً :

-- واخيراً . . لما كان قد مضى عليّ فترة ليست بالقصيرة لم
اسمع خلاها باخبارك ، فقد شئت ان اعرف ماذا تفعل . . على كل ،
فلا شك انك لاحظت ان شيئاً خفياً كان يسيرك في اعمالك .
واحب ان اقول لك ان ذلك ليس قوة غيبية ، وانما هو تبعاً
لخطة قد وضعتها لك انا . .

وهنا كانت الدهشة قد سيطرت كلياً على دارتنيان ، في حين

اضاف السكاردينال :

-- لقد شئت ان اعرض لك الخطة في اليوم الذي طلبت منك
فيه ان تزورني ، ولكنك رفضت زيارتي . من حسن الحظ ان
هذا التأخير لم يفقد شيئاً كثيراً من اهمية الموضوع والآن
سوف تستمع الي . . اجلس هنا امامي يا سيد دارتنيان . . فانك
شاب نبيل ولا يجوز ان تستمع اليّ ، وانت واقف . .

واشار الكاردينال باصبعه الى احد المقاعد ، فاستقر عليه
دارتنيان وهو في غاية الذهول بينما تابع الكاردينال قائلاً :
- انك شجاع يا سيد دارتنيان ، وذكي في الوقت نفسه ،
وانني اعجب بالاشخاص الاقوياء العقلاء ... ولذلك فان علي ان
اببلغك ان لك اعداء اقوياء ، وانك اذا لم تأخذ حذرَكَ منهم
فسوف يقضون عليك ..

وتتم الفارس الشاب :
- وانهم قادرون على ذلك بكل سهولة يا مولاي ، انهم
اقوياء ذو سلطان ، اما انا فوحيد ...

- هذا صحيح .. ولكن على الرغم من انك وحيد فقد
استطعت حتى الآن ان تفعل اشياء كثيرة ، ولست اشك انه
يمكنك ان تفعل اشياء اكثر ، ولكنك بحاجة الى من يسدد
خطواتك في مهنة المغامرة التي اخترتها ، واذا لم اكن مخطئاً ،
فانك قد جئت باريس يحدوك امل الحصول على الثروة والمجد ..
وقال دارتنيان :

- انني في سن يعيش المرء فيها على الآمال ..
- ليس هناك من آمال لا يستطيع ان يناهها صاحب
العزيمة .. اسمع ايها الفارس الشاب .. ما رأيك في الانخراط
في سلك حرسى .. ؟

وهتف دارتنيان بذهول :

- آه .. يا مولاي .. !

- انك تقبل العرض .. أليس كذلك ؟

ورده دارتنيان بشيء من الحرج :

- يا مولاي ...

وصرخ الكردينال بدهشة :

- ماذا .. هل ترفض ؟

- انني انتهي الى حرس جلالة الملك يا مولاي . وليس لي

الحق ان لا اكون راضياً عن وضعي ..

- وليكن فرقة حرسى الخاصة على ما اعتقد ، هي في نفس

الوقت فرقة حرس لجلالته ... فطالما ان المرء يعمل في فرقة

فرنسية فانه يخدم الملك ..

- يا مولاي .. ان نيافتك قد اساء فهم اقوالي ..

- انك تريد تبويراً لعملك .. أليس كذلك ؟ حسناً انني

اعرف قصدك . فانت تملك هذا التبوير .. وبرر عملك امام الرأي

العام انني اتحت لك فرصة للتقدم .. وبرر العمل امام نفسك ...

بأنك بحاجة الى الحماية باسيد دارتنيان .. اذ لا يخفى عليك ان لدي

عدة شكاوى ضدك .. ولا اظنك ستقضي ايامك ولياليك كلها في

خدمة الملك فقط ..

واحمر وجه دارتنيان بينما تابع الكردينال قائلاً وهو يضع يده

على حزمة من الاوراق امامه :

- ان لدي ملفاً خاصاً بك ... ولقد شئت ، قبل ان اطلع

عليه ، ان اتحدث اليك .. انني اعرفك رجلاً حازماً عاقلاً ...

وان خدماتك يمكنها ، بدلاً من ان تفودك الى المهاوي ، ان تعود

عليك بالخير الكثير ... هيا فكر يا صديقي واتخذ قرارك ..

وقال دارتنيان :

— لقد غمرتني بعطفك يا مولاي ، وان سمو شعور نيافتك
بحوي يجعلني اشعر كأنني صغير جداً ... ولكن ما دمت
يامولاي قد سمحت لي ان اتحدث اليك بصراحة ...
وتوقف دارتنيان لحظة عن متابعة حديثه .. فبادره
الكردينال يستعجله على الكلام بقوله :

— تكلم ...

فعاد دارتنيان يقول :

— اود ان اصرح نيافتك ان جميع اصدقائي هم من فرسان
فرقة حرس جلالة الملك ، بينما شاءت الاقدار والمصادفات الغريبة
ان يكون جميع اعدائي ينتمون الى فرقة نيافتك .. فاذا قبلت
ما تعرضه عليّ والالتحاق بحرس نيافتك ، اكون قد خسرت مودة
اصدقائي في فرقة حرس الملك ، ولم افز بصداقة الفرسان الآخرين .
فنظر الكردينال الى الفارس الشاب نظرة استعلاء وسخط وقال :
— وهل يتبادر الى ذهنك ايها الفارس ، انني اعرض عليك عملاً
لا تستحقه او ينقص من كرامتك ؟

اجابه دارتنيان محاولاً الاحتفاظ برباطة جأشه وهدوئه :

— ان عطف نيافتك يشعلني دائماً ، وارى نفسي غير جدير
بمكارم نيافتك . وبما ان حملة حصار لاروشيل ستبدأ قريباً ،
وسأقوم بواجبي فيها ، فأرجو عندما اعود من هذه الحملة ، ان
اكون قد قمت باعمال استحق عليها عطف نيافتك وحمايته ..
فقاطعه الكردينال بنجدة ونقاد صبر :

— اذن فانت ترفض العمل في خدمتي ايها الشاب؟ فابق حيث انت ، وتذكر جيداً ان في اللحظة التي اتخلى بها عن حمايتك ورعايتك فحياتك لن تساوي في نظر اي كان درهما واحداً .
فاحتقن وجهه الفارس الغاسقوني غضباً واجابه بمنهجية الغاسقونيين قائلاً :

— اعرف ذلك جيداً ... ولن انساه .
فبادره الكردينال محاولاً تخفيف حدة غضبه بقوله :
— وبالإضافة الى ما قلته لك ، لا تنسَ ايها الفارس الشاب ، انني انا الذي سمعت وراءك ، وفعلت كل ما في وسعي لاجعلك في خدمتي ... ولكنك لم تقدر مساعيّ وبلغ من استهتارك ، انك قابلت اهتمامي بالرفض التام .

اجابه دارتنيان مبدياً للكردينال كل احترام وخضوع :
— لقد اسأت فهم قصدي يا سيدي الكردينال فانا لا يمكن ان ارفض رعايتك وعطفك ، وثق بانني سأحفظ لنيافتك كل الاحترام والاخلاص مهما تقلبت الظروف .

ونفض الكردينال اشارة انتهاء المقابلة وقال :
— اذن سنلتقي بعد حملة لاروشيل ايها الفارس دارتنيان .
وسأنتبّع خطواتك واعمالك عن كשב في اثناء هذه الحملة ، لانني سأكون هناك اراقب ما سيجري .

فقابل الفارس عبارة الكردينال الاخيرة بانحناء من رأسه وغادرو القاعة بخطوات ثابتة ، وخرج من المكان الذي دخل منه ، وفي اسفل الدرج وقع نظره على رفاقه الفرسان الثلاثة مع عدد من

زملاتهم ينتظرون عودته وهم على احر من الجمر . واسرع خادمه بلانشيه يبلغ الفرسان الاخرين الذين احاطوا بقصر الكردينال استعداداً للطوارئ ، بأن سيده دارتنيان قد خرج من قصر الكردينال سالماً ، وطلب اليهم العودة الى ثكناتهم .

وعندما عاد الفرسان الاربعة الى منزل آتوس ، واحوا يطمرونه بالاسئلة والاستفسارات عن الغاية التي استدعاه من اجلها الكردينال فاكتمل دارتنيان بالقول ان نيافة الكردينال عرض عليه الالتحاق بفرقة حرسه الخاصة برتبة عالية ، الا انه رفض رفضاً باتاً عرض الكردينال ، و اضاف بأن هذا التصرف قد اغضب نيافته كثيراً .
وهنا صاح رفيقه بورنوس وأراميس في صوت واحد :
- حسناً فعلت ، برفضك عرض الكردينال .

ولما خلا الجو للفارس آتوس ، التفت الى رفيقه الشاب دارتنيان وقال :

- اعتقد انك اخطأت في تصرفك مع الكردينال ، اذ كان عليك ان تقبل ما عرضه عليك .
فابتسم دارتنيان وقال :

- انت هاتفا في داخل نفسي يندرنى بانني سأعرض لمشقات واطوار عديدة .

وقضى الفرسان الاربعة طيلة اليوم التالي في حزم معداتهم وامتعتهم استعداداً للسفر في حملة لاروشيل ، وقصد فارسنا الشاب الى قصر موطنه القائد دي تريفييل لتوديعه لمناسبة سفره .
وفي المساء انتظم عقد الفرسان الاربعة مع عدد من زملاتهم

من فرقة دي تريفيل ودي زيسار ، وقضوا الليلة في شرب ومرح حتى ساعة متأخرة من الليل .

وفي الصباح الباكر ، عندما انبعث صوت النفير داعياً الفرسان والجنود للاستعداد ، اسرع الفرسان الاربعة مع رفاقهم الى الاحتشاد في صفوف متراصة منظمة امام قصر اللوفر ، حيث وقف جلالة الملك لويس الثالث عشر وجلالة الملكة على شرفة القصر ، يشاهدان استعراض الفرق الذاهبة الى بلدة لاروشيل ، وتابعت هذه الفرق سيرها المنتظم مخترقة شوارع باريس ، المكتظة بالجمهير التي بكرت في الحضور لتحيي الجنود البواسل .

وقد وقف بين هذه الجماهير امرأتان تحملان مناديل حريرية بيضاء ، يشرن بها الى مكان معين ، وهاتان المرأتان هما : مدام كوكينار عشيقة بورتوس ، والوصيفة كاتي التي جاءت خصيصاً لتلقي نظرة وداع على فارسها الحبيب دارثنيان الذي كان يمر امامها في تلك اللحظة مع فرقته .

وعندما وصل الفارس الشاب الى ضاحية سانت انطوان ، التفت ليلقي نظرة استبشار على سجن الباستيل القائم الى يمينه ، ولما كانت نظاره مركزة على السجن ، فلم يلاحظ عدوته ميلادي او اللادي كلاريك ، التي كانت بمنطقة صهوة جوادها ، وتشير باصبعها الى رجلين من الاشرار ، كانا على مقربة منها ، مالبثا ان حشا الخطى ليتأكدوا من انه الشخص الذي قصده ميلادي .

ثم ما لبثت ان لكزت بطن جوادها وتوارت عن الانظار ، بينما
لحق الرجالان الشريران بفرقة الفارس دارتليان ، وعند خروجهما
من بوابة سمات انطوان ، امتطيا جوادين مجهزين كانا
بانتظارهما هناك .

٣

٤١

حصار لاروشيل

•

يعتبر حصار لاروشيل من أبرز الحوادث السياسية التي وقعت
 أبان عهد الملك لويس الثالث عشر ، ومن أهم الأعمال الحربية التي
 قام بها وزيره الكردينال ريشليو .
 ولذا وجب علينا ان نذكر ملحّة خاطفة عن تفاصيل هذه الحملة
 الحربية لعلاقتها الوثيقة بوقائع قصتنا .
 فقد كانت أهداف الكردينال السياسية ، عندما بدأ في حصار
 لاروشيل ، بعيدة المدى ، يضاف إليها المرامي الخاصة ، التي
 كانت بالنسبة لنيافته ، توازي المطامع السياسية .
 ففي عهد الملك هنري الرابع ، خصص للمهيكنوت - البروتستانت -
 عدد من المدن الشمالية ، كأماكن آمنين يعيشون فيها أحراراً
 ويمارسون طقوسهم الدينية ، إلا ان هذه المدن استعبدت منهم
 الواحدة تلو الأخرى ، عندما اعتلى الملك لهيسر الثالث عشر

العرش ، وكانت بلدة لاروشيل الواقعة على الشاطئ المواجه لبلاد الانكليز ، آخر معقل حصين لمعتنقي مذهب « كالفن » . وكانت قوات البروتستانت المدافعة عن لاروشيل ، مؤلفة من خليط عجيب من جميع الجنسيات والنزعات ، فالتحق بهذه القوات ، عدد من الاسبان والانكليز والايطاليين الناقمين على سيطرة البابا ، يضاف اليهم المغامرون وجنود المرتزقة من جميع شعوب اوروبا .

وقد اتخذت لاروشيل اهمية كبرى ، بعد سقوط معازل البروتستانت الاخرى وتدميرها على ايدي القوات الملكية الكاثوليكية ، خاصة وانها الميناء الوحيد المفتوح بوجه الانكليز للتسلل عن طريقه الى الاراضي الفرنسية . فاذا سقطت بيد قوات الملك لويس الثالث عشر ، سدت الثغرة البحرية الوحيدة في وجه انكلترا ، عدوة فرنسا التقليدية ، ويكون الكردينال ريشليو قد اتمّ بذلك العمل العظيم الذي بدأته جان دارك واستأنفه فيما بعد الدوق دي كيز .

وفي هذا الجو الغامض ، وضع الكردينال ريشليو خططه الحربية ، في حصار لاروشيل ، آملاً بالاستيلاء عليها ، والقضاء على آخر حصن للبروتستانت في فرنسا الكاثوليكية . وكما اشرنا في السابق ، فان الكردينال كان يخفي بالاضافة الى اهدافه وخططه السياسية ، مآرب شخصية بحتة ، تتعلق بشؤونه الخاصة .

وقد تبين بما تقدم ان نيافته متيّم بحب الملكة آن دوتريش

وانه قد ناصبها العداء ، عندما علم انها مغرمة بذلك النبيل الانكليزي الدوق دي بوكنفهام .

فكان طبيعياً ان يسعى الكردينال للتأثر لنفسه من الملكة ومن عشيقها الدوق الانكليزي . واغتم الكردينال ريشليو مناسبة حصار لاروشيل ، لا لينقذ فرنسا من اعدائها فحسب ، بل ليتخلص هو ايضاً من مزاحم عنيد وقوي . وتأكد الكردينال انه اذا شن حرباً على انكلترا ، فكلأه يحارب الدوق دي بوكنفهام بالذات ، وبالتالي اذا تمكن من اخضاع انكلترا في اعين اوروبا ، فمعناه اذلال الدوق دي بوكنفهام في اعين الملكة آن دوتريش .

وكان الدوق دي بوكنفهام النافذ الاول في بريطانيا وكان يتفق مع الكردينال في هذه الناحية ، فهو ايضاً يتمنى ان يثار لوطنه ولحبسه من الكردينال عن طريق سحق القوات الفرنسية الكاثوليكية ، التي تهاجم ميناء لاروشيل المعقل الاخير للبروتستانت ، والدخول الى باريس مكلاً بالكليل الغار .

وبذلك ينحصر الصراع العنيف الدائر بين اقوى دولتين في اوروبا في ذاك الحين ، بين رجلين عابثين ، يتنافسان على قلب الملكة آن دوتريش .

وسبق الدوق دي بوكنفهام عدوه الالد وشن حرباً خاطفة على المعادل الفرنسية ، فقد فاجأ عدوه بقواته الانكليزية التي ظهرت قرب جزيرة « ري » والمؤلفة من ثمانين سفينة حربية وعشرين الف مقاتل ، وتمكن من اخذ القوات الفرنسية على حين غرة ، واستطاع بعد معركة دامية ان ينزل بقواته على الشاطئ الفرنسي ويستولي

على جزيرة « ري » المواجهة لميناء لاروشيل .
ولنذكر بطريقة عابرة ان هذه المعركة قد اسفرت عن مقتل
الكونت دي شانتال ، الذي ترك طفلة يتيمة في الشهر الثامن عشر
من عمرها ، عرفت فيما بعد باسم مدام دي سافيني الاديبة الفرنسية
المعروفة .

واضطر قائد الحملة الفرنسية الكونت دي تواريك ان ينسحب
الى قلعة سان مارتين مع الحامية ؛ وقد عجلت هذه الهزيمة في جعل
الكردينال يسرع في اتخاذ قرار حاسم ، بارسال نجدات اضافية
على جناح السرعة ، لتعزيز الحملة الفرنسية التي تحاصر مدينة
لاروشيل وتربط في بعض المعازل والحصون المجاورة للميناء ...
وكان في حملة القوات الاضافية التي ارسلت بسرعة الى الخطوط
الامامية فرقة فارسنا الشاب دارتنيان .

ونجح الكردينال باقتناع الملك بان يشخص بالذات الى الجبهة ،
ليشرف على العمليات الحربية ، وفعلاً غادر جلالته باريس قاصداً
لاروشيل على الرغم من سوء حالته الصحية ، ولما وصل الى بلدة
فياروى اصاب بحمى قوية ، اضطرته للتوقف عن متابعة سيره الى
لاروشيل .

واجتمع الفرسان الثلاثة آتوس وبورتوس وراميس معاً لكونهم
من فرقة الحرس الملكي المكلفة بملازمة الملك وحراسته ، امّا
دارتنيان الذي لحق ، عند تعبئة الحملة ، بفرقة السابقة التي
يقودها دي زيسار ، فقد اضطر ان يفترق مرغماً عن رفاقه الفرسان
الثلاثة ، ويواصل سيره مع فرقة الى لاروشيل .

وكان لهذا الفراق الاضطرابي بين دارتنيان ورفاقه اثره السيء في نفس فارسنا الشاب ، فزادت هواجسه وقلقه .

وفي العاشر من شهر ايلول عام ١٦٢٧ ، كانت الدوق دي بوكنفهام مع قواته الانكليزية ، ما تزال مسيطرة على جزيرة « ري » ، وتشدد حصارها على معقل سانت مارتن وحصن دي لايري ، وكانت المعارك الحربية حول لاروشيل قد استؤنفت منذ يومين ، حول احد المعامل المنيعه التي كان قد شيدها الدوق انغوليم قرب المدينة ، وكانت فرقة القائد دي زيسار ترابط في مينيم . وفي ذلك المكان ، كان دارتنيان يقضي معظم اوقاته في الوحدة والتأمل ، وقلمها يختلط برفاقه رجال الحرس . وذات ليلة اعتكف بخيمته ، واطلق العنان لافكاره ، مستعرضاً اوضاعه بعد ان مرّ على قدومه الى باريس عامين كاملين . فوجد نفسه انه لم يحقق ما كان يصبو اليه كل شاب طموح ، من ثروة وحب ... لقد انغمس في الشؤون العامة والسياسة ، وكسب عداوة رجل قوي رهيب ، يمكنه ان يسحقه ساعة يشاء ، الا وهو الكرودينال ريشليو . وهناك عدو آخر ، كان في نظره اقل شأنًا وخطراً من الاول وهو ميلادي ، او اللادي كلاديك ، واحس بدافع خفي يهتف به بان يحذر منها .

ومقابل هذه العداوات الخطرة ، كسب عطف الملكة آن دوتريش وحمايتها ... وكان عطف الملكة في ذاك الوقت ، مدعاة للحذر والحيلة . ولما وصل بتأملاته الى هذا الحد شعر بضيق يطبق على صدره ، فأسرع بالخروج من خيمته ، ليقوم بنزهة قصيرة

في الهواء الطلق ، وسار في الطريق الوحيد المقفر الموصل من المعسكر حتى قرية « انغوتان » ويبدو انه قطع مسافة طويلة دون ان يشعر ، ولم ينتبه لنفسه الا والحیوط الاخيرة لاشعة الشمس قد غابت وراء الافق ... وفي تلك اللحظة بالذات حانت منه التفاتة الى الجهة اليمنى من الطريق ، فخیل له انه يرى فوهة بندقية مصوبة نحوه من وراء سياج قريب !

ولما كان دارتنيان حاد البصر ، سريع الادراك ، فقد علم في الحال ان وراء هذه الفوهة المصوبة اليه كميناً لاغتياله ، فقرر ان يعمل بسرعة فائقة وان ينجو بنفسه من هذا الكمين ، بان يركض باقصى سرعته باتجاه المعسكر . وما ان استدار وهم بالجرى ، حتى واجهته فوهة بندقية اخرى مصوبة اليه من خلف صخرة مرتفعة ، وراها تنخفض شيئاً فشيئاً باتجاهه ، وكأن حاملها يحكم نسيده الهدف ، وما ان رآها دارتنيان تتركز نحوه ، حتى انبطح ارضاً ليتفادى الرصاص ، وفي اللحظة التي لامس جسمه التراب ، سمع ازيز الرصاص يمر من فوق رأسه ، ولم يضع الفارس الشاب وقته ، بل انتصب واقفاً وراح يعدو باقصى سرعته باتجاه المعسكر ، بينما انطلقت في اثره رصاصة ثانية من فوهة البندقية الاخرى ، فأخطأته أيضاً ... واستمر دارتنيان في ركضه نحو المعسكر ، وفي هذه الاثناء تمكن الرجل الاول من تعبئة بندقيته وصوبها هذه المرة بدقة واحكام نحو الفارس الهارب ، واطلقها فاصابت قبعة دارتنيان واطارتها عن رأسه ، فأسرع يلقطها وهو في عدوه ، وتمكن من الوصول سالماً الى المعسكر وهو على آخر رمق ... ودخل دارتنيان

خيمته وراح يفكر بهذه المحاولة ... فظنّ اول الامر ان بعض جنود البروتستانت قد تسللوا داخل الخطوط الفرنسية ونصبوا هذا الكمين للفتك بالجنود الفرنسيين غدراً ، الا انه عندما فحص الثقب الذي احدثته الرصاصة في قمعته ، تأكد له انه كان ضحية كمين لا يستبعد ان يكون من تدبير الكوردينال او ميلادي .
وقضى الفارس الشاب ليلته عرضة لاحلام مزعجة حرمته لذة النوم والراحة .

وفي صباح اليوم التالي ، علم ان الدوق دورليان القائد العام للحملة ، قرر القيام بجولة تفتيشية ليتفقد القوات التي وصلت مؤخراً من باريس .

وكانت فرقة القائد دي زيسار التي ينتمي اليها الفارس دارتنيان ، اسرع الجميع الى الاستعداد . وعندما وصل الدوق دورليان ، ادت له الفرقة بكاملها التحية وقرعت الطبول ، ثم تولى القائد دي زيسار تقديم كبار الضباط للدوق وبعد ان انتهى دي زيسار من تقديم الضباط ، انهكك بحديث خاص مع القائد العام ، ثم التفت نحو دارتنيان الذي كان يقف في مقدمة فرقته ، وأشار اليه ان يقترب ، فاسرع الفارس الشاب يلبي النداء ... ولما اصبح على مقربة من قائده همس دي زيسار باذنه قائلاً :

— ان الدوق يطلب بعض الرجال البواسل للقيام بمهمة خطيرة ... وقد لفت نظر سعادته اليك ، واكدت له انك خير من قام بمثل هذه المهمة .
فانحنى دارتنيان وقال :

— شكرآ لك يا سيدي القائد على هذه الثقة .

واردف القائد دي زيسار يقول :

— ان قوات البروتستانت المراقبة بداخل لاروشيل تمكنت

في الليل الماضي من شن هجوم محدود، استولت في نهايته على حصن ،
كانت القوات الملكية الفرنسية قد احتلته منذ يومين . والمهمة
المطلوب انقامها ، تنحصر في القيام بعملية استكشاف حول ذلك
الحصن لمعرفة عدد الحامية الانكليزية المراقبة فيه .

وهنا تدخل الدوق بالحديث لأول مرة وقال .

— يلزمنا للقيام بهذه المهمة ثلاثة او اربعة من الفدائيين الاشداء ،
بقيادة رجل عرف بالبأس ومثانة الاعصاب .

فبادره القائد دي زيسار بقوله :

— اما الرجل الكفو لتولي قيادة هذه الحملة الصغيرة ،
فها هو امامك يا مولاي ...

مشيراً الى الفارس دارتنيان ؛ ثم اردف يقول :

— اما الفدائيون الاربعة ، فيمكن اختيارهم من بين حرس
الفرقة الاشداء ، وارى ان نتوك امر اختيارهم لدارتنيان .

وهنا امتشق الفارس دارتنيان حسامه والتفت الى رفاقه قائلاً :

— اريد اربعة من الرجال الاشداء لا يترددون في بذل
حياتهم .

فاصرع الى تلبية ندائه اثنان من رفاقه ورجال الحرس ، كما
انضم اليهما على الاثر ، اثنان من الجنود العاديين ، لم يكن الفارس
الشاب قد رأى لهما وجهاً من قبل ، ولم ير في مظهرهما ما يدعو

الى الريبة او الطعن في شجاعتها ، لذلك قبل تطوعهما .
وسار دارتنيان مع رجاله الاربعة باتجاه ذلك الحصن الصغير ،
متخذين من الخنادق الكثيرة المحفورة حول المدينة ، ستاراً بحميهم
من رصاص اعدائهم ، وسار رفيقاه من رجال الحرس الى جانبه ،
اما الجنديان فكانا يتبعانهم على بعد خطوات قليلة . ولما اصبح
دارتنيان على بعد مئة خطوة من ذلك الحصن ، توقف قليلاً مع
رفيقه ، والتفت الى الوراء ، فلم يجد اثرّاً للجنديين ، فحمل تصرفهما
على تحمل الخوف ، ولم يعرفهما كبير اهمية . وتابع سيره مع رفيقه
باتجاه الحصن ، ولما اصبحوا على مسافة ستين خطوة من الحصن ،
بدا لهم وكأنه خالٍ من الجنود ، اذ لم تصدر من داخل الحصن اية
حركة تدل على وجود حامية فيه ، بما حدا بهم الى الاعتقاد ان الانكليز
قد جلاوا عنه خوفاً من هجوم معاكس تشنه القوات الفرنسية
لاسترداده .

وما ان خطوا بضعة خطوات ، حتى ارتفعت من ابراج الحصن
سحابة من دخان عقبها ازيز الرصاص الذي راح يتساقط حولهم ،
فارتدوا على اعقابهم ، بعد ان انبطحوا ارضاً ليتفادوا الطلقات ،
وقد تحقروا ان في داخل الحصن حامية وفيرة العدد . وقبل ان
يتمكنوا من الالتجاء الى الخندق ، سقط احدهم ، بعد ان اصيب
برصاصة في ظهره ، فاتحى دارتنيان ليحمله الى الخندق ، ودوى في
تلك اللحظة ازيز طلقين نارين صادرين عن الجهة المقابلة للحصن ،
واصاب رصاصة رأس الجريح فحطمته اما الثانية فمرت من فوق
رأس دارتنيان واصابت صخرة قريبة .

فرجع الفارس رأسه ليتبين مصدر الرصاص ، وتذكر في الحال تصرفات الجنديين المريبة واختفائهما فجأة ، ثم المحاولة التي تعرض لها ليلة امس ... فادرك ان الخطر يحثي به من الجانبين ، فرمى بنفسه على الارض الى جانب رفيقه المحتضر ، متظاهراً بأنه اصيب اصابة مميتة .

وفجأة شاهد رأسي الجنديين ، يرتفعان من وراء أكمة ، تبعد ثلاثين خطوة عنه ، ثم رأهما يتجهان نحوه ...
وادرك دارتنيان ، ان هذين الجنديين لم ينضما الى القوات ، الا لاغتياله بدافع من اعدائه الاقوياء .

وشاء حسن حظ دارتنيان ان يهملتا تعبئة بندقيتيهما ، فاقتربا منه بلا حذر ، يريدان الاجهاز عليه بطعنة من حربة البندقية . ولما اصبحا على بعد عشر خطوات منه ، انتصب فجأة واقفاً على قدميه ، بمشقة حسامه ، وانقض عليهما ، فذعرا لهذه المفاجأة وحاولا الفرار من وجهه ، باتجاه الحصن ، وتمكن احدهما من الافلات ، وراح يعدو صوب معسكر الاعداء ، واذا برصاصة من حامية الحصن تصيبه في كتفه فتجندله ، فيسقط على الارض ، اما رفيقه الآخر ، فقد اضطر ان يدافع عن نفسه فاستنك الاثنان في معركة ضارية لم تدم سوى لحظات قليلة ، فقد تمكن دارتنيان من توجيه طعنة قوية من سيفه ، اخترقت فخذ الرجل ، وجعلته ينطرح ارضاً والدم ينزف من جرحه ، فأسرع الفارس بوضع نصل سيفه على رقبته محاولاً الاجهاز عليه ، فنظر اليه الشقي نظرة استوحام وتوسل وقال :
— اذا عفوت عني يا سيدي ، سأعترف لك بكل شيء ...

فتردد دارتنيان قليلاً وقال :

- هيا قل من الذي دفعك لاغتياي ؟

اجابه الشقي الجريح :

- امرأة لا اعرفها ، يطلقون عليها اسم « ميلادي » رفيقي

الاخر هو الذي تفاوض معها ، وفي جيبه الآن رسالة منها لم
يطلعني على مضمونها .

- وكم تقاضيت من المال مقابل اشتراكك في هذه الجريمة ؟

- خمسون ديناراً .

- انه مبلغ ضخم بالنسبة لاتفاق مغامر مثلك ... والآن اذا

كنت تريد ان اعفو عنك ، فما عليك الا ان تزحف على بطنك ،
لتحصل على الرسالة من جيب رفيقك الجريح .

فرفع الشقي يده متوسلاً وقال :

- رحماك ياسيدي انني جريح ، ولا يمكنني ان اتفادي رصاص حامية

الحصن ، وانني اتوسل اليك باسم تلك المرأة التي تحبها والتي ما
زالت على قيد الحياة .

فدهش دارتنيان وسأله :

- ومن انباك بانني احب امرأة ، وانني اعتقد انها ميتة ؟

- علمت ذلك من رفيقي ، ومن مضمون الرسالة التي تلقاها

من السيدة المدعوة ميلادي .

- وهذا ما يزيدني رغبة في الحصول على الرسالة ، هيا مر

امامي .

وهنا انفضه دارتنيان وجعله يسير متوكأً على بندقيته ، بينما

مشى خلفه ... وسار الرجل متخاذلاً والدم ينزف منه ، فأشفق عليه دارتنيان ، فأعفاه من هذه المهمة ، قائلاً :

— سأريك الفرق بين رجل شهيم نبيل ، وبين رجل غادر لئيم ...
هيا ابق انت هنا ، وسأذهب انا بمفردي .

وتمكن فارسنا الشاب بمهارته وقوة اعصابه من ان يتفادى الرصاص الذي اطلق عليه ، ووصل الى الجريخ الآخر ، وكانت اصابته خطيرة ، فرأى ان يحمله على ظهره ، ليكون تروساً يحمله من الرصاص ، وسار به مسرعاً باتجاه الخندق ...

وفي اثناء سيره شعر بهزة خفيفة ، فعلم انها رصاصة اصابت الرجل الجريخ الذي يحمله ، واخيراً تمكن من الوصول سالماً الى الخندق فطرحه الى جانب رفيقه الجريخ ، وكان قد لفظ انفاسه الاخيرة بعد اصابته بالرصاصة الثانية ...

وبعد ان استراح دارتنيان بعض الوقت راح يبحث في جيوب الرجل الميت فعثر على محفظة نقود تحتوي على جزء من المكافأة التي تقاضاها من ميلادي ، فرمى بالمال الى رفيقه ، وتناول الرسالة وشرع يقرأها :

« بما انكم فقدتم اثر تلك المرأة ، التي التجأت الى الدير الذي كان من واجبك ان تحولوا بكل الرسائل دون بلوغها اليه ، فقد بات عليكم ان لا تهملوا على الاقل ، القضاء على الرجل .. والا فان يدي طويلة ، وسأجعلكم تدفعون غالياً ، المئة دينار ، التي تقاضيتونها ثمناً لعمل لم تنجحوا حتى في تأدية جزء منه . »

وكانت الرسالة لا تحمل اي توقيع ، الا ان دارتنيان لم يشك

نما رسالة من ميلادي ، فوضعها في جيبه باحتواس ، ليستخدمها في المستقبل .

ثم التفت الى الرجل الجريح يستوضحه عن المرأة التي أتى ذكرها في الرسالة ، فقال الرجل :

- ان ميلادي عهدت اليها باختطاف امرأة شابة حسناء ، عند خروجها من باريس عن طريق « لافيت » ولكنّها دخلت الى إحدى الحانات القريبة وراحا يكرعان كؤوس الحرة الجيدة ، ولما خرجا من الحانة وجدا انها تأخرت عن الموعد المحدد لهما عشر دقائق تماماً ، وبذلك نجت المرأة الحسنة من الاختطاف ووصلت الى الدبر الذي كانت تقصده سالمة .

فسأله دارتنيان :

- وماذا كنما تنويان ان تفعلنا بتلك المرأة بعد اختطافها ؟

- لقد طلب اليانا ان ننقلها الى قصر ميلادي ..

فأيقن دارتنيان ساعتهن ان الملكة آت دوتريش لم تنس وصيفتها الخالصة ، السيدة بوناسيو بل بذلت جهدها لمعرفة المكان الذي سيجت فيه ، فسعت لانقاذها ، وارسالها الى مكان امين في احد الاديرة ... وادرك في تلك اللحظة مغزى الرسالة التي وصلته منها وموعده في طريق شايو ..

واجتاحته موجة من الغبطة والسرور ، حملت معها الى قلبه نفحة من العطف والشفقة على ذلك الرجل الجريح ، فقام يضمه جرحه وقال له :

- هيا استند على ذراعي ، فقد عفوت عنك .. وهلم بنا لنرجع .

الى المعسكر بعد ان اتمنا ما طلب منا ...
فسكره الجريح من صميم قلبه ... وجثا على ركبتيه يغمر
رجلي منقذه بالقبلات .
وكان زميل دارتنيان الذي نجا من الموت بعد ان رأى رفيقه
يسقط صريعاً برصاص رجال حامية الحصن ، قد عاد الى المعسكر ،
واذاع ان جميع رفاقه قد قتلوا ، وكم كان سرور رجال الحرس
ودهشتهم عندما رأوا دارتنيان يعود سالماً معافى . وقصّ
دارتنيان على قائده دي زيسار ما تعرض له من اخطار واهوال ،
وأكد له ان في الحصن حامية قوية كاملة العدد ، لكنه لم يتعرض
للملابسات الخاصة التي تعرض لها من قبل الجنديين . وهناك القائد
دي زيسار باسمه واسم الدوق دورليان على بسالته واقدامه ، ومنحه
مكافأة طيبة ولم يكن من حديث لرجال المعسكر طيلة ذلك اليوم
سوى مغامرة دارتنيان الموفقة ونجائه من الموت باعجوبة .

٤٢

خمرة انجو



وجاءت الانباء من بلدة فيلروي تقول ان الملك قد تماثل للشفاء بعد مرض عضال اصابه ، ولما كان متشوقاً للحضور الى جبهة القتال في لاروشيل ، فقد قرر ان يحضر عندما يتمكن من ركوب جواده .

وفي هذه الاثناء كان الدوق دورليان ، الذي كان يتولى قيادة الحملة ويعلم انه مضطر لإن عاجلاً او آجلاً للتخلي عن القيادة إما للدوق انغوليم او لاحد القائدين ، باسومبيسار ، او شومبورغ ، الذين يتنازعون للوصول الى هذا المنصب ... وحيال ذلك فقد فضل الدوق دورليان ان لا يتحمل مسؤولية اية عملية حربية ، سواء في شن هجوم لطرد الانكايين من جزيرة « ري » او بفك الحصار عن معقل سان مارتن وقلعة دي لا بري ...

وذات صباح من تشرين الثاني ، تلقى دارتنيان الرسالة التالية

من بلدة فيبروي :

« السيد دارتنيان

لقد كلفني رفاقك الفرسان آتوس وبورتوس وراميس ، وهم الآن في السجن ، بسبب السكر والعريضة بعد سهرة عامرة في فندقي ، تجرعوا فيها نبيذ النجو المعتقد ، بأن ارسل اليك اثنتي عشرة زجاجة من هذا النبيذ ، الذي تذوقوا طعمه اللذيذ على مائدتي ، لتشربها في صحتهم .

خادمكم المطيع

غودو

متعهد غذاء فرسان الملك »

فابتسم دارتنيان وهو يتسلم هذه الهدية من رفاقه الاعزاء وقال مخاطب نفسه :

« مرحى للاصدقاء الاوفياء ، انهم يذكرونني في مسراتهم ومرحهم ، كما اذكركم انا في وحدتي وضيقني . وهم يطلبون هني ان اشرب في صحتهم وسائقهم رغبتهم ، ولكنني ان اكون وحدي .

وقرو ان يقيم حفلة صغيرة دعا اليها اثنين من رفاقه رجال الحرس ، كما دعا الجندي الجريح الذي اصبح اتبع من ظله ، وكان اسمه « بريزموث » .

وفي الموعد المحدد في المساء ، كان خادمه بلانشيه بمساعدة خادم آخر يدعى « فورو » قد اعدا طعاماً فائراً في مشرب المعسكر ، فتولى بلانشيه تقديم الطعام ، بينما تولى الخادم فورو مهمة اعداد

الاقداح ، وفتح زجاجات النبيذ .

وبدأ الرفاق في تناول طعامهم ، وما لبث أدبرت كؤوس
الشراب عليهم ، حتى ترامى الى اسماعهم ، ضجة كبيرة في الخارج
وصوت الطبول تقرر بشدة ، ثم سمعوا هتافات عالية تردد :

— يعيش الملك ... يعيش الكردينال ؟

وادرك دارفنيان ان الملك قد وصل ، وان رفاقه الفرسان
الثلاثة لا بد ان يكونوا قد وصلوا ، فأسرع الى الخارج ، فشاهد
موكب الملك يمر وكان مؤلفاً من حرسه الملكي ، وحاشيته
يضاف اليها عشرة آلاف مقاتل إضافي ، حضروا لتعزيز الحامية التي
تحاصر بلدة لاروشيل . وبعد ان جرت مراسم استقبال جلالته ، أمرع
دارفنيان يبحث عن رفاقه الفرسان الثلاثة ، ولما وجدهم بادوهم بقوله :
— من حسن حظكم اننا نحتفل هذا المساء بشرب زجاجات
النبيذ ، التي وصلتني هدية منكم ، فها هو شاركونا الطعام والشراب .
فتبادل الفرسان الثلاثة النظرات وسأله آتوس مندهشاً :

— أقول عن النبيذ الذي أرسلناه لك ؟

— اجل ... لقد تلقيت رسالة من رجل يدعي غودو ، قال
انه متعهد غداء فرسان الملك في النجو ، ومع الرسالة اثنتي عشرة
زجاجة من نبيذ النجو هدية منكم ...
فأجابه آتوس :

— لم نرسل مثل هذه الهدية لك ، وأرى أن نمتنع عن شرب
نبيذ لا نعرف مصدره ومرسله .

فأبد كلامه دارفنيان ، ثم تناول الرسالة التي وصلتته وعرضها

على الانظار ، فأمعن آتوس النظر بالخط وقال :
— ان كاتب الرسالة ليس الفندي غودو ، فأنا أعرف خطه ،
فقد قدّم لي قائمة الحساب بخطه .
فقال بورتوس :

— اذن فالرسالة مزورة !
وموت بخيلة دارتنيان فكرة جعلته يهتز من رأسه لاختص
قدميه ، فاندفع الى المشرب قائلاً :
— هلموا بنا ايها الرفاق ، ولنسرع قبل فوات الاوان .

ووصل الى المشرب وخلفه رفاقه الفرسان الثلاثة ، وكان اول
شيء وقع نظره عليه ، الجندي بريزموث منظره على الارض
يتأوه ويتوسّى كالافعى ، بينما وقف قربيه بلانشيه وفورو ، وقد
علت وجهيهما صفرة الموت يحاولان اسعافه ، وما ان وقع نظر
بريزموث على دارتنيان حتى فتح فمه يغمغم بصوت خافت والزبد
الابيض يتناثر منه .

— لقد تظاهرت بالعفو عني ... ثم ما لبثت ان عمدت الى
قتلي بالسم ، لقد دعوتني لاشرب من هذا النبيذ المسموم .
فاقترب دارتنيان من الرجل المحتضر وجثا على ركبتيه وقال
له بلهجة الاسفاق والتوسل :

— اقسم لك على الانجيل وبكل مقدس ، انني كنت اجهل
كل الجهل ان الحجرة مسمومة ، والدليل على ذلك انني كنت على
وشك ان اساطرك الشراب من هذه الحجرة التي وصلتني من مصدر
مجهول

فأرسل المختصر حشرجة متقطعة وغنم قائلًا .

— لا أصدقك ...

ثم توقف عن الكلام ودخل في النزاع الأخير ، وعانى سكرات الموت بضع دقائق ، وانتفض انتفاضة أخيرة ، وهمدت كل حركة فيه .

فنهض دارتنيان وقد امتقع وجهه ، والتفت الى رفاقه وقال :
— ان هذا لفظيع حقاً ، لقد انقذتم حياتي ايها الرفاق مرة ثانية ، كما انقذتم حياة هذين الصديقين اللذين دعوتهما للشراب .
مشيراً الى رفيقيه من رجال الحرس اللذين وقفوا مسمرين من هول هذه الحادثة المفجعة .

والتفت دارتنيان الى ضيفيه وأردف يقول :

— اني اعتذر لكما عما حدث ، فقد كدنا نذهب ضحية مؤامرة غادرة ، ولنشكر الله على نجاتنا ، ونأمل ان نلتقي في المستقبل .

فأحنى الضيفان رأسيهما وانسحبا ، بعد ان أكدا لدارتنيان بكتمان الحادث .

وهنا قال آتوس لرفاقه :

— هلموا نخرج من هذه الحجرة ، لنجد لنا مكاناً اصلح نتناول فيه بعض الطعام .

ونادى دارتنيان خادمه بلانشيه وطلب اليه ان يتولى دفن الجثة بمساعدة الخادم فورو في مكان بعيد عن المعسكر .
وانتقل الفرسان الاربعة الى حانة قريبة من المعسكر حيث

تناولوا بعض الطعام واكتفوا بشرب الماء الفراح ، وقد تولى
آتوس جلبيه بنفسه من النبع المجاور للمعسكر .
وبعد ان انتهوا من تناول وجبتهم الخفيفة قال دارتنيان
يخاطب صديقه آتوس :

ان المعركة التي اخوضها ، هي معركة حق الموت ، كما ترى
ايها الصديق ..

فهن آتوس كتفه وقال :

- اعلم ذلك جيداً ايها العزيز ... ولكن هل تعتقد انها هي؟
- بل اني واثق من ذلك كل الثقة ، ولا تنس زهرة الزنبق
الموسومة بها كتفها اليسرى .

- ولكنها قد تكون امرأة انكليزية اقترفت جريمة في فرنسا ،
فوسمت بهذه الشارة بعد ارتكابها الجريمة .

فأمسك دارتنيان يد آتوس وقال هامساً :

- انها امرأتك يا عزيزي آتوس ، لأن كل الدلائل تثبت
ذلك : الزهرة التي على كتفها ، والحاتم الماسي ، وافعالها الشيطانية ..
فتنهذ آتوس وقال :

- لقد ظننت انها ماتت ، فقد علقتها بالشجرة من رقبتها .

فهن دارتنيان كتفه بدوره وقال :

- ولكن كيف الخلاص من شرور هذه المرأة ومؤامراتها ؟
- اسمع عليك ان تقابلها في اول مناسبة ، وهددها بافشاء
سرّها واذا عارها في اوساط البلاط اذا أصرت على ملاحظتك
بشرّها ، واعتقد ان لغة التهديد والوعيد ستفعل فعلها في تلك

النفس الحبيثة ، وحاول ان تتظاهر بأنك ترغب في التفاهم معها ،
واحلال الوثام بينكما محل العداوة .

فقال دارتنيان :

- اني استحسن هذه الفكرة ، لكن كيف السبيل الى معرفة
مقرها والاجتماع بها ؟

- لا تتمعمل الامور ، فالزمن ككفيل بتهيئة الاسباب ،
فانتظر ...

- لكن الصبر والانتظار في جو المكائد والمؤامرات امر
لا يطاق ..

- لا تقلق يا صاح ، فسنعمل على مجابهة الموقف ونرد كبد
المتآمرين الى نحرهم .

٤٣

نزل الحمامة الحمراء



ولم يكفد المقام يستقر بالملك لويس الثالث عشر ، حتى أبدى
رغبته في مباشرة الهجوم في الحال ، وكان يقصد من وراء هذه
السرعة والاندفاع ، التآمر لنفسه من الدوق دي بوكنفهام الذي
يتولى قيادة القوات الانكليزية التي جاءت تنجده اهالي لاروشيل
البرونستانت .

وعقد مجلساً حربياً دعا إليه كبار ضباط الجيش ، وأفضى
اليهم برغبته باعداد هجوم مفاجئ ، وعلى نطاق واسع على جزيرة
« وي » لطرد الانكليز منها ، ومن ثمّ تشديد الحصار على مدينة
لاروشيل ، وظلّ حتى ساعة متأخرة من الليل يدرس مع ضباطه
الخطط والتدابير الواجب اتخاذها لإنجاح هذا الهجوم .

ولما وضعت الخطة التي تمّ الاتفاق عليها موضع التنفيذ ، نشب
خلاف جديد بين كبار قادة الجيش ، وادّعى الى تأخير تنفيذ

رغبات الملك .

فقد كان كل من القائدين « باسومبيار » و « شومبورغ » يحمل لقب مارشال فرنسا ، ولكل منهما الحق في قيادة الجيش تحت اوامر الملك ، الا ان الكردينال ريشليو ، كاث لا يأمن للقائد « باسومبيار » لنزعه البروتستانتية القديمة ، ولهذا السبب حاول استبعاده عن القيادة . اما الملك فقد كان يفضل حصر القيادة بالدوق « انغوليم » دون غيره . كما ان شومبورغ كان يطالب بها لنفسه . . . وحيال هذا الخلاف بين كبار القادة ، وخشية ان يتطور الخلاف الى انقسام يهدد وحدة الجيش ، وبالتالي يؤدي الى هزيمته في الحملة التي يعلق عليها كل من الملك والكردينال آمالاً جساماً ، فقد تم الاتفاق على جعل لكل من القادة الثلاثة ، قيادة مستقلة وقسمت جبهة القتال الى ثلاث مناطق ، عهد الى كل من باسومبيار ودي شومبورغ والدوق دي انغوليم ، بقيادة منطقة عسكرية . وبعد ان تم تسوية هذه المشكلة الخطيرة ، بدأ التفكير مجدداً في اعداد الحملة للهجوم المنتظر على جزيرة « ري » لطرد القوات الانكليزية منها .

وقد حالف الحظ القوات الفرنسية ، اذ كان الجنود الانكليز الذين يحتلون الجزيرة ، بحاجة ماسة الى امدادات مستمرة من المؤن والذخيرة والاطعمة والمشروبات . وكان غذاء الجندي الانكليزي مقتصرأ على اللحوم المقددة والبسكويت الرديء . ونتيجة لذلك تفشت بين الجنود الانكليز الامراض بكثرة ، وارتفع معدل الوفيات بشكل اثار في معنويات باقي الجنود وثبط من همم قادتهم

ولم يقف الامر عند هذا الحد ، فقد تحالفت العوامل الطبيعية ضدهم فاستمر هياج البحر بضعة ايام بما لم يعهد له مثيل من قبل ، وكانت من نتائجها ان عرقل تحركات السفن الحربية وصفن التموين الانكليزية القادمة من انكلترا الى الشواطىء الفرنسية ، كما قذف بعضها الى الشاطئ الفرنسي الصخري ، فتحطمت شر تحطيم . وشعر الدوق دي بوكنغهام قائد الحملة الانكليزية بما يحيط به من اخطار وصعوبات جمة ، ومع ذلك فقد ركب رأسه وقرر البقاء في الجزيرة ليجابه الامر الواقع ، وذلك من باب العناد وتحدي العوامل الطبيعية .

وفي هذه الاثناء ، كان الملك لويس الثالث عشر قد فرغ من استعداداته ، فقرر القيام بعمل حاسم سريع . ونجحت المحاولة نجاحاً باهراً ، لم يكن يتوقعه الملك ولا وزيره الكردينال ريشليو ، فقد اضطرت القوات الانكليزية بعد معركة لم تدم طويلاً ، الى التراجع على طول الجزيرة ، وأب تفر نحو الشاطئ ، محتمية بالسفن الحربية التي تقف على مقربة من الجزيرة تاركة في ساحة القتال حوالي الفتي قتيل وجريح ، كما غنمت القوات الفرنسية في هذه المعركة ، اربعة مدافع وستين راية ، نقلت الى باريس وعلقت باحتفال رائع في قبة كنيسة نوتردام . واقامت صلوات الشكر في المعسكر وفي سائر المدن والمقاطعات الفرنسية طيلة اسبوع كامل .

وانثنى الكردينال ريشليو بنشوة الظفر فقرر في الحال متابعة القتال وتشديد الحصار على لاروشيل تهيداً لشن هجوم واسع .

والاستيلاء عليها نهائياً .

وكان في جملة اسرى الحرب الذين وقعوا في ايدي القوات الفرنسية ، رسولاً خاصاً يدعى « مونتاغو » من قبل الدوق دي بوكنفهام ، وقد عُثر معه على اوراق رسمية تثبت ان هذا المندوب كان مكلفاً باجراء مفاوضات رسمية لعقد حلف بين انكلترا واسبانيا والورين . وان هذا الحلف موجه ضد فرنسا بالذات . وبالإضافة الى ذلك فقد عُثر في مقر الدوق ، الذي اضطر لمغادرته على عجل ، على عدة وثائق ومستندات رسمية ، تؤكد وجود هذا الحلف ، كما تبين ان لمدام دي شيفروز والملكة آن دوريش ضلع بهذه المحاولة .

وكان الكاردينال ريشليو يعلم حق العلم مدى نشاط الدوق دي بوكنفهام ونفوذه في انكلترا ، ومبلغ الخقد الذي يضمه له ، وكان لا يشك مطلقاً ان قيام مثل هذا الحلف ، معناه القضاء على نفوذه قضاء تاماً ، واقصاؤه عن المسرح السياسي الى الابد ، وفوز سياسة اسبانيا والنمسا في قصر اللوفر المستمدة من وحي الملكة آن بما لها من صلات القرابة في هاتين المملكتين . . . ولهذا كان يحسب للدوق ومشاريعه الواسعة الف حساب ، ويسعى جهده لابعاد الملك لويس الثالث عشر عن النفوذ والسيطرة الاسبانية والنمسية . وعليه فوق ذلك ان يجبط المؤامرة التي تنسج ضده ، بقصد القضاء عليه او على الاقل ، ابعاده عن المسرح السياسي في قصر اللوفر . وكان يعمل ليلاً ونهاراً بهمة لاتعرف الكلل من مقره الذي اتخذته مؤقتاً قرب الجبهة ، ولم تكن تفوته من مشاكل السياسة والحرب

شاردة ولا واردة .

وكان المنزل الذي اتخذته مقرأ له ومسرحاً لنشاطه الدائم ، يعجّ في اية ساعة من ساعات الليل او النهار بالرسل والاشخاص من مختلف الهيئات والطبقات ، يحملون له من انحاء فرنسا وغيرها من بلدان اوروبا الانباء والتقارير الخطيرة . . . وبلاضافة الى هذه الزيارات المتعددة ، فقد تعرض نيافته الى زيارات كادت تودي بحياته اذ انتشرت الشائعات عدة مرات تؤكّد ان نيافته قد تعرض لمحاولات اغتيال ، كادت تذهب بحياته في كل مرة .

وكان من الطبيعي ان يروج خصوم الكردينال بان هذه الشائعات ليست الا من نسج الخيال ، وان مروجها هو الكردينال نفسه ، تبريراً لما يقوم به من اعمال الشدة والعنف ضد خصومه السياسيين والعاديين .

كانت مهمة فرقة فرسان الملك منحصرة في مرافقة الملك في تنقلاته في انحاء الجبهة ، والسهر على راحته وحمايته . ولهذا تسنى للفرسان الثلاثة ورفيقهم دارتنيان ان يتمتعوا بأيام طيبة ، بعد الاستيلاء على جزيرة « ري » .

وفي ذات ليلة كان الفرسان الثلاثة آتوس وبورتوس وارانيس عاندين من حانة « الحمامة الحمراء » التي اهتمدى عليها آتوس في اليوم السابق ، وكان الفرسان الثلاثة يسرون في الطريق المؤدي الى المعسكر ، وقد امتطوا جيادهم الاصيلية وتدفروا بمعاطفهم العسكرية ، وهم في كامل عدتهم واسلحتهم ، تحسباً للطوارئ

وللمجاعة اي شرك ينصب لهم .

ولما اصبحوا على مسافة ربع مرحلة من قرية « بوانار » ، طرق اسماعهم وقع حوافر جبياد قادمة نحوهم ، فتوقفوا في الحال عن السير ، وما هي الا دقائق معدودة حتى برز لهم فارسان يسيران بطمانينة ، وكأنهما لا يتوقعان مفاجأة ولا يخشيان شراً في مسيرهما منفردين في ذلك الليل البهيم .

وتوقف الفارسان عن السير عندما ابصرا الفرسان الثلاثة وبدأ عليهما انهما يتشاوران فيما اذا كان يواصلان طريقهما او يعودان ... وحيال هذا التردد البادي في تصرفات الفارسين ، تقدم الفارس آتوس نحوهما بضع خطوات وصاح بهما بصوت حاد :

- من يعيش ؟

فرد عليه احد الفارسين بلمهجة حازمة :

- ونحن نرد لكم السؤال : من يعيش ؟

فقال الفارس آتوس بحزم :

- ان هذا الجواب لا يقنع ايها السيد ، فإما ان تنطق بكلمة

السر ، والا نضطر الى اطلاق الرصاص عليكما ...

فأجابه الفارس الآخر بلمهجة حازمة ، كمن اعتاد على اصدار

الأوامر :

- حذار ايها السادة من عاقبة التهور .

فقال آتوس وقد ثبت لديه ان من يخاطبه له ملء الحلق بتوجيه

الاستئلة والاوامر .

- نحن فرقة فرسان جلالة الملك .
 - والى اية فرقة تنتمون ؟
 - الى فرقة القائد دي تريفيل .
 - حسناً اني آمل ان تتقدموا وتوضحوا لي السبب الذي يحملكم
 على البقاء خارج المعسكر الى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟
 فأطاع الرفاق الثلاثة وتقدموا وهم على صهوات جيادهم بضع
 خطوات ، ثم اشار آتوس الى رفيقيه بان يبقيا في مكانهما ، وتقدم
 وحده من الفارسين الغريبيين غير هيّاب ولا وجل وقال :
 - عفواً يا سيدي الضابط ، اننا نجهل شخصية الذي يخاطبنا ، ولم
 نرتكب خطأ نستحق اللوم عليه ، فقد رأيتنا قمنا بواجبنا كعسكريين
 مخلصين في خدمة الملك .
 فسأله الفارس الغريب محاولاً ان يستر وجهه بطرف معطفه :
 - ما اسمك .
 فاجابه آتوس بجدّة . وقد بدأ صبره ينفد من تصرفات ذلك
 الفارس وإصراره على استجوابهم دون ان يظهر شخصيته على
 حقيقتها :
 - ولكنني ارجوك ايها السيد ، قبل ان اذكر اسمي ، ان تبرز
 لي الدليل القاطع على ان لك الحق في استجوابي على هذا الشكل .
 فعاد الرجل الغريب يسأل آتوس :
 - ما اسمك ايها الفارس ؟ ...
 ثم رفع يده بحركة سريعة ، تاركاً طرف معطفه يسقط عن وجهه
 فصاح آتوس مندهلاً :

- نياقة الكردينال ... عفوك يا مولاي !!
ولم يعلق الكردينال على دهشة الفارس آتوس ، بل عاد يكرر
عليه السؤال :
- ما اسمك ؟
- آتوس يا صاحب النياقة .
- ورفيقاك ؟
- بورتوس و اراميس .
وهمس الكردينال باذن مرافقه بصوت خافت :
- ان هؤلاء الفرسان الثلاثة سيرافقونا ولا يجب ان يعودوا
الى المعسكر قبل عودتنا اليه ، لانني لا اريد ان يعلم احد بخروجي
من المعسكر في هذا الليل .
فالتفت آتوس الى الكردينال وقال :
- اذا طلب منا مولاي ان نحتفظ بالسرا ، فمنحن نعماده
بذلك ونقسم بشرفنا .
فرمقه الكردينال بنظرة فاحصة وقال :
- انك حاد السمع ايها الفارس آتوس ، وانني ارغب اليكم
مرافقتي لكي تتولوا المحافظة عليّ وحراستي .
- نحن على استعداد للقيام بهذه المهمة يا مولاي .
وهنا نادى رفيقه بورتوس و اراميس ، اللذين اسرعا يؤدبان
التحية باحترام زائد للكردينال .
وراح ينقل الكردينال نظره بين الفرسان الثلاثة وهم على
صهوات جيادهم كالعالمقة وقال :

- اعرفكم ايها السادة ، واعرف ميولكم الشخصية ، ويوسفني انكم لستم من اصدقائي ، ولكنني اعترف بانكم من اشد الفرسان بسالة وشجاعة واخلاصاً .

ايها السيد آتوس ، هل لك مع رفيقك ان تصحبوني في هذه الجولة الليلية .

فأجابه الفارس آتوس :

- هذا شرف عظيم لنا يا مولاي !

وصدع الفرسان الثلاثة للأمر ، وتأهبوا للسير في ركاب الكردينال ، الذي ، بعد ان ستر وجهه من جديد بطرف معطفه وتفقد غدارتيه ، لكز جواده ، فاندفع به في الطريق وتبعه الفرسان الثلاثة وتابعه ، يتقدمهم الفارس آتوس الذي سار بمحاذاة الكردينال .

وبعد ان قطعوا مسافة فرسخين تقريباً ، وجدوا انفسهم من جديد امام نزل « الحمامة الحمراء » الذي قضوا فيه الشطر الاول من ليلتهم .

ويبدو ان الفندق كان على علم بشخصية الزائر الكبير الذي سيؤوره في تلك الليلة ، فصرف زبائنه في ساعة مبكرة ، ليستطيع التفرغ لخدمة زائره العظيم وتلبية رغباته في جو هادئ ، بعيداً عن اعين الفضوليين .

ولما اصبح الكردينال على مسافة عشرة خطوات من باب الفندق ، اشار بيده الى الفرسان الثلاثة والى تابعه ، بالوقوف والانتظار ، وكان يقف امام باب الفندق جواد مسرج على أتم

الاستعداد . وترجل الكردينال عن جواده وتقدم من باب الفندق وكان مقفلاً ، وطرقه بقبضة يده ثلاث مرات بطريقة خاصة ، وعلى الاثر خرج رجل ملتف بمعطف ، وتبادل مع الكردينال بعض الكلمات الحاطفة ، ومن ثم امتطى ذلك الرجل صهوة الجواد المسرح ، ولوى عنان جواده باتجاه باريس . وبعد ان ابتعد الرجل التفت الكردينال الى الفرسان الثلاثة وقال :

- هيا اقتربوا ايها السادة ..

فلبس الفرسان الامر ، وعندما اصبحوا قرب باب الفندق ، ترجلوا عن جيادهم ، ووقفوا ينتظرون الاوامر . وكان الفندي واقفاً على عتبة الباب ، وفي اعتقاده ان الكردينال ليس الا ضابطاً كبيراً من ضباط الجيش ، جاء يلبي دعوة سيدة جميلة ليقضي بعض الوقت معها في فندق هاديء . وهنا التفت الكردينال اليه وسأله :

- هل لديك حجرة في الطابق الارضي ، يمكن لهؤلاء السادة ان يستريحوا فيها قرب مدفأة ، ربما اعود اليهم ؟ فأحنى الفندي رأسه باحترام وقال :

- لدي يا مولاي هذه القاعة الفسيحة الدافئة ..

وتقدم من باب فتحه ، فابكشف عن قاعة فسيحة الارحاء فيها عدة مقاعد وثيرة ، وفي وسطها مدفأة تشتعل نارها ، فألقى الكردينال نظرة عابرة على القاعة وقال :

- انه مكان دافئ ، ويمكنكم ايها السادة أن تنتظروا فيه ،

ولن يطول ، انتظاركم اكثر من نصف ساعة
وبينما كان الفرسان الثلاثة ، يدخلون الى القاعة الدافئة ، كان
الكردينال يرتقي الدوج المؤدي الى الطابق الاول بسرعة ، دون
ان يستعين بالفندقي ليدله على المكان الذي يقصده .

٤٤

سر المدفأة !



ولما أصبح الفرسان الثلاثة وحدهم داخل القاعة الدافئة ، راحوا يتساءلون فيما بينهم عن الشخص الذي يقصد الكردينال الاجتماع به . رأ في هذا الفندق المنعزل !

وعندما عجزوا عن حل هذا اللغز ، طلب الفارس بورتوس من الفندق أن يحضر لهم طاولة نرد .

وجلس الفارسان بورتوس وارانيس يقطعان الوقت باللعب ، بينما راح آتوس يذرع ارض القاعة ذهاباً وإياباً ، وهو منشغل الذهن ، يحاول اكتشاف سر هذه الزيارة الغامضة التي يقوم بها الكردينال ريشليو ، رغم ما يتعرض له من اخطار في تجواله في تلك الاماكن النائية ليلاً .

وكان الفارس آتوس في سيره بالقاعة على هذا الشكل ، يقف مراراً عديدة امام جزء من قسطل المدفأة المتصل بالغرفة الواقعة

فوق قاعاتهم مباشرة ، وكان في كل مرة يمر بها يسمع متممة كلمات غير واضحة لم يعرها في البدء كبير اهتمام ، الا ان الهمس اخذ يصل الى اذنيه بصورة اكثر وضوحاً ، فوقف قرب المدفأة ، يرهف السمع .

ويظهر ان ما سمعه في هذه المرة كان على جانب كبير من الخطورة والاهمية اذ اشار الى زميله ، بورتوس واراميس بالتزام الصمت التام ، ليتسنى له السماع ، ثم ألصق اذنه بفوهة المدخنة وترامى الى سمعه صوتاً خشناً يقول :

— إسمعي يا ميلادي ...

فأجابه صوت نسائي يقول :

— لأنني مصغية لما تقوله يا سيدي الكردينال .

وعاد الصوت الخشن ، ولم يكن سوى صوت الكردينال

ريشليو ، يقول :

— لقد أعددت لك مركباً صغيراً ، مع بحارته الانسكين وقبطانه من اتباعي المخلصين ، وسيكون هذا المركب بانتظارك عند مصب نهر « الشارنت » بالقرب من حصن « لابوانت » وسيقلع غداً صباحاً .

فأجابه المرأة بلهجة حازمة :

— إذن فعلياً ان اذهب الليلة ؟

فأجابه الكردينال :

— بل في هذه اللحظة بالذات ، ففي الخارج اثنان من رجالي ينتظرانك على باب الفندق ، وهما مكلفان بمرافقتك الى المكان

الذي تقصدين . . وقد أصدرت إليهما الأوامر بتنفيذ كل ما تطلبينه إليهما . .

وسأخرج الان من الفندق قبلك ، وبعد أن ينقضي على ذهابي نصف ساعة ، يمكنك مغادرة الفندق .

فأجابته ميلادي قائلة :

– بقي الآن يا صاحب النيافة ان تشرح لي المهمة التي ترغب اليّ القيام بها ، ولما كنت احرص اشد الحرص على الاحتفاظ بثقة نيافتك ، فأرجو ان توضح لي هذه المهمة ، لئلا اقع في هفوة جديدة تفسد الحطة التي وضعت خطوطها .

وساد الصمت برهة ، كما لو كان الكردينال يفكر ملياً في الامر الخطير الذي سيفضي به الى ميلادي .

وانتهز الفارس آتوس هذه الفرصة وأشار الى رفيقه بورتوس وارانيس بالاقتراب من المدفأة والاستماع الى ما يجري من حديث خطير في الغرفة العليا .

وانتقل الفارسان الى قرب المدفأة وأرهقا السمع ، وبعد لحظات قليلة طرق سمع الفارسان الثلاثة صوت الكردينال يقول :

– اسمعي يا ميلادي ، يجب ان تسافري على ظهر ذلك المركب الى لندره ، وعندما تصلين الى هناك عليك ان تبذلي جهدك لمقابلة الدوق دي بوكينغهام الذي عاد الى عاصمة بلاده بعد فشله في معركة جزيرة « ري » . . .

فقاطعته ميلادي قائلة :

– أرى من واجبي ان أصرح نيافتك ، باخلاص ، ان الدوق

دي بوكنغهام بدأ يرتاب بتصرفاتي ارتياباً ظاهراً ، على اثر حادثة اختفاء الحبتين الماسيتين اللتين انتزعتها من صدره في تلك الحفلة الراقصة ، وانه من الصعب استعادة ثقته بي ..

فأجابها الكردينال بهدوء :

— لا شأن للثقة في الامر هذه المرة ، فانت انما تتقدمين اليه بكل صراحة ، بصفتك موفدة من قبلي ، تملكين حق التفاوض باسمي .

اجابته ميلادي :

— حسناً يا سيد الكردينال ، سأنفذ اوامرك وتعليماتك بحذافيرها .

— قلت انه يجب عليك فور وصولك الى لندره ، ان تسعى لمقابلة الدوق دي بوكنغهام ، ومتى اجتمعت اليه ، صارحيه بانني مطلع تمام الاطلاع على كل الامور التي يدبرها في الخفاء ، والمؤامرات التي ينسج شبكها ، وان شروعه في تنفيذ مشاريعه العسكرية ومخالفاته مع الدول الاخرى ، مستعود بالوفاة عليه ، وعلى الشخص الذي يحبه . كما انها لن تؤثر في موقفني اذن تأثير . لانني قررت ان اوجه الى حبيبته الملكة آن دوتريش ضربة قاضية ، حالما يبدو لي انه ماضٍ في اخراج مشاريعه الى حيز الوجود .

ولا تنسي ان تخبري الدوق ، انه عند تركه جزيرة « ري » بتلك السرعة ، قد نسي في مقر قيادته رسالة خطيرة ، ولسوء حظه وقعت هذه الرسالة في يدي . وما تضمنته الرسالة من معلومات يصح ان يتخذ دليلاً على ان غرام الدوق بالملكة قد افقده صوابه .

وكانت ميلادي تصغي الى ما يقوله الكردينال دون ان تنبس
ببنت شفة ، وقد اذهلتها المعلومات الخطيرة التي يدلي بها نيافته .
ثم استطرده يقول :

- واجزم بان الدوق متى علم بان الحرب التي يسعى لاثارتها ضدي
سيكون من اولى نتائجها تلم شرف الملكة والتشهير بها وربما القضاء
عليها ... فانه لا بد ان يفكر ملياً قبل الاقدام على تنفيذ ما يعد
من مشاريع ومحالفات عسكرية ، هدفها اذلال فرنسا والقضاء على
نفوذها .

فقلت ميلادي :

- واذا رفض الاذعان لعروض نيافتك ، فماذا يكون
موقفك منه ؟

اجابها الكردينال بلهجة قاسية :

- اذا رفض التفاهم ، فارجو اذ ذاك ان تقع حادثة من تلك
الحوادث المفاجئة التي تبدل سياسة الدول . وانه لمن المحتمل جداً
حدوث مثل هذه الحوادث المفاجئة في البلدان التي تكثر فيها
الحلافات الطائفية والمذهبية ، وان نجد احد المتعصبين المتحمسين
لمذهبهم يقبل ان يضحي بحياته للذود عن معتقده الديني ... امثال
وفايك وجان كليان وغيرهما .

والمعلومات المتوفرة لدي تؤكد ان طائفة « المطهرين » من
البروتستانت ناظمون اشد التقية على اعمال الدوق دي بوكنفهام ،
حتى ان وعّاظ هذه الطائفة لا يتورعون عن تسميته بالرجل
الفوضوي . فقلت ميلادي ، وقد بدأت تفهم الغاية التي يرمي اليها :

- و كيف السبيل الى تحقيق ذلك يا سيدي ؟
فتابع الكردينال حديثه بلهجة طبيعية :
- وعلينا الآن ان نعثر على امرأة حسنة ، قوية الاعصاب من
المغريات اللدوق دي بوكنغهام ، ولا اظن ان إيجاد هذه المرأة
بالامر الصعب ؟

فأجابته ميلادي بلا تردد :
- بل لقد وجدت يا سيدي الكردينال ، انها واقفة امامك .
فأفتر ثغره عن ابتسامة قصيرة ، ثم رمقها بنظرة عابرة وقال :
- انت ؟ وماذا تطلبين لقاء قيامك بهذه المهمة ؟
- يكفي اني ان أحصل من نيافتك على شهادة خطية تثبت ان كل
عمل اقوم به منها يكن نوعه ، انما هو بخير فرنسا ، فلا اكون مسؤولة
عما قد اضطر الى اللجوء اليه من وسائل وطرق لتنفيذ الغاية التي
انتمدبني لها .

فأجابها الكردينال بلهجة جافة :
- ستناين ما ترغبين في الحال ..
وعادت ميلادي تقول بلهجة الوانقة من نفسها :
- والاكت ، وبعد ان تلقيت من نيافتك جميع التعليمات فيما
يختص باعدائك ، فأرجو ان تسمح لي بأن احدثك عن اعدائي .
- وهل لك اعداء ؟

- نعم يا سيدي الكردينال ، ومن حقني ان استعين بسلطتك
ونفوذك في التغلب عليهم ، لاني انما اكتسبت عداوتهم اثناء قيامي
بتنفيذ أوامر نيافتك .

ومن هم ؟

- هناك أولاً تلك المرأة الماكرة جر مين بوناسيو .
- انها ما تزال في سجن « مانت » على ما اعتقد .
- لقد كانت في سجن مانت ، إلا أن الملكة تمكنت من الحصول على أمر من الملك ، ونقلتها الى أحد الاديرة الامينة .
- واين مكان هذا الدير ؟
- لم اتمكن يا سيدي الكردينال من معرفة مكانه حتى الآن .
- دعي الامر لي ، فسأعرف مقرها هذه المرة ..
- وهناك عدو آخر لي ، هو عشيق السيدة بوناسيو .
- وما هو اسمه ؟

- ان نيافتك تعرفه جيداً ، فهو الذي ألحق العار بعدد من فرسانك ، وفي مقدمتهم الكونت دي وارد ، رسولك الخاص الى لندره .

فأجابها الكردينال بحدة :

- أتعنين ذلك الفارس الطائش دارتليان ؟
- هو بعينه يا سيدي الكردينال ...
- هيا اتني ببوهان دامغ ، وانني اعدك بان اقوده الى سجن الباستيل ليقضي بقية عمره فيه .
- فأجابته ميلادي بصوت كفحيح الاعمى :
- اسمع يا سيدي الكردينال ، انها مسألة حياة او موت ،
- انها مقابلة بالمثل ، حياة رجل برجل ، فاذا ساعدتني بالتغلب على هذا ، ساعدتك بالتغلب على ذاك ..

ولم يترك الكردينال لها المجال للاسترسال في حديثها وشكرواها
الى ابعد من ذلك فقال بلهجة جافة :

- لست اعلم بالضبط ما تطلبين مني ، ومع ذلك فاني سأعمل
على تحقيق رغباتك ، والآن احضري لي ورقاً وقلماً لا كتب
لك ما تريدن ...

وتلا ذلك صمت عميق لبضع لحظات ، بينما كانت الكردينال
يسطر الرسالة والتعليقات التي طلبتها منه ميلادي ، ادرك الفارس
آتوس الذي كان يسمع الحديث بان مؤامرة خطيرة تدبر ضد
رفيقه الفارس دارتزيان ، فالتحق برفيقه بورتوس وارايميس وأسر
لها بصوت خافت :

لقد سمعنا الكفاية، وأرى من الضروري أن أغادر هذا المكان
على عجل ، اما أننا فابقيا ههنا ، ومتى عاد الكردينال وسأل عني ،
فقلوا له اني خرجت لاستكشاف الطريق مخافة ان يكون الاعداء
قد نصبوا كميناً لشيافته .

فقال ارايميس :

- كن يقظاً يا آتوس .

فاجاب آتوس وهو يهم بالانصراف من القاعة :

- كن مطمئن البال ، فلن أفقد متانة أعصابي .

وعناد بورتوس وارايميس يحنلان مكانهما بالقرب من المدفأة
علهما يسمهان بقية الحديث بين الكردينال وميلادي ، بينما كان
رفيقهما آتوس قد امتطى صهوة جواده بهدوء ، وأعلم تابع الكردينال

بانه ينوي القيام بجولة استكشافية في الطريق المؤدية الى المعسكر
فلم يشك التابع بامرہ ، وتركه يذهب دون ان يعترض سبيله .
وما أن ابتعد آتوس عن المنزل ، حتى لكز جواده ، فانطلق
به يعدو بسرعة فائقة نحو المعسكر .

٤٥

مقابلة بين آتوس وميلادي



ولم تمض عشر دقائق على ذهاب آتوس حتى فتح الكردينال باب القساعة والقى نظرة شاملة عليها ، فألقى بورتوس وراميس منهنكين في لعب الزرد ، فسألها :

- أين الفارس آتوس ؟

فأجابه بورتوس :

- لقد ذهب في جولة استطلاعية في الطريق المؤدي الى المعسكر .

- وماذا تعمل ايها الفارس بورتوس ؟

- لقد كسبت حتى الآن خمسة دنانير من رفيقي اراميس ..

- يمكنكما ارجاء اللعب الى وقت آخر ، ولنذهب الآن .

فأجابه بورتوس :

- نحن في خدمة نيافة الكردينال .

وامتطى الكردينال صهوة جواده ، وسار خلفه بورتوس

واراميس ثم تابعه الخاص باتجاه المعسكر .
ولنعد الآن الى الفارس آتوس ، فبعد ان قطع مسافة مئتي
خطوة عن المنزل ، توقف عن المسير فجأة ، ولوى عنان جواده
باتجاه المنزل ، متخذاً طريقاً جانبياً بين الحقول ، وما ان أصبح
على بعد عشرين خطوة من المنزل ، حتى طرق سمعه صوت حوافر
جواد تقترب منه ، فتأكد انه الكردينال مع رفيقه بورتوس
واراميس ، فانتحى مكاناً قصياً ، واقف جواده متمتعاً عن الاثنيان
بأية حركة ، وما ان مر الكردينال مع مرافقه ، حتى تابع الفارس
آتوس سيره نحو المنزل ، وفي لحظات معدودة كان يطرق بابه
ويخاطب الفندق الذي عرفه :

... ان سيدي الضابط سها عن باله ان يزود السيدة ببعض
التعليمات الضرورية ، وقد ارساني لاقوم بالنيابة عنه بهذه المهمة .
فافصح الفندق في له الطريق وقال :

... يمكنك ايها السيد مقابلة السيدة ، فهي ما تزال في غرفتها .
ولم يضع آتوس هذه الفرصة ، فاسرع يرتقي الدرج بسرعة جنونية
ثم اقتحم غرفة ميلادي ، فوجدتها تضع قبعتها تأهباً
للانصراف ، فدخل الحجرة واقفل الباب خلفه بهدوء .

وشعرت ميلادي بالحركة فالتفتت مذعورة ، فوجدت رجلاً
طويل القامة ، واقفاً قرب الباب ، وقد لالتف بمعطف طويل
وارضى قبعته فاخفت معالم وجهه .

وذعرت ميلادي لوجود هذا المارد العملاق يظهر فجأة في
غرفتها وصاحته والرب يملأ قلبها :

— من أنت ؟ .. وماذا تريد ؟!

فتمتم آتوس وكأنه يحدث نفسه :

— يا إلهي .. انها هي .. فهذا صوتها !

وبحركة سريعة أرخى معطفه وازاح القبعة عن وجهه ، واقترب من ميلادي وهو يحدق بها بنظرات نارية وقال :

— والآن هل عرفتني يا سيدتي ؟

فخطت ميلادي خطوة الى الامام لتبين معالم وجهه ، ثم ما لبثت ان تراجعت الى الراء مذعورة وكأنها تواجه شعباناً وهيباً ..

— إذن .. فقد عرفتني ولا ريب !

وظلت ميلادي تتراجع وهي ترتجف .. حتى اصطدم جسمها بالحائط وراحت تغغم بصوت مبهوح :

— يا إلهي ! .. الكونت دي لافر ؟!

— اجل يا ميلادي ... انا الكونت دي لافر بالذات ، فهيا اجلسي ولنتحدث في بعض الامور التي تهمني .

وجدت ميلادي نفسها مسوقة بقوة خفية ، فتهاكت على اول مقعد صادفته ، وكأنها تستمع الى حكم القدر ينطق به آتوس الذي بدأ يخاطبها بقوله :

— انك شيطان مريد وجد على هذه الارض ! ولكن تأكدي انه بمعونة الله يمكن التغلب على مؤامرات الالباسة امثالك ... لقد وضعك الجحيم مرة ثانية في طريقي ، وجعلك غنية ، واعطاك امماً جديداً ، فأصبحت امرأة جديدة ، ولكن الزمن لن

يزيل منك العنصر الحبيث والنفس الشريرة .

واثّرت هذه العبارات اللاذعة في نفس ميلادي، فوضعت رأسها بين يديها وراحت ترسل زفرات عميقة ، بينما تابع آتوس حديثه قائلاً :

- كنت تعتقدن أنني أصبحت في عالم الاموات ، كما كنت اعتقد انك ذهبت الى الجحيم . وان هذا الاسم الغريب « آتوس » يخفي وراءه الكونت دي لافر ، كما يخفي اسم ميلادي كلاريك ، « آن دي بويل » كما كان يدعوك شقيقك المحترم ، عندما تزوجنا .
حقاً ان وضعنا غريب جداً !

وكانت ميلادي قد تماكنت أعصابها فقالت :

- والان ماذا تريد مني . . ومن أرسلك الي ؟

اجابها آتوس بلمحة قاسية :

- جئت لاقول لك انني ، طيلة غيابي عنك ، لم افقد اثرك ، اذ كنت انتبع حرركاتك وسكناتك عن كثب .
- اذن فانت تعلم ماذا فعلت ؟

- باستطاعتي ان اسرد عليك سجل اعمالك الشريرة ، منذ الساعة التي التحقت فيها بخدمة الكاردينال ريشليو ، حتى هذا المساء . اسمعي فانت التي سرقت الماستين من صدر الدوق دي بوكنفهام ، وانت التي دبرت اختطاف السيدة بوناسيو ، وراحت تتذللين للكونت دي وارد ، ليقتضي ليلة بين احضانك ، وانت التي ارسلت اثنين من المأجورين الاشرار لاغتتيال منافس عشيقك ، الفارس دارقنيان . . . وعندما وجدت ان رصاص اتباعك اخطأ الهدف ،

عمدت الى ارسال زجاجات من النبيذ المسموم مرفقة برسالة مزورة الى ذلك الفارس ... واخيراً فأنت التي تعهدت منذ ساعة تقريباً ، وفي هذه الحجرة ، للكردينال بان تغتالي الدوق دي بوكنغهام ، واشترطت مقابل ذلك ان يتعهد لك بالقضاء على عدوك دارتنيان . فامتقع وجه ميلادي وبان الاضطراب على قسما وجها وقال :

— إنك الشيطان بعينه !

— ربما ... والآن اصغي الى ما أقوله لك : يمكنك ان تحاولي قتل الدوق دي بوكنغهام فهذا لا يعنيني ، لكن حذار ان تسمي شعرة من دارتنيان ، فهو صديقي الحميم ، وهو الشخص الوحيد الذي ادافع عنه بحياتي .. واني اقسم لك بان ذلك اليوم سيكون آخر ايامك ! فأجابته :

— ان دارتنيان قد وجهه الى اهانة لا تغتفر ، ولذلك قررت ان أقتل ... عشيقته اولا السيدة بوناميو ثم هو ! .. ففعلت في صدر آتوس مراحل الحقد والغیظ على وقاحة هذه الحية الرقطاء ، وساورته نفسه بان يحمده انفسها في الحال ، فتناول من وسطه غدارة ، واقترب منها ، وهو يسدد فوهتها الى رأس تلك المرأة الماكرة ، فحاولت الاستغاثة الا ان صوتهما احتبس في حلقها وخرج من فمها كحشرة المحتضر ... والصق آتوس فوهة الغدارة الباردة بصدغها وقال بلبهة حازمة :

— ايتها المرأة الشريرة ، اعطني الرسالة التي تحمل توقيع

الكردينال ... والا أقسم لك بان أهب دماغك في الحال !
ولو كان الذي يهدد ميلادي رجلاً آخر غير آتوس ، لترددت
كثيراً في الخضوع والاستسلام ، ولهذا فقد تغلبت عليها غريزة
حب الحياة ، وتخيلت الرصاص يهشم رأسها الجميل ، فمدت يدها
بحركة آلية الى صدرها وتناولت الرسالة وسلمتها فوراً الى
آتوس قائلة بصوت متهدج:
- اليك الرسالة ... ولتحل اللعنة عليك ...

فارتسمت على شفقي آتوس ابتسامة غامضة ، فانتزع الرسالة من
يدها ، واعاد غدارته الى وسطه وتقدم من المصباح ليتأكد من
انها الرسالة المطلوبة وقرأ فيها السطور القليلة التالية :
« ان حامل هذه الرسالة قد فعل ما فعله بامري ولمصلحة
الدولة ...

٣ كانون الاول ١٦٢٧ ريشليو

وبعد ان قرأ آتوس ما تضمنته الرسالة التفت الى ميلادي وقال :
- والآن بعد ان انتزعت منك اسنانك السامة ايتها الافعى
الماكرة ... فأنمشي ما طاب لك !
ثم غادر الحجرة ، بعد ان ارخى قبعته ليخفي معالم وجهه
والتف بمعطفه الطويل ، واسرع يمتطي جواده ... وقبل ان يصل
الى المعسكر بثني خطوة طرق سمعه حوافر خيل تسير متمهلة ،
فتقدم يصيح بصوت جهوري بكلمة السر :
- من يعيش ؟
فأجابه صوت الكردينال يقول :

- لا شك انه فارسنا الهام آتوس يقوم بمهمة الاستطلاع .

فأجابه آتوس :

- اجل ياسيدي الكردينال .

- اشكرك ايها الفارس مع رفيقك على يقظتك و اخلاصك ،
والآن هيا سيروا شمالاً وكلمة السر الجديدة هي « الملك و جزيرة ري »
ثم حيا الفرسان الثلاثة بانحناء خفيفة من رأسه و سار متجهاً الى
اليمين ، و خلفه تابعه الخاص ، اذ قرر ان يقضي ليلته في المعسكر .
و ما ان ابتعد عنهم حتى صاح بورتوس و اراميس بصوت واحد :
- لعنة الله عليه ... لقد وقّع رسالة تحكم على رفيقنا دارتنيان
بالموت .

فبادرهما آتوس ضاحكاً :

- لا تخشوا بأساً فماكم الرسالة !

و تبادل الرفاق النظرات ، دون ان ينبسوا ببنت شفة ، اذ
اقتربوا من الحرس .

و عندما اصبحوا في حجرتهم ، اسرعوا بايفاد الخادم موسكينون
لا بلاغ دارتنيان بان يحضر لمقابلتهم في الحال .

اما ميلادي ، فما ان استودت روعها ، حتى نزلت من الحجرة
و وجدت في انتظارها امام باب الفندق اثنين من رجال الكردينال
فامتطت جوادها و سارت برفقتها ، دون ان تنبس ببنت شفة .
و بينما كانت على صهوة جوادها ، سوتلتها نفسها ان تقصد رأساً الى
الكردينال و تقصّ عليه ما جرى لها مع آتوس ، و كيف انتزع
منها الرسالة بالقوة . الا انها ترددت ، خشية ان يفضح آتوس امرها

ويعلم انما موسومة على كتفها اليسرى بشاردة « الزنبقة » ، ففضلت
السكوت واعتزمت مواصلة طريقها لاتمام المهمة التي كلفها بها
الكردينال ، وبعد ذلك يمكنها ان تستعين مرة ثانية ببنيافته
ليساعدوها على الانتقام من اعدائها ...

وهكذا تابعت سيرها طوال الليل ، وفي الساعة السابعة صباحاً
وصلت الى « توردي لابوانت » وعند الساعة التاسعة كانت على
ظهر سفينة متجهة الى انكلترا .

٤٦

حصن سان جرفيه



ولما دخل الفارس دارتنيان على رفاقه الثلاثة وجدهم مجتمعين في شجرة واحدة . آتوس غارق في تأملاته ، وبورتوس يصلح من وضع شاربيه ، اما اراميس فكان يتلو صلواته من كتاب صلاة صغير يحمله معه ويجرص عليه اشد الحرص ، فبادرهم دارتنيان بقوله :

— ارجو ايها الرفاق ان يكون ما حملكم على استدعائي بهذه السرعة وفي هذه الساعة المتأخرة من الليل ، من الامور الخطيئة ، والا فلن اغتفر لكم هذا الازعاج بدلا من تركي اثال قسطي من الراحة بعد ما تحمّلته من مشقات واهوال في استيلائي مع رفاقي على حصن كان يحتله العدو ، ولكم وددت لو كنتم برفقتي ، فقد كانت المعركة حامية الوطيس .

فأجابه بورتوس وهو ما يزال منهمكاً في قتل شاربيه :

— ونحن أيضاً تعرضنا لأخطار جسيمة في هذه الليلة ...
 فرفع آتوس رأسه وصاح :
 — ما هذه الثروة يا آتوس ؟
 قال دارتنيان وقد لاحظ دلائل الاهتمام على وجه آتوس :
 — يبدو لي ان هناك اموراً خطيرة قد حدثت هنا ...
 فتجاهل آتوس عبارة دارتنيان واردف مخاطب اراميس
 بقوله :
 — ما رأيك في وجبة دسمة ونبيذ جيّد في هذه الساعة في نزل
 « باربايو » الذي تناولت عشاءك فيه أوّل امس ؟
 فأجابه اراميس :
 — انه مكان هادئ ، ولكن طعامه لم يعجبني كثيراً ...
 فقال آتوس :
 — اذن هلموا ايها الرفاق الى نزل « باربايو » فالجدران هنا لها
 آذان تسمع .
 وكان دارتنيان خبيراً باخلاق وتصرفات آتوس ، فأدرك في
 الحال ان الموقف شديد الخطورة ، فأسرع يتأبط ذراع صديقه
 آتوس ويخرجان ثم يتبعهما على الاثر بورتوس و اراميس . وفي
 الطريق صادف آتوس خادمه غريمو فأشار اليه ان يلحق به .
 وعندما وصلوا الى مشرب نزل « باربايو » ، كانت الساعة قد
 قاربت السادسة صباحاً ، فطلب الرفاق الاربعة فطوراً ،
 واختاروا قاعة قصية ليختلوا بها ، ويكونوا بمعزل عن أي ازعاج
 او مضايقة ... ولكن خابت امالهم ، إذ ما لبث ان ازدحم

النزل وغرفته بعدد كبير من الجنود السويسريين والحرس
والفرسان ..

فنفذ صبر آتوس وقال :

— هيا قص علينا يا دارتنيان مغامرتك هذا الليلة .. وسنروي
لك فيما بعد مغامرتنا .

فأنبرى جندي ثمل كان يحمل بيده قدحاً مترعاً بالخمور وقال :
— اسمعوا ايها الرفاق ان هذا الفارس يريد أن يقص عليكم مغامرة
فريدة في نوعها .

فاتجهت الانظار نحو دارتنيان ، الذي اعتدل في جلسته ،
وادرك ما يرمي صديقه آتوس من وراء هذه المناورة ، وبدأ
يسرد بأسلوب جذاب كيف استولى مع نفر قليل من رفاقه على
حصن « سان جرفيه » وفتحوا ثغرة في سور الحصن وادخلوا فيها
برميلاً من البارود ، ثم اشعلوا النار فيه ، فلم يلبث ان انفجر
وأحدث ثغرة واسعة في الحصن ، تمكنوا بواسطتها من الوصول
الى داخل الحصن ، واستنكبوا مع الحامية بمعركة ضارية ، أسفرت
عن مقتل خمسة رجال من رفاق دارتنيان ، وسقط من حامية
الحصن عشرة جنود ، وأركن الباقون الى الفرار .
وعلق احد الجنود بقوله :

— لا شك انهم سيوصلون فرقة مع عدد من المهندسين والبنائين
لترميم الحصن .

فقال دارتنيان :

... هذا ممكن ..

وانتهز آتوس المناسبة فهتف يقول :

— هتاك رهان .. فمن يشترك به ؟

فسأله الجندي المجاور له :

— وما هو نوع هذا الرهان ؟

قال آتوس :

— اراهنكم ايها السادة ، على اننا ، انا ورفاقي الثلاثة: بورتوس و اراميس و دارتنيان ، على تمام الاستعداد لان نذهب الى ذلك الحصن ونتناول طعامنا هناك ، وان نصمد مدة ساعة من الزمن ، في وجه الهجمات التي يشنها علينا العدو .

وتبادل بورتوس و اراميس النظرات ، وادركوا الغاية التي يرمي اليها رفيقهما آتوس ... أما دارتنيان فقد انحنى على آتوس وهمس باذنه قائلاً :

— انها مجازفة خطيرة قد تعرضنا للهلاك ..

فأجابه آتوس هامساً :

— نحن على كل حال معرضون للموت بين ساعة واخرى في هذا المكان .

وهنا اقترب اربعة من الجنود و اعلنوا موافقتهم على الاشتراك بهذا الرهان ، وسأل احدهم آتوس :

— وما هو المبلغ الذي يتوجب على الخاسر دفعه ؟

فقال آتوس :

— أنتم اربعة ونحن اربعة ، وعلى الفريق الخاسر ان يعد وليمة لثمانية اشخاص .. فهل توافقون على هذا الرهان ؟

فهتف الجنود الاربعة بصوت واحد :

- موافقون...

وفي هذه اللحظة اعلن الفندقى بان الطعام قد أصبح معداً ،
فنادى آتوس خادمه غريمو وطلب اليه ان يضع الطعام في سلة
كبيرة ، فاسرع غريمو لينفذ رغبة سيده دون اعتراض .
وعلى الاثر تناول آتوس من جيبه دينارين رماههما الى الفندقى
وقال :

- هيا ائتنا بزجاجتين من الشمبانيا ، واحتفظ بالباقي لادوات
الطعام .

وشعر الفندقى بانه لم يفز بصفقة رابحة مع هؤلاء الفرسان ،
فانتهمز فرصة انشغالهم ، ودس زجاجتين من نبيذ انجو بدلاً من
الشمبانيا .

وقبل ان يغادر الفرسان الاربعة النزل ، التفت آتوس الى احد
المراهنين المدعو « بوسيني » وقال :

- هل لك ان تضبط ساعتك على ساعتى ؟

فتناول المدعو « بوسيني » ساعته وقال :

- الساعة الآن السابعة والنصف تماماً .

ثم خرج الفرسان الاربعة يتبعهم الخادم غريمو يتأبط بذراعه
سلة الطعام الكبيرة ، واتجهوا رأساً نحو حصن « سان جرفيه » .
ولما اصبحوا في منتصف الطريق التفت دارتنيان الى آتوس يسأله:
- هل لك يا عزيزي ان توضح لي هدف هذه الزيارة ؟
فأجابه آتوس ببرود :

- هناك أمور غاية في الخطورة يجب ان نتباحث فيها على انفراد ، ولانه يستحيل علينا ان نتداول فيها في ذلك التزل وسط هذا الجمع الغفير من الجنود والفرسان . وأشار آتوس بيده الى الحصن الذي بدا للعيان وأردف يقول :

- اما هناك ضمن الحصن ، فلن يزعجنا أحد ..

وتدخل بورتوس بالحديث وقال :

- يبدو لي انه كان من الاجدر بنا في مثل هذه المغامرة ، ان نتسلح ببنادقنا .

فأجابه آتوس :

- لا حاجة بنا الى ان نثقل كواهلنا في حمل البنادق ... فاذا احتجنا الى شيء من ذلك ففي الحصن يمكننا ان نجد حاجتنا من البنادق والرصاص والبارود ، اذا اضطررنا ان ندافع عن انفسنا . فهتف اراميس قائلاً :

- حقاً انك رجل عظيم يا عزيزي آتوس !

وكان الخادم غريمو ، حتى تلك اللحظة يشك في موضوع هذه الزيارة ، فاقترب من سيده وشده بذيل معطفه من الخلف وقال :

- الى اين نحن ذاهبون ؟

فأشار آتوس بيده نحو الحصن دون ان يكلف نفسه عناء الكلام .

فقال غريمو :

- ولكن هذه المجازفة قد تقضي علينا يا سيدي ..

فلم يرد آتوس على حديث خادمه ، بما حدا بهذا الاخير ان

يضع السلة على الارض ويجلس الى جانبها.. فتناول آتوس غداًرة
من حزامه ، وقرّبها من رأس غريمو ، فانتفض المسكين وكأن
سلماً كهربائياً قد مسه ، فأشار اليه آتوس ان يحمل السلة
ويقدمهم ، فصعد الامر دون تردد ، وتقدم الصفوف ، واصبح
في المقدمة ، بعد ان كان في المؤخرة .

وبعد دقائق قليلة وصل الرفاق الاربعة مع خادمتهم الى الحصن
فأداروا وجوههم ناحية المعسكر ، فشاهدوا اكثر من ثلاثماية جندي
محتشدين على باب المعسكر ، وفي مقدمتهم المراهنين الاربعة ،
فتناول آتوس قبعته من على رأسه ولوح بها للجنود ، فردوا على
تحيته بالهتافات ..

وبعد ذلك توارى الرفاق الاربعة داخل الحصن ، وكان قد
سبقهم اليه الخادم غريمو .

٤٧

« مجلس حرب » الفرسان



وصحّ ما توقعه آتوس ، فلم يكن في الحصن سوى عشرات القتلى من الفرنسيين واعدائهم اهالي لاروشيل البروتستانت .
فالتفت آتوس الى رفاقه وقال :

— ايها الرفاق علينا ان نسرع بجمع عدد من البنادق الصالحة للاستعمال وكميات من الطلقات النارية ، وينا ينتهي غريمو من اعداد الطعام .

فوافق الرفاق على اقتراح آتوس ، وبدقائق معدودة جمع الرفاق اثنتي عشرة بندقية ومئة طلقة . وقبل ان يبدأ الرفاق بتناول طعامهم ، طلب اليهم آتوس ان يحشوا بنادقهم لتكون جاهزة ، كما اوعز الى خادمه غريمو بان يقوم بمهمة الحراسة بعد ان أعطاه نصيبه من الطعام وزجاجة من نبيذ النجو .

وافترش الفرسان الاربعة الارض وراحوا يلتهمون طعامهم

بشبهة وبتجرعون زجاجات النبيذ .
والتفت دارتنيان الى صديقه آتوس يقول :
- والآن وقد اصبحنا في مكان لا نخشى ان نسمعنا فيه احد ،
فأرجو ان تطعنا على شرك الخطير ؟ ..
فتردد آتوس بعض الوقت ثم قال :
- ان السر الذي تلح بالاطلاع عليه ، هو انني قابلت ميلادي
ليلة امس .
فارتعشت اطراف دارتنيان وقال :
- أعني انك وأيت لأمير ...
فقاطعه اتوس بقوله :
- صه .. لعلك نسيت انني لم اطلع غيرك على شؤوني الخاصة
وسأله دارتنيان :
- واين قابلتها ؟
- على بعد مرحلتين من هنا في نزل الحمامة الحمراء ، .
اجابه دارتنيان :
- اذن فهي ما تزال تجدد في أثري ... وستحاول القضاء علي ..
- لا تخش بأساً ، فهي الآن على ظهر سفينة تقلها بعيداً عن
الشواطئ الفرنسية .
فتنفس دارتنيان الصعداء .
وكان بورتوس قد ضاق ذرعاً فصاح يسأل آتوس :
- ومن هي هذه المرأة المسماة ميلادي ؟
- انها سيدة فائنة ، اظهرت كل عطف واخلاص لصديقنا

دارتنيان ، ويبدو انه لسبب اجهله قد نقت عليه ، وحاولت ان تنتقم منه ، فمئذ شهر تقريباً دبرت مؤامرة لاغتياله بواسطة اثنين من الاشرار ، ثم حاولت تسميمه ، وامس طلبت رأسه من الكردينال نفسه .

وسأل دارتنيان :

- ما الذي طلبته من الكردينال ؟

فأجابه بورتوس قائلاً :

- هذا صحيح يا عزيزي صحة كلام الانجيل ، فقد سمعته

بأذناي . كما سمعه آتوس وراميس .

فأرخصي دارتنيان ذراعيه دلالة اليأس وقال :

- اذن فلا فائدة من الاستمرار في النضال ...

فربت آتوس على كتفه وقال :

- لا تقنط ايها العزيز ، فلا مجال لليأس .

وهنا برز غريمو من الجهة المقابلة يصبح بالفرسان :

- هناك قوة من الاعداء متجهة نحونا ...

- وكم عددها ؟

- عشرون رجلاً .

- وما هي المسافة التي تفصلنا عنهم ؟

- حوالي خمسمائة خطوة .

اجابه آتوس :

- حسنأ لدينا متسع من الوقت لننتهم ما تبقى من هذه

الدجاجة ، ونأتي على آخر قطرة من النبيذ .

ورفع كأسه قائلاً :

- ايها الرفاق لنشرب في صحة دارتنيان ..

فقلب الفارس الشاب شفتيه وقال :

- قد لا تساوي حياتي بعد اليوم ادنى قيمة .

فشد آتوس على ذراعه وقال :

- الله اكبر ، كما يقول المسلمون ، والمستقبل بيد الله ، فلا

نخش بأساً ولا تجعل اليأس يستحوذ على نفسك !

قال هذه العبارة ، وافرغ كأسه في جوفه دفعة واحدة ، ثم

نفض وتناول بندقية من البنادق الاثني عشرة ، فتبعه على الاثر

الرفاق الثلاثة وتسلم كل منهم ببندقية ، بينما اوعز آتوس الى خادمه

غريمو ان يبقى في المؤخرة لكي يتولى تعبئة البنادق التي تفرغ .

وبعد مضي لحظات معدودة ، وصلت القوة الى الخندق المجاور

للحصن والذي يربط المدينة بالحصن .

واخذت اراميس الشفقة على هؤلاء المساكين .

فبادره بورتوس بقوله :

- حقا انك راهب قليل الايمان ، لانك تشفق على جماعة من

المراطقة .

وفي تلك اللحظة كان آتوس يقوم بمناورة خطيرة ، اذ وقف في

مكان بارز يطل على الجنود والعمال الزاحفين نحو الحصن ، ورغم

معارضة دارتنيان لذلك فقد رفع صوته يخاطبهم وكانوا قد اصبحوا

على بعد خمسين خطوة :

- ايها السادة ، لقد احب بعض الرفاق وانا من بينهم ، ان نتناول

طعام الفطور داخل هذا الحصن، ولهذا نطلب اليكم الانتظار بعض الوقت ريثما ننتهي من تناول طعامنا ... هذا اذا كنتم ترفضون الانضمام اليها ومشاركتنا في شرب نخب ملك فرنسا .

وهنا صاح به دارتنيان :

- حذار يا آتوس ، انه يصوب بندقيته الى صدرك ...

حذار ..

فأجابه آتوس ببرود :

- انهم من الطبقة البورجوازية ، وهم لا يحسنون اصابة الهدف .

ولم يكديتم دارتنيان عبارته حتى انطلقت اربع رصاصات وسقطت على مقربة من آتوس ، دون ان تمسه بأذى .

وبعد لحظات قليلة دوت أربع طلقات اخرى ، صادرة عن الفرسان الاربعة ، فأصابت ثلاثة من الجنود سقطوا في الحال صرعى ، واصيب احد العمال بجرح بالغ في كتفه .

وصاح آتوس بخادمه :

- ناولني بندقية محشوة ...

فاسرع غريمويللي طلب سيده ، بينما حشا الفرسان الثلاثة بنادقهم واطلقوها مرة ثانية ، فأصابت هذه المرة ، الجاويش الذي يرافق القوة واثنين من العمال ، اما باقي القوة فقد اركن افرادها الى الفرار ...

وصاح آتوس جذلاً :

- والآن هلموا اليها الرفاق ، لنبرح الحصن ...

وقفز الرفاق الاربعة الى خارج الحصن ، ولما وصلوا الى ساحة

المعركة ، استولوا على البنادق الاربع ، وعلى الرمح الذي كان
يحملة جاويش القوة .

والتفت آتوس الى خادمه وقال :

- أسرع بتعبئة البنادق يا غريمو ... بينما نستأنف حديثنا .

فسأله دارتنيان :

- قلت انها غادرت الاراضي الفرنسية ، فإلى اين ذهبت ؟

- لقد قصدت لتدره . وهدفها اغتيال الدوق دي بوكنفهام .

فارسل دارتنيان صيحة دهشة واستنكار وقال :

- إنه عمل سافل ...

فقال آتوس :

- اما انا فلا اهتم كثير بهذا الامر .

ثم التفت الى غريمو الذي انتهى من حشو البنادق وأردف يقول :

- خذ هذا الرمح واربطه بطرف منديل ابيض واغرسه في

اعلى الحصن ، لكي يعلم هؤلاء الشاكرون انهم يقاتلون خصوما
شجعاناً مخلصين للملك .

فقام غريمو بتنفيذ تعليمات سيده بدقة وسرعة ، وما ان انقضت

لحظات قليلة على رفع العلم الابيض ، حتى قابله رفاق الفرسان
الاربعة من وراء الحواجز بالهتافات والتشجيع .

وعاد دارتنيان يقول :

- ولكن لا تنس ان الدوق هو صديق لنا .

اجابه آتوس

- ولا تنس انه انكليزي ، وهو الذي قاد الحملة ضد قواتنا في

جزيرة « ري » ... ولذا فلتفعل ميلادي بالدوق ما تشاء فلا يعنيني
من أمره شيئاً .
وقال دارتنيان :
- انه قدم لنا خدمات جلى في الماضي ، فمن واجبنا ان نقابله
بالمثل على الاقل ...
وقال اراميس :
- ان الله يريد التوبة للخاطيء ، لا هلاكه ...
فاجاب آتوس بنفاد الصبر :
- دعونا من هذا الحديث ، فسنعود الى بحثه في مناسبة اخرى .
والتفت الى دارتنيان واستطرد يقول :
- اما الذي يهيجك ان تعرفه فهو انني تمكنت من ان انتزع من تلك
المرأة الماكرة الوثيقة التي تحمل توقيع الكوردينال ، والتي بواسطتها
يمكنها ان تتخلص منك وربما منا ايضاً .
فقال بورتوس :
- اذن فهذه المخلوقة هي الشيطان الرجيم بعينه ..
فسأل دارتنيان صديقه بقلقى :
- وهل هذه الورقة ما زالت بحوزتك :
فمد آتوس يده الى جيبه الداخلي وتناول ورقة مطوية قدمها
لدارتنيان ، الذي اخذها بلمهة وراح يتلوها بصوت مرفوع على
مسمع من رفاقه :
« إن حامل هذه الرسالة قد فعل ما فعله بامري ولمصلحة
الدولة ..
٣ كانون الاول ١٦٢٧ ريشليو »

فقال اراميس :

— انها وثيقة مستوفية الشروط القانونية .

وقال دارتنيان :

— يجب تزيق هذه الوثيقة في الحال .. فهي تحمل الموت بين
سطورها ..

فهن آتوس رأسه وقال :

— اخطأت ، بل علينا ان نحتفظ بها فهي كنز ثمين ، يمكننا
الاستفادة منه في المستقبل .

فقال بوتوس :

— من حسن حظنا انها بعيدة الآن عن فرنسا .

فأجابه آتوس :

... ولكنها ثققتني سواء كانت في انسكترا أو في فرنسا .

قال دارتنيان :

— انها مصدر قلق لي اينما كانت .

ثم صمت لحظة وأردف يقول :

— لدي فكرة ايها الرفاق ..

وقبل ان يتم عبارته صاح غريمو من برج المراقبة :

— الى السلاح ... الى السلاح ..

فوثب الفرسان الاربعة بسرعة الى بنادقهم .

وكان القادمون في هذه المرة قوة مؤلفة من خمسة وعشرين

جندياً يحملون البنادق ويسهرون بخطوات ثابتة نحو الحصن ، ولم

يكن بينهم احد من العمال ، بل كانوا من جنود الحامية .

فقال بورتوس :

— ارى ان نعود في الحال الى المعسكر ، لاث الكفة غير متعادلة هذه المرة ..

فصاح به آتوس قائلاً :

— من المستحيل ان نعود بهذه السرعة لعدة اسباب ، منها اننا لم نفرغ من بحث مشاكنا الخاصة بعد ، وفوق ذلك وهو الاهم فان المدة المحددة لبقائنا في الحصن لم تنته بعد ، ولا يزال امامنا عشر دقائق .

فقال اراميس :

— اذن علينا ان نرسم خطة لمجابهة هذا الهجوم الطارىء .

فأجابه آتوس :

— الامر اسهل مما تتصور ، ففي اللحظة التي يصبح فيها اعداؤنا في متناول بنادقنا نطرحهم بوابل من رصاصنا ، فاذا وصلوا الزحف نحو الحصن اعدنا الكرة مرة ثانية وثالثة الى ان نجبرهم على التراجع . فتعسس بورتوس لهذه الخطة وصاح :

— مرحى آتوس ، انك خلقت لتكون قائداً كبيراً تفوق الكردينال مهارة ودهاء .

فصاح آتوس :

— اوصيكم ان تحسنوا التصويب على اهدافكم ، لكي لا نفرطوا بالاطلاقات المحدودة التي بحوزتنا ...

وانطلقت اربع رصاصات لتصرع اربعة من الجنود المهاجمين ، واثارت هذه المفاجأة نقمة ضابط القوة ، فأمر جنوده بان يطوقوا

الحصن ، وتوالت البنادق الاربعة تقذف حممها بلا انقطاع ، وتصيب
الهدف ، ومع ذلك استمر الجنود المهاجمون في مواصلة زحفهم ،
ولما وصلوا الى حافة الخندق كان كل ما بقي من طلقات نارية في
حوزة الفرسان الاربعة خمس عشرة طلقة . وادرك آتوس الخطر
الذي يتهده مع رفاقه فأسرع الى تنفيذ فكرة جهنمية رسمها في
خيلته منذ الساعة التي اعتزم فيها الصمود بوجه هذه القوة .
وصاح برفاقة :

... هلموا الى الجدار المتداعي الذي يشرف على الخندق ايها
الرفاق ... ولنفرغ من امرهم ، ما داموا يأبون الا الموت ...
فالى الجدار ...

وتقدم الفرسان الاربعة من الجدار المتداعي وانضم اليهم غريمو
واسندوا فوهات بنادقهم اليه ، وراحوا يدفعونه بشدة واذا
بالجدار ينفصل عن قاعدته ويتمايل ، ثم يهوى الى الخندق محدثاً دويماً
رهيباً ، اختلط باصوات الذعر التي تعالت من افواه الجنود ،
واعقبها انين الجرحى وحشيرة المنضرين ..

فغمغم آتوس بصوت خافت :

... اعتقد اننا اجهزنا عليهم جميعاً .

فصاح بورتوس من الطرف الآخر يقول :

... هناك ثلاثة اشخاص استطاعوا النجاة .

وفي الواقع تمكن اربعة من الجنود من الخلاص ، واركبوا
الى الفرار في حالة ذعر وخوف متجهين نحو مدينة لاروشيل .
وتناول آتوس ساعته وقال :

- لقد مضى على وجودنا داخل هذا الحصن ساعة كاملة ، وبذلك نكون قد كسبنا الرهان ... وعلينا قبل العودة الى المعسكر ان نستمع الى فكرة دارتنيان .

فقال دارتنيان :

- ما رأيكم في السفر مرة ثانية الى انكلترا ، لمقابلة الدوق دي بوكينغهام ؟

اجابه آتوس :

- لن تقدم على هذه الخماقة ...

- ولماذا .. الم اذهب في الماضي الى انكلترا ؟

اجابه آتوس بهرود :

- لقد تبدلت الظروف ، فنحن الآن في حالة حرب مع الانكليز ، وكان الدوق في ذاك الحين حليفاً لنا وليس عدواً .. اما في الظروف الحاضرة فكل محاولة من هذا القبيل تعتبر خيانة .

فأدرك دارتنيان خطورة مجازفته ، ففضل السكوت .

فتمدخل اراميس الذي ظل صامتاً وقال :

- لدي فكرة قد تكون صائبة ، وهي ان نطلع الملكة على ما

نعرفه من امور خطيرة ..

فهتف آتوس :

- نطلع الملكة .. ولكن كيف يتسنى لنا ذلك وليس لنا

علاقات وثيقة بالبلاط .

قال اراميس وقد تضرع وجهه بالاحمرار :

- انا اتعهد بايصال الرسالة الى الملكة بطريقة مضمونة ، فاني
اعرف في مدينة تورس شخصاً مأموئاً ..
وتوقف اراميس عن الكلام وهو يرى ابتسامة ذات مغزى
توتسم على شفقي آتوس .
فقال دارتنيان مستفهما :

- ألا توافق يا آتوس على هذه الفكرة؟

- لست اعارض هذه الفكرة ، ولكنني اريد ان أبدي ملاحظة
هامية لأراميس ، بانه ليس بإمكانه ان يغادر المعسكر ، اما اذا
اراد الاعتماد على رسول من قبله ليوافده الى تورس ، فمعناه ان
جميع الابطاء الكبوشيين ، ورهبان الاديرة الذين ينتمون للكردينال
سينقلون نص الرسالة الى ثيافته مجذافيرها قبل ان تصل الى مرسلها
في تورس ، وتنتهي هذه المهزلة باللقاء القبض عليه وعلى الشخص
الذي يعتمد عليه في تورس .

وفي هذه الاثناء قال آتوس :

- يخيل لي اني اسمع صوت النفير العام ، صادرآ عن معسكر
الاعداء ...

فارهدف الرفاق الاربعة السمع ، فترامى الى مسامعهم صوت
قرع الطبول واضحة جليلة .
فاردف آتوس يقول :

- سترون انهم سيهجدون ضدنا فرقة بكاملها .
وقال دارتنيان :

- اظن ان صوت الطبول يقترب منا .

اجابه آتوس :

- دعهم يقتربون فلدينا متسع من الوقت ، لننجو بانفسنا ،
ونخرج سالمين ..

ثم التفت الى دارتنيان يسأله :

- ما اسم شقيق زوج تلك الماكرة « ميلادي » ؟
- اللورد دي ونتو .
- واين هو الان ؟

- لقد عاد الى لندره في اليوم الذي نشبت فيه الحرب .
- حسناً ، فهو الرجل الذي نحتاج اليه لتنفيذ خطتنا ، وعلينا
أولاً ان نعلمه بان زوجة شقيقه المتوفي تنوي اغتيال احد كبار
النبلاء الانكليز ونطلب اليه ان يراقبها مراقبة شديدة . ولا تخلو
لندره من بعض المؤسسات الخاصة بالفتيات التائبات ، باستطاعة
اللورد ان يحجز ميلادي باحداها وبذلك نأمن شرها نهائياً .
فقال اراميس :

- وارى من الافضل ان نبليغ الملكة واللورد دي ونتو في
وقت واحد .

فقال دارتنيان :

- ومن سيتولى نقل الرسالتين الى تورس والى لندره ؟
فاجابه اراميس :
- أما رسالة تورس فاعتمد على خادمي بازان في ايصالها .
- وانا على خادمي بلانشيه لايصال الرسالة الى لندره .
فقال بورتوس :

- اذا كنا لا نستطيع مغادرة المعسكر ، فليس ما يمنع خدمنا
من القيام بهذه المهمة .
فقال اراميس :
- فعلينا من اليوم ان نحرر الرسالتين ونزود الخادمين بازان
وبلانشيه بالمال اللازم لبدء رحلتها غداً .
فسأله آتوس :
- ومن اين نأتي بالمال اللازم ؟
وتبادل الرفاق الاربعة النظرات ، وعلت وجوههم سحابة
حزن ، لم تدم طويلاً ...
وصاح دارتنيان فجأة :
- حذار ايها الرفاق .. اني ارى اشباحا عديدة تتحرك نحونا .
أعتقد ان هناك جيشاً برمه يزحف .
ورمى آتوس بنظره وقال :
- حقاً انهم يزحفون بسرعة فائقة .
ثم التفت الى خادمه غريمو وسأله :
- هل نفذت ما طلبته منك ؟
فهز غريمو رأسه مشيراً الى دزينة من جثث الموتى انتصبت
وفي ايديها البنادق بشكل يخيل للناظرين من بعيد انها جنود
متأهبون للقتال .
فقال آتوس :
- احسنت صنعاً يا غريمو ، لقد قمت بعمل تستحق عليه الثناء .
فقال بورتوس :

- لم افهم الغاية من هذا العمل كله !
 فاجابه دارتنيان :
 - مستقيم فيما بعد ، والآن هيا بنا لنبرح الحصن .
 واسرع الرفاق في مغادرة الحصن وكان الحُادم غريمو قد
 سبقهم الى الخروج يحمل سلته الفارغة . وما كادوا يسيرون
 بضع خطوات حتى صاح آتوس :
 - لقد نسينا انزال الراية ايها الرفاق . . ومن العار علينا
 ان نترك علمنا بيد اعدائنا ، ولو لم يكن في الواقع سوى مندبل
 ابيض .
 وهرول مسرعاً الى قمة الحصن ، وانتزع العلم من مكانه ،
 ولوّح به بحياء رفاقه في المعسكر . وفي تلك اللحظة كان جنود
 لاروشيل قد اقتربوا من الحصن ، وانطلقت ثلاث رصاصات
 اصابت العلم الابيض . . .
 وتعال الصيحات من رفاقه :
 - انزل . . . انج بنفسك . .
 فهبط قمة الحصن بخطى ثابتة ، غير عابىء بما يحدق به من
 أخطار .
 وما ان ابتعد الرفاق الاربعة عن الحصن ، حتى تجاوزت
 اصداء الطلقات النارية تنهمر على الحصن بكثرة هائلة .
 فصاح بورتوس متعجباً :
 - ولكن على من يطلقون النار ؟
 اجابه آتوس :

- انهم يطلقونها على جثث القتلى التي تركناها منتصبة وبايديها
البنادق .

وما ان ابصر الجنود الفرنسيون رفاقهم الاربعة عائدين وهم
يسيرون بخطى ثابتة ، حتى تعالت اصواتهم بالهتاف ودوت اكفهم
بالتصفيق الحاد .

وكان جنود لاروشيل قد وصلوا الى الحصن وادركوا الحيلة
التي عمد اليها آتوس ، فازدادت نفقتهم وراحوا يطلقون الرصاص
على غير هدى في اثر الفرسان الاربعة .

وهنا التفت آتوس الى رفاقه وقال :

- يا لهم من جنود لا يحسنون اصابة الهدف . . لقد قتلنا
منهم اثني عشر رجلاً بالرصاص ، ولم نصب بجرح بسيط . . .
وحانت من آتوس التفاتة الى يد دارتنيان ، فوجد نقطة دم
متجمدة فسأله :

- هل اصابك رصاص العدو؟

اجابه دارتنيان :

- كلا . . انه خدش بسيط نتج عن احتكاك فص الخاتم الماسي
ياصبعي بينما كنا ندفع الجدار المتداعي .

فصاح بورتوس :

- ان هذا الخاتم الماسي ، يحل ازمة المال التي نعانيها . . .
وعلينا ان نباع الخاتم لنحصل على المال اللازم لتنفيذ ما اتفقنا عليه .

فبادره دارتنيان يقول :

- ولكن هذا الخاتم هو هدية من الملكة .

فاجابه آتوس :

- هذا لا يمنع ، فنعن سنستخدم نحن الخاتم لانقاذ الدوق دي
بوكنغهام عشيق الملكة .

فقال دارتنيان دون تردد :

- اذن فلنبيع الخاتم .

وكانوا قد اقتربوا من المعسكر فقال آتوس :

- لا تزيدوا كلمة واحدة على ما اتفقنا عليه ، ولنلتزم الصمت
المطبق .

وقطع عليه الكلام اصوات الهتافات ، فقد كان المعسكر
يضج بمئات الجنود والفرسان الذين تجمهروا للترحيب بالفرسان
الاربعة . ودوت الهتافات من كل جانب ليحيى
الفرسان . . . وكان أول المرحبين بهم الجنود الاربعة
كما امتدت مئات الايدي بالمصافحة والعناق .

واشتد الضجيج والحماس لدرجة ان الكردينال نفسه ارسل
قائد حرسه يستطلع جليلة الامر ، وخشي أن يكون الشقاق قد
دب بين افراد الجيش .

وعاد القائد لاهودينيير بعد أن استوضح الامر ، ليعلم نيافته
بالخبر اليقين .

فسأله الكردينال :

- وهل عرفت اسماء هؤلاء الفرسان ؟

- اجل يا مولاي انهم : آتوس ، بورتوس ، اراميس
ودارتنيان .

فتتم الكردينال وكأنه يحدث نفسه :
 — دائماً هؤلاء الفرسان الذين يقومون بأعمال المطولة . ولذا
 يجب ان ألحقهم بخدمتي .
 وفي المساء تحدث نيافته مع القائد دي تريفيل ، وأثنى على شجاعة
 فرسانه . وكان دي تريفيل قد سمع تفاصيل المغامرة منهم ، فراح
 يسردها على الكردينال ، دون ان ينسى اسطورة الراية الطريفة .
 فأجابه الكردينال :
 — اعطني هذه الراية ، وسأعيد لها التبريز بثلاث زناجب
 فتجعل منها شعاراً لفرقتك .
 فقال دي تريفيل :
 — ولكن هذا العمل يعتبر اجتهافاً بحق رجال الحرس ، لان
 دارتنيان ينتمي الى فرقة حرس القائد دي زيسار .
 — اذن يمكنك ان تلحقه بفرقتك في الحال ، اذ من المفروض
 ان يكون الفرسان الاربعة ضمن فرقة واحدة .
 وفي المساء نفسه ارسل دي تريفيل في طلب الرفاق الاربعة ،
 وزف اليهم بشرى انضمام دارتنيان الى فرقتهم ، ثم دعاهم الى
 وليمة غداء في اليوم التالي .
 وغمر الفرح قلب دارتنيان ، فقد تحقق حلمه واصبح
 فارساً يشار اليه بالبنان من فرقة فرسان الملك .
 وبعد ان تلقى البشرى من القائد دي تريفيل ، توجه لتوجه الى
 قائده السابق دي زيسار ليقدم شكره ، ويبلغه نبأ انتقاله الى فرقة
 فرسان الملك .

وحاول القائد دي زيسار ،الذي كان يحب دارتنيان ويعجب بشجاعته ان يثنيه عن عزمه ،فاعتذر فارسنا الشاب بانه لاعتبارات خاصة مضطر للملازمة رفاقه الثلاثة ، ثم رجا قائده ان يتولى بيع الخاتم الماسي ليتمكن من شراء لباس ومعدات جديدة تلبيق بالفروسان .

وفي اليوم التالي حضر خادم القائد دي زيسار وسلم دارتنيان كيساً يحتوي على سبعة آلاف دينار ، هي ثمن الخاتم الماسي الذي اهدته اليه الملكة .

٤٨

مشاكل عائلية



وكان كل من الفرسان الاربعة يبحث عن حل للمشكلة التي تشغل بالهم ، وهي وضع حد نهائي لاعمال ميلادي الشريرة . فوجد آتوس ان القضية هي مشكلة عائلية بالنسبة له ، وعليه ان يتولى وحده معالجتها . اما اراميس فقد اقترح الاستعانة بالخدم لتسوية هذه المشكلة . ووجد بورتوس ان بيع الخاتم الماسي يحل المشكلة . وحاول دارننيان ان يجد وسيلة لهذه المشكلة فلم يفلح ، ولكن يجب الاعتراف ان مجرد ذكر اسم ميلادي كان يشغل تفكيره وكان كل ما عمله ان باع خاتمه الماسي ، ليستعين بثمنه على تنفيذ الخطة .

وكانت وليمة القائد دي تريفيل موفقة جداً ، فقد استقبل دي تريفيل فرسانه ببشاشة وترحاب ، لم يتعودوها منه اثناء قيامهم

بالوظيفة . وبرز الفرسان الاربعة منزل قائدهم وهم أشد اخلاصاً
وحباً له منهم في اي وقت مضى .
وكان دارتنيان يرتدي زي الفرسان ، فقد استعار بذلة جديدة
من رفيقه اراميس تناسب قامته .
وكان الرفاق الاربعة قد تواعدوا على اللقاء في مسكن آتوس
لبحث مشكلتهم الرئيسية ، ويجدوا الحل النهائي لها .
وكان موضوع البحث والمناقشة بينهم منهصراً في الشخصين
الصالحين لنقل الرسالتين الاولى الى اللورد ونتر في انكلترا والثانية
الى تورس .

واحتدم النقاش بينهم على هذه النقطة ، فقد اصر كل من
الفرسان الاربعة على اسناد هذه المهمة الى خادمه ، مؤكداً انه
يتحلى بمميزات تجعله جديراً بالقيام بمثل هذا العمل .
ورأى اراميس ان الوقت يمضي والنقاش يتشعب فقال :
- صبراً ايها الرفاق ، فليس المهم ان نعرف اي الاربعة اكثر
تكتماً واصلب عوداً ، بل المهم ان نعلم ايهم اشد غراماً بالحررة
والنساء .

فاجابه آتوس وقد طرب لهذا الاستنتاج المعقول :
- اصبت يا اراميس فقولك لا يخلو من ذكاء وحكمة ،
فمن الضروري ان نحكم على الاشخاص بنسبة نقائصهم لا بنسبة
فضائلهم .

فتدخل اراميس ليغير مجرى الحديث وقال :
- اما فيما يختص بالرسالة المنوي ارسالها الى اللورد دي ونتر

فاقترح ان تكون باسم دارنزيان باعتباره صديقه على ان تكون على الشكل التالي :

« سيدي الدوق .

ان الشخص الذي يكتب اليك هذه السطور ، قد اسعده الحظ بان يتشرف سيفه بمعانقة سيفك في مبارزة جرت منذ مدة في قلب باريس .

ولما كان الحظ قد خدمه فقبلته صديقا لك فقد اصبح من واجبه كصديق مخلص ان يطلعك على شؤون خطيرة تتعلق بك . لقد اوشكت ، في مرتين متواليتين ان تذهب ضحية بريئة لقريبة لك ، طمعاً بالامتلاء على ثروتك ، ذلك ان تلك القرية ، قبل ان ترتبط بروابط الزواج في انكاثوا مع اخيك المتوفي ، كانت متزوجة في فرنسا ، وزوجها ما يزال على قيد الحياة حتى الان . وقد قصدت منذ ايام الى انكاثوا للقيام بمحاولة مجرمة ، وعليك بأن تراقبها مراقبة دقيقة ، لان في رأسها مشاريع خفية . واذا شئت ان تعرف معرفة حقيقية اعمالها ، فاقرأ ماضيها المظلم على كتفها اليسرى . »

فقال آنوس :

« احسنت يا اراميس ، ليس بالامكان الاتيان بعبارات ابليغ من هذه في الموضوع الدقيق الذي نعالجه . واذا قدر له هذا الكتاب ان يصل الى اللورد دي ونتر ، فانه سيتخذ التدابير اللازمة لاحباط اعمال ميلادي ومشاريعها الآتية ، وليس لدينا ما نخشاه اذا وقع الكتاب في يدي الكردينال ، فهو لا يتضمن اشارة

صريحة الى حدث معين ، وليس فيه ذكر لشخص من الاشخاص ،
كما انه لا يحمل في ذيله اي توقيع . ثم التفت الى دارتنيان
وأردف يقول :

- والآن اين الخاتم الماسي ؟

اجابه دارتنيان :

- لقد بعته والمبلغ الآن في جيبى .

فسأله آتوس :

- وبكم بعته ؟

- بسبعة الاف قطعة تساوي كل قطعة منها اثني عشر فرنكاً .

فصاح بورتوس مندهشاً :

- يا الهي .. هل يساوي ذلك الخاتم العادي سبعة آلاف

دينار ؟ ..

فهتف آتوس جذلاً :

- يمكن بهذا المبلغ الضخم ان نجترح العجائب .

والنتف الى اراميس وأردف يقول :

- والان عليك ان تسطر رسالة اخرى الى تلك السيدة العظيمة

الموجودة في مدينة تورس ، لتتولى ابلاغ الملكة في باريس .

فتناول اراميس القلم مرة اخرى ، وراح يفكر بعض الوقت

ثم كتب الرسالة التالية :

« عزيزتي ابنة العم !

فعلق آتوس على هذه العبارة بلهجة ساخرة قائلاً :

- اذن فهذه السيدة تتصل بك بصلة القرابة ؟

اجاب اراميس متجاهلاً غزوة آتوس :

« انها احدى قريباتي ..

ثم تابع تسطير الرسالة ..

« ان نياقة الكردينال حفظه الله ، من اجل سعادة فرنسا ،
وخزياً لاعداها ، قد اوشك على الانتهاء من امر الهراطقة المتمردين
ومن المرجح ان الامدادات التي يتربها الثوار من الاسطول
الانكليزي لن تصل اليهم ، كما اني استطيع ان اؤكد لك ان
الدوق دي بوكنغهام لن يتمكن من قيادة الاسطول بسبب
حادث خطير سيقع له . ولا ريب ان نيافته سياسي عظيم ، بل هو
امهر الساسة الذين عرفتهم العصور الماضية والحاضرة ، فهو لا يتأخر
عن اطفاء نور الشمس اذا وجد من الشمس اي ازعاج او مضايقة ...
لا تنسي ان تنقلي هذه الاخبار السارة الى شقيقتك العزيزة .. لقد
رأيت في المنام ان ذلك الانكليزي اللعين قد لقي حقه ، لكنني
لم اعد اذكر باية صورة كان ذلك ، اهو بالرصاص ام بالسهم ؟
والشيء الوحيد الذي اذكره ، هو انني رأيت يموت ، وانت تعلمين
ان احلامي لا تخطيء ابداً .

والى اللقاء في القريب العاجل . »

فصاح آتوس باعجاب :

« لقد ابدعت يا اراميس ، فانت ملك الشعر والبيان .

فقابل اراميس ثناء صديقه آتوس بابتسامة رضى ، وطوى

الرسالة وختمها ثم كتب عليها العنوان التالي :

« الى الانسة ميشون ، غسالة في تورس ،

فتبادل الرفاق الثلاثة النظرات والابتسامات ذات المعنى .

فتجاهل اراميس نظراتهم وقال :

- لا حاجة لان اذكركم بان خادمي بازان هو الشخص الوحيد الذي يمكنه حمل هذه الرسالة الى تورس ، وايصالها الى صاحبها ، لان ابنة عمي لا تعرف سواه رسولاً من قبلي ولا تثق بغيره .

فقال دارتنيان :

- لست اعارض ذلك ، شريطة ان توافقوا على ايفاد خادمي بلانشيه ليحمل رسالة اللورد دي ونتر ، فهو خير من قام بمثل هذه المهمة .

فقال آتوس :

- علينا ان نعطي بلانشيه ألفاً وأربعمائة دينار نفقات رحلته ذهاباً واياباً ، وننقد بازان مبلغ ستماية دينار نفقات رحلته ، وبذلك يبقى لدينا مبلغ خمسة الاف دينار ، فأقترح ان يأخذ كل منا الف دينار ، لينفقها في سبيل المصلحة المشتركة . اما الالف دينار الباقية فنسألها الى الكاهن اراميس ليدخرها لحين الحاجة القصوى ..

فقال اراميس :

- انك يا عزيزي آتوس تتكلم كرجل عاقل ، عركه الدهر وحشكتة الايام .

واستدعى دارتنيان خادمه بلانشيه وزوده بالتعليقات الوافية عن المهمة التي سيقوم بها ، وخاطبه بقوله :

- لقد حددنا ثمانية ايام لوصولك الى لندوه وثمانية ايام أخرى لعودتك الى هنا ، وعليك ان تعود الينا عند الساعة الثامنة من مساء اليوم السادس عشر ، واذا وصلت متأخراً ساعة واحدة تخسر المكافأة ..

فقال بلانشيه لسيده :

- ارجو ان تزودني بساعة لاستعين بها .

فمد آتوس يده الى جيبه وتناول ساعته الخاصة وناولها الى بلانشيه قائلاً :

- دونك هذه الساعة ، وكن يقظاً وحكيماً يا بلانشيه واذكر انك اذا تلفظت بكلمة مما تعلم فقد يؤدي ذلك الى هلاك سيدك ، الذي يثق بك ثقة عمياء ويعطف عليك .

فقال بلانشيه :

- كن مطمئناً يا سيدي ، فبدأ كون عند حسن ظنكم جميعاً . وحدد الفرسان الاربعة موعد سفر بلانشيه في الساعة الثامنة من صباح غد ، وذلك ليتسنى له ان يحفظ الرسالة عن ظهر قلب .

ولما حان موعد السفر انفر دهارتنيان بخادمه بلانشيه وقال له :

- اسمع يا بلانشيه ، عندما ينتهي اللورد دي ونتر من تلاوة الرسالة قل له هذه العبارة :

« يجب ان تسهر على حياة اللورد دي بوكنفهام .. لان هناك من يسعى لاغتياله .. »

واضاف دارتنيان يقول :

- واذا كر يا بلانشيه ان ما صارحتك به من الخطورة بكان .
والان سر ولترافتك السلامة .

وفي صبيحة اليوم التالي لسفر بلانشيه ، عهد الى بازان بايصال
الرسالة الثانية الى صاحبها في تورس ، وكان عليه ان يعود بعد
ثمانية ايام .

وفي صباح اليوم الثامن ، بينما كان الرفاق الاربعة يتناولون
طعام الافطار في حانة « بار بابو » اذ دخل عليهم بازان مشرق
الوجه ، وبعد ان حيا الفرسان ، اسرع الى سيده اراميس وسلمه
رسالة وهو يقول بصوت مرتفع :

- اليك يا سيدي جواب ابنة عمك ..
وتبادل الفرسان الاربعة نظرات الارتياح والغبطة ، اذ تحقق
الشرط الاول من خططهم دون مشقة .
وتناول اراميس الرسالة وكانت معنونة بخط رديء ، وقال
ضاحكاً :

- هذه المسكينة « ميشون » لن توفى يوماً الى اجادة الكتابة .
وقرأ اراميس مضمون الرسالة بعجلة كلية وناولها الى آتوس
الذي ألقى نظرة عامة على الرسالة ثم بدأ يتلوها بصوت مرتفع :
« ابن عمي ، لا اظنك نسيت اني وشقيقي يمكننا تأويل
الاحلام على حقيقتها ..

اما حلمك الذي اشرت اليه ... فيمكن القول ان لا اهمية له .
وداعاً وارجو لك صحة جيدة ، ولا تنس ان نوافينا باخبارك

من وقت لآخر . ابنة عمك

اغليا ميشون ،

ولما انتهى آتوس من تلاوة الرسالة ، التفت احد الجنود
السويسريين الى اراميس سائلاً :

- وعن اي حلم تتحدث ابنة عمك ؟

فأسرع اراميس بالجواب قائلاً :

- ليس في الامر ما يستحق الذكر ، فقد رأيت حاملاً مزعجاً في
احدى اللبالي ، وقصصته عليها في رسالتي .

وكان بازان في هذه الاثناء قد اخترش كومة من القش ملقاة
في زاوية الحانة واستسلم للرقاد ... ورأى في الحلم ان سيده
اراميس قد اصبحت « بابا » ، وانه ألبسه قبعة الكردينية .

وراح الرفاق الاربعة يعدون الايام ساعة ساعة ، ينتظرون
بفارغ الصبر عودة بلانشيه من رحلته الطويلة المحفوفة بالاعطال .
وكان دارتنيان اكثر الرفاق قلقاً ونفاد صبر ولم يكن بورتوس
واراميس ليقلان عنه تخوفاً وقلقاً .

اما آتوس فكان الوحيد الذي ظل محتفظاً بهدوئه ومتانته
أعصابه .

وفي اليوم السادس عشر ، وهو اليوم المحدد لعودة بلانشيه من
رحلته ، خرج دارتنيان ، وهو في حالة قلق شديد ، يتمشى في الطريق
التي يسلكها خادمه في عودته ، ولحق به رفيقه بورتوس واراميس
اما آتوس فقد وصل متأخراً وراح ينحني على رفاقه باللائمة
لاضطرابهم وقلقهم .

واقترح عليهم قضاء السهرة في حانة « بار بابو » بانتظار عودة بلانشيه عند الساعة الثامنة مساءً ، فوافق الفرسان الثلاثة ، وبما روا في اثر آتوس الى تلك الحانة .

وراح الرفاق الاربعة يقطعون الوقت في لعب الورق وشرب النبيذ المعتق .

وعندما دقت الساعة السابعة والنصف مال دارتنيان على اذن صديقه آتوس وقال :

- لقد هلكنا ... اذ لم يبق على موعد عودة بلانشيه سوى نصف ساعة فقط !

فاجابه آتوس بلهجة هادئة :

- تريد ان تقول اننا خسرنا ...

ثم نهض من مقعده وخاطب رفاقه بقوله :

- لقد حان وقت العودة الى المعسكر ، فهيا بنا ايها الرفاق .

وخرج من الحانة متأبطاً ذراع دارتنيان ، يتبعهما بورتوس

واراميس .

وفي اللحظة التي كان الرفاق الاربعة يقتربون من المعسكر ،

لاحظ دارتنيان شبح رجل يقترب منهم في الظلام ، فخفق قلبه

بشدة ، اذ عرف في الحال ان هذا الشبح هو خادمه بلانشيه ، وزال

لدبه كل شك ، عندما تجاوب في اذنيه صوت بلانشيه بالكلمات يناديه

قائلاً :

- لقد احضرت لك يا سيدي معطفك ، مخافة ان تؤذيك

برودة الجو .

ف هاتف دارتنيان بفرح :

- بلانشيه !

وردد الرفاق الثلاثة هذه الكلمة بصوت واحد .

وقال آتوس بلمهجة الهادئة :

- انه بلانشيه ، وما موضع الغرابة بذلك ! لقد وعدنا بان يعود في الساعة الثامنة تماماً من هذا المساء ، وقد وفى بوعده . مرحب يا بلانشيه فانت رجل تحترم كلمتك وتنفذها .. واذا قضت الظروف بان تعزّل خدمة سيدك دارتنيان ، فانا احتفظ بمكان لك في خدمتي .

فاجابه بلانشيه :

- لن اترك خدمة سيدي دارتنيان ابداً ...

وشعر دارتنيان ان خادمه يدس بيده اوراقاً صغيرة ، فأحس بنشوة من الغبطة والارتياح ، فقد بات على يقين من ان خادمه قد نجح بمهمته . واسرع الفرسان الاربعة الى خيمتهم ، واسعلوا المصباح ، ووقف بلانشيه على باب الخيمة يراقب الطريق لئلا يفاجأ الرفاق ابان انصرافهم الى الاطلاع على الرسالة . وفض دارتنيان الغلاف وقرأ مضمون الرسالة فاذا بها تتضمن هذه العبارة القصيرة مكتوبة باللغة الانكليزية وهذه هي :

« اشكرك ... كن مطمئناً ... »

وانتزع آتوس الرسالة من يد صديقه دارتنيان وادناها من لهيب المصباح وفي لحظات قليلة اصبحت رماداً وبعد ذلك نادى بلانشيه وقال :

- لقد بات من حقك ان تطالب بالمبلغ المتأخر لك وقدره
ستمائة دينار ، مع انك لم تتعرض لاي خطر يذكر في عودتك
الينا حاملا هذه الرقعة الصغيرة .

فاجابه بلانشيه :

... أود أن اذكر لك يا سيدي انني لست مسؤولاً عن الايجاز
الذي تضمنته الرسالة .

فقال دارتنيان :

- والآن اسرد علينا ما جرى لك بالتفصيل .

اجاب بلانشيه :

... انه حديث طويل يا سيدي .

فقال آتوس :

... الافضل ارجاء ذلك الى فرصة اخرى ، وبما ان موعد
اللقاء الانوار في المعسكر قد حان ، فعلينا ان نأوى الى الرقاد
ونطفىء النور لنلا نثير الشبهات حولنا .

فقال بلانشيه :

... أو كذ لك يا سيدي انها المرة الاولى التي انام فيها ملء
جفني منذ ستة عشر يوماً .

فقال دارتنيان :

... وانا ايضاً !

وردد بورتوس واداميس نفس العبارة

وقال آتوس :

... انني اعترف لكم بانني لم اكن اسعد حظاً منكم ! ..

٤٩

تشاؤم !



ولنعد الى ميلادي التي تركناها تبهر على ظهر سفينة الى انكلترا ، لتنفيذ الخطة التي وعدت الكردينال بتحقيقها .
كانت على ظهر السفينة في اشد حالات الهياج والحنق ، وحدّثتها نفسها اكثر من مرة ان ترمي بنفسها في البحر لتعود الى الشاطئ الفرنسي لتشار لنفسها من دارتنيان الذي اهانها وآتوس الذي هدهدا ...

وشاءت الاقدار معا كستها هذه المرة ، فهبت ريح مضادة جعلت السفينة تبطىء في سيوها خشية العواصف والانواء .
واخيراً وبعد مرور تسعة ايام ، وصلت السفينة الى مرفأ بور تسموث الانكليزي . . . وعلى ظهرها ميلادي التي كانت في حالة يرثى لها من الاعياء والقلق . . . وكان وصولها في اليوم نفسه الذي غادر فيه بلانشيه المرفأ عائداً الى فرنسا ، بعد ان قام

بالمهمة التي كلفه بها سيده خير قيام .
 وكان مرفأ بورسموث في ذلك اليوم يعج بألاف الجنود والبحارة
 جاءوا يحتفلون بانزال ثلاث قطع حربية جديدة الى البحر ، وكان
 اللورد دي بوكنغهام يتوأس هذا الاحتفال العسكري ، بوصفه
 قائداً اعلى للقوات الانكليزية .
 ووقفت اللادي كلاريك على حافة السفينة ، تشاهد الاحتفال ،
 وترمق الدوق بنظرات حقد وضعفة .
 وبينما كان بحارة السفينة يعدون العدة لدخول حوض المرفأ
 والقاء المرساة ، اذبحركب انكليزي مسلح يقرب مسرعاً من
 السفينة ويسد عليها طريق الدخول .
 وألقى بحارة المركب المسلح قارباً الى البحر ، يحمل ضابطاً
 بحرياً وبرفقته ثمانية بحارة ، ولم يلبث ان اقترب من السفينة ،
 وصعد الضابط مع رجاله الثمانية الى ظهر السفينة .
 وانفرد الضابط بالقبطان بعض الوقت ، واخرج من جيبه
 بعض الاوراق الرسمية ، وبعد ان أطلعها عليها امره بان ينادي
 جميع البحارة والمسافرين على السفينة . ولما حضر الجميع راح الضابط
 يتفحص وجوه المسافرين والبحارة بدقة وامعان ، ومن ثم توقف
 طويلاً امام ميلادي وشرع يصعدا بنظراته الشاقبة ، دون ان
 يوجه اليها اية كلمة ... وبينما كان الضابط منصرفاً الى التدقيق
 بوجهها وملامحها ، كانت هي بدورها ، تلتهمه بنظراتها التهاماً
 محاولة ان تنفذ الى اعماق صدره .
 وعاد الضابط الانكليزي الى قبطان السفينة ووجه اليه بعض

الاسئلة ، ومن ثم امره بان يتجه بسفينته الى داخل الميناء ، بينما راح المركب المسلح يواكبها حتى اصبحت داخل الميناء .
وعندما القت السفينة مراسمتها ، كان الظلام قد بدأ ينشر ظلاله على المرفأ ، وامر الضابط احد رجاله بان يحمل امثلة ميلادي الى الزورق ، ثم اقترب منها ، وقدم اليها ذراعه يدعوها الى النزول ، فترددت في قبول الدعوة وسألته في صوت متهدج :
- من أنت ايها السيد ؟

فأجابها ببرود :

- اني ضابط في البحرية الانكليزية يا سيدتي ...
- وهل من عادة ضباط البحرية الانكليزية ان يضعوا انفسهم تحت تصرف بنات وطنهم عند وصولهن لمساعدتهن على النزول الى اليابسة ؟

- اجل يا سيدتي ... فهي عادة نلجأ اليها في وقت الحرب ، بان نضع الاجانب في معسكر خاص ، لمراقبة تصرفاتهم ونشاطهم .
فأجابته ميلادي :

- ولكنني لست اجنبية ايها الضابط ، لتطبق علي هذه القاعدة ، فأنا ادعى اللادي كلاريك و ...
فقاطعها الضابط بلمهجة جافة :

- انها قاعدة عامة ايها السيدة ، ومن العبث ان تهربي منها .
- حسناً فأنا سأتبعك يا سيدي الضابط !

واسرعت بالنزول الى الزورق الذي يقف في محاذة السفينة ، وتبعها على الاثر الضابط ولما استقرا في جوف الزورق ، اصدر

اوامره الى البحارة بالتجذيف وفي دقائق معدودة وصل الزورق الى رصيف الميناء ، فوثب الضابط الى الياسة ، وقدم يده لميلادي يساعدها على الصعود .

وكانت هناك عربية تنتظر ، فسألت ميلادي :

- هل هذه العربية لنا ؟

- نعم يا سيدي .

- اذن فمعنى ذلك ان المكان الذي سنقصده بعيداً ..

- هو في الطرف الآخر من البلدة .

- هيا بنا ايها الضابط .

قالت ذلك واسرعت تدخل العربية ، وبعد ان اشرف على حزم امتهتها . عاد وجلس الى جانبها في العربية ، التي انطلقت . ولما رأت ميلادي ان رفيقها الضابط معتصماً بالصمت التام ، ولم تلمس منه اية رغبة في الدخول معها في الحديث ، قبعت بدورها في زاوية من العربية ، واسترسلت في افكارها وتخيلاتهما .

ومضت ربع ساعة والعربية ما تزال تسير دون توقف ، وبدأت الهواجس والخاوف تتنازع ميلادي ، فاطلت برأسها من النافذة لترى الى اين تقصد العربية ، وسرت في جسدها قشعريرة الرعب . والتفتت الى مرافقها الضابط وقالت :

- ارى اننا خرجنا من المدينة واصبحنا نسير وسط الحقول ،

خالى اين نحن ذاهبون ؟

ونجاها الضابط الشاب سؤالها .

فقال بلمهجة التهديد :

- اذا لم تعلمني عن المكان الذي تقودني اليه ، فاني لن اتابع السير معك .

الا ان هذا التهديد لم يكن له اي اثر ، فقد ظل الضابط معتصماً بالصمت .

وصاحت ميلادي بلهجة حارقة :

- هذا لا يطاق .. النجدة .. النجدة ..

واخذتها ثورة من الهياج والغضب الشديد وكانت عيناها تلمعان في ذلك الظلام بيروق غريب .. واندفعت الى باب العربية تحاول فتحه لتلقي بنفسها الى الارض .

فقال لها الضابط ببرود :

- حذار ايها السيدة ، اذا حاولت القفز من العربية تحكمين على نفسك بالهلاك .

فانكفأت ميلادي الى داخل العربية ، وتمسكت على المقعد تحاول ان تسترد انفاسها وتسيطر على اعصابها ، فقد ادركت بعد فوات الاوان انها خرجت عن حدود التعقل واستسلمت لعواطفها الشائرة ، وظهرت امام ذلك الضابط بمظهر المرأة الخيفة . ولما عادت الى هدوئها الطبيعي قالت بصوت متهدج محاولة ان تستدر عطف الضابط :

- بحق السماء قل لي ايها السيد من الذي امر بمعاملي هذه المعاملة السيئة ؟

فاجابها الضابط :

- لم نحاول معاملتك بخشونة ايها السيدة ... والذي حدث

لك لا يخرج عن كونه تديراً ضرورياً نظراً الى اتخاذه مع كل الذين تطأ اقدامهم الاراضي الانكليزية في هذه الايام .
وعاد الصمت يخيم مرة ثانية على العربة ، وبعد مسيرة ساعة ، توقفت العربة امام حاجز من الحديد يحيط بحديقة واسعة الاطراف قام في وسطها قصر شامخ .

واسرع الضابط بالنزول من العربة ، وتناول ذراع ميلادي ليساعدها على النزول ، ثم اخرج من جيبه صفارة من فضة ، نفخ فيها ثلاث مرات . . فبرز في الحال عدد من الرجال احاطوا بالضابط ومرافقيه ، وهنا التفت الضابط الى ميلادي بكل احترام ودعاها الى دخول المنزل ، فمدت يدها تتأبط ذراعه ، والابتسامة المصطنعة لا تفارق شفاهها ، ودخلت بخطوات ثابتة . وقادها الضابط الى رواق طويل خفيف الازياء ، انتهى بهما الى باب مصنوع من خشب متين ، فتوقف الضابط امامه ، واخرج من جيبه مفتاحاً ، ففتح به الباب ، فكشف عن حجرة واسعة الاطراف ، حسنة الاثاث ، فادركت ميلادي ان هذه الحجرة ستكون سجنها ، فالتفتت الى الضابط الشاب تسأله :

- ارجوك ايها الضابط الشاب ان تكون اكثر صراحة ، فتعلمني اين انا الآن ؟ واذا كنت سجيناً فلم اذا ، واي جرم ارتكبه ؟

فأجابها الضابط وهو ما يزال محتفظاً ببروده وهديره :
- انت هنا في المكان الذي حدد لاقامتك ، فقد تلقيت الاوامر بان اصحبك من الميناء الى هنا ...

وفي هذه اللحظة طرق سمع ميلادي ، صوت خطوات تقترب
منها ، وما لبث ان وقف امامها شخص عرفتة في الحال ، اذ لم
يكن سوى شقيق زوجها المتوفي اللورد ونتر ، فصاحت به :
- اذن فأنت الذي امرت بسجني في هذا القصر ؟
اجابها اللورد ببرود :
- قد يكون ظنك في محله .
فعادت تصيح بصوت متهيج :
- هذا عمل فظيع انك تحاول اخضاعني بالقوة ..
فانتهرها اللورد وقال :
- لا تستوسلي في ارسال الاتهامات ، وهيا ادخلي الغرفة
ولنتحدث بهدوء .
ثم التفت الى الضابط الشاب وقال له :
- اشكرك ايها الضابط فلنتون على تنفيذك الاوامر ، وارجو
ان تدعنا لوحدنا .

٥٠

حديث ذو شجون



واسرع اللورد ونتر اثر انصراف الضابط فلتنون الى اغلاق باب
الحجرة بالمزلاج ، ثم اخذ مقعداً وقربه من المكان الذي تجلس
فيه ارملة اخيه ، وجلس الى قربها في غير كلفة ، وبدأ حديثه بقوله :
- .. واخيراً عدت الى انكلترا ، على الرغم من تأكيدك
السابق ، عندما كنت في باريس ، بانك لن تضعي قدمك على
الاراضي الانكليزية !

فتجاهلت ميلادي سؤاله المخرج وقالت :
- ارجو ان تعلمني اولاً ، كيف تمكنت من معرفة موعد
وصولي الى مرفأ بورتسموث بالضبط ؟
فتجاهل اللورد سؤالها ايضاً وقال :
- وماذا جئت تفعلين في انكلترا ؟
اجابته بلهجة حاوت ان تجعلها رقيقة :

- جئت لاراك يا عزيزي اللورد !
- أوليس لك هدف آخر من مجيئك الى انكلترا ؟
- كلا ...
- اذن فمن اجلي وحدي ، تحملت مشقة قطع المانش ؟
- نعم ... من اجلك وحـدك ، أولست قريبتك المقربة
ايها العزيز ؟
فأجابها اللورد وهو يرمقها بنظرات ذات معنى :
- بل ووريتي الوحيدة ايضاً !
فارتعشت ميلادي لهذه العبارة ذات المغزى المعروف ...
وساورتها الشكوك بان يكون اللورد قد اطلع على ما تضمر له
من نوايا سيئة ، طمعاً بالاستيلاء على ثروته الطائلة .. وتساءلت
عن يكون الشخص الذي افشى سرها ... هل تكون وصيفتها
السابقة كاتي ؟ ام الفارس دارتنيان ؟ وتذكرت فجأة كيف قابلته
بغضب عندما جاء يري لها تفاصيل مبارزته مع اللورد واعلمها بانه
عفا عنه اكراماً لها .
وتعمدت ان تتجاهل عبارته ذات المعنى ، محاولة استدراجه
للكلام والافصاح عما يعرفه ويضمـره فقالت :
- لم افهم ما تربى اليه يا سيد اللورد ، فهل هناك معنى خفي
تنطوي عليه عبارتك الاخيرة ؟
فتصنع اللورد البساطة وقال :
- كلا يا عزيزتي ... فلقد جئت الى انكلترا لرويتي ، وها انا
اقابل رغبتك بالترحاب فأفرد لك حجيرة واسعة في قصري تليق

بك ، ومجهزة بكل ما تحتاجه سيدة انيقة مثلك ... وربما تقابلنا
كل يوم ، لاني افضي معظم ايامي في هذا القصر .
فقلت بعد تردد :

- ولكنني قد احتاج الى وصيفة تساعدني على القيام بشؤوري
الخاصة .

فاجابها اللورد :

- سيكون لك ما تطلبين ، وسأوفّر لك جميع اسباب الرفاهية
كما اعدّها لك زوجك الاول : . ولست اعني بزوجك الاول ،
اخي المرحوم ، بل زوجك الفرنسي .

فنزّلت العبارة الاخيرة عليها كالسياط اللاذعة ، وبان
الاضطراب على قسّات وجهها ، وراحت تحدج اللورد بنظرات
تجلى فيها الرعب وتمتت تقول :
- زوجي الفرنسي ؟ !

- نعم ... وهل نسيت ، فهو ما يزال حياً يرزق ، واذا
شدّت كتيبت اليه ، وهو لن يبخل عليّ بمعلوماته في هذا الشأن !
وتصّيب العرق البارد من جبّين ميلادي وانتابها الدوار ،
وكادت تهوي الى الارض من هول الصدمة العنيفة ، واجابته :
- لاشك انك تمزح ياسيدي اللورد .

فانتصب اللورد واقفاً ثم تراجع خطوة الى الوراء وقال :
- وهل يبدو عليّ اني امزح ؟

فتألّكت نفسها وهي تنشب اظافرها في المقعد الذي تجلس
عليه لفرط حنقها وقالت بلهجة متهدّجة :

- اما انك تمزح ... أو انك تتعمد اهاني !
فأجابها اللورد باشمئزاز بقوله :
- انك انت التي تتعمدين اهاني !
فانقضت ميلادي كمن لمست ناراً محرقة وقالت :
- الحقيقة انك اما مخمور او مصاب بمس من الجنون .
ثم هجمت عليه تحاول ان تنشب اظافرها بعنقه ، فوقفت
امامها مكتوف اليدين وخاطبها بلهجة ازدراء وتحدٍ :
- اعلم ان من عادتك الغدر ولكني سادافع عن نفسي وأرد
كيدك الى فخرك ، ولن تكون يدي اليد الاولى التي امتدت
لانزال العقاب الصارم بك ...
قال عبارته هذه وهو يشير بيده الى كتفها اليسرى الموسومة
بالشارة المعروفة .
ثم تابع حديثه بلهجة قاسية :
- وحذار ان تحاولي القيام بآية حركة ، لثلاث تنقلب عاقبتكها
عليك ، اذ لن اتورع عن فضح امرك واسلمك الى القضاء الذي
سيحاكمك بجريمة الزواج من رجلين ، والتغريب بشخصية انكليزية
نبيلة هي شقيقي الاكبر المرحوم اللورد ونتر . . . ولا شك ان
السجن سيكون مصيرك ، بعد ان يدمغوا كتفك الثانية بشاردة
المجرمين ! ...
وقد سعت عينا ميلادي بنظرات خفيفة ، ازعجت اللورد ، الذي
أردف يقول :
- اعلم انك تحاولين بعد ان ورثت ثروة طائلة عن اخي تقدر

بليون جنيه ، التآمر على حياتي ، طمعاً بالاستيلاء على ثروتي ايضاً
ولهذا اتخذت تدابير احتياطية للحيلولة دون تحقيق رغبتك الآتمة ..
ففي حال موتي فلن ترثي من ثروتي ملياً واحداً .
ولو لم اكن مازماً بالمحافظة على شرف اخي وذكراه بعد الموت
لما تأخرت لحظة واحدة في القائك في غياهب السجون لتموتي فيها
شر ميتة كالجيفة النتنة .
وتد اذهلت هذه الحقائق ميلادي فلم تنبس ببنت شفة ، بينما
تابع اللورد كلامه :

— وسبتعين في هذه الحجرة بضعة اسابيع ، وفي الوقت الذي
اسافر فيه مع الجيش الى لاروشيل ، سيجعلك مركب خاص
بعيداً عن هذه البلاد ، ويطرحك في احد مستعمراتنا الجنوبية ،
وسيرافقك احد رجالي ، الذي لن يتردد في لهاب دماغك في اية
لحظة تحاولين فيها العودة سواء الى انكثرا او الى فرنسا .
وازداد اضطراب ميلادي لدى سماعها الحكم عليها بالنفي
الى بلاد نائية ، وعاد اللورد يقول :

— ان الشخص الذي يأمر فيطاع في غيابي هو الضابط فلتون ،
وهو الذي سيتولى حراستك .

ثم خطا نحو الباب وفتح بهنق ونادى باعلى صوته :
— ليحضر الى هنا الضابط فلتون في الحال ..
وبعد لحظات كان الضابط الشاب يقف في باب الحجرة ، فالتفت
اليه اللورد وقال :
— ادخل يا عزيزي جون .. أترى هذه المرأة ، انها شابة

فاتنة ، وتستمتع بجميع المغريات ، الا انها تخفي نفسها شريرة بجرمة ،
فقد ارتكبت جرائم عديدة ، ولا بد انها ستحاول اغراءك
لتخضع لها ، واذا اتاحت لها الظروف فلن تتأخر عن قتلك ..
وتذكر يا عزيزي فلتون ، انني انتشلتك من الفاقة وجعلت
منك ضابطاً مرموقاً ، كما انقذت حياتك في احدى المرات ..
وانا بالنسبة لك لست منقذاً فحسب ، بل وصديقاً حميماً ، واباً
حنوناً ...

ان هذه المرأة جاءت خصيصاً الى انكلتوا لتتآمر على حياتي .
وانا سأترك هذه الافعى بين يديك لتجربها ، ولا تدعها تفارق
هذه الغرفة مهما كافك الامر ، واني استعطفك بشرفك بان تنفذ
ما قلته بحذافيره .

فأجابه الضابط وقد لمعت عيناه ببريق الاخلاص والعزم :
— اقسم لك يا سيدي اللورد بانني سأنفذ ما تطلبه مني ولو
كافني ذلك حياتي .

وقبل ان يغادر اللورد الغرفة التفت الى ميلادي وقال :
— والآن ارجو ان تعودني الى الصراط المستقيم ، وتحاولي
في عزلتك ههنا ان تكفري عن سيئاتك وذنوبك الماضية .
ثم خرج اللورد دي ونتر يتبعه الضابط فلتون بعد ان اغلق
الباب خلفه ، تاركا ميلادي وحيدة في الحجرة فريسة هواجسها
واضطرابها ...

٥١

الضابط فلتون



وفي هذه الاثناء كان الكردينال ريشليو ينتظر بقاروغ الصبر
انباء جديدة من لندره عن مهمة ميلادي ، الا ان شيئاً من ذلك
لم يصله ..

وكان في الوقت نفسه قد شدد الحصار على مدينة لاروشيل ،
ولم يدع وسيلة من وسائل التضيق الا استخدمها لـحل سكان
لاروشيل المحاصرين على الاستسلام ، ولكن على الرغم من التدابير
المشددة ، والحصار الشديد الذي فرض على المدينة من جهة
البحر ، لمنع السفن الانكليزية من الوصول الى داخل الميناء ، فقد
كانت الدلائل تشير الى ان هذا الحصار قد يطول امدته ، وفي
ذلك ما فيه من تحدٍ لقوات الملك لويس الثالث عشر ، وازعاج
للكردينال الذي كان يرى في ثبات المدينة خطأ من قدره
ونفسه هذه ...

والواقع أن فريقاً من سكان المدينة حاول الاستسلام لينجو من المجاعة ، ولكن محافظ المدينة العنيد ، قضى على هذه المحاولات في الحال ، اذ اعتقل دعاة الهزيمة وعلق بعضهم على أعواد المشانق .

وكان من جراء هذا العقاب الصارم ، ان قضى على كل فكرة او محاولة ترمي الى الاستسلام .

وقررت القوات المحاصرة الثبات والموت جوعاً وعطشاً وراء اسوار المدينة ، آملين ان ينجدهم الدوق دي بوكنفهام عن طريق البحر بقواته التي وعد بارسالها في القريب العاجل .

وكانت القوات الفرنسية تلقي القبض من حين لآخر على بعض المنسولين الموفدين من قبل سكان لاروشيل الى الدوق دي بوكنفهام ، فيساق هؤلاء المساكين الى مكتب الكردينال الذي يلفظ حكمه المبرم بتنفيذ عقوبة الشنق . ويلبي الملك الدعوة بلهفة ويحرص على الجلوس في الصفوف الامامية لمشاهدة عملية الشنق بآدق تفاصيلها ، ومع ذلك كان يشعر جلالته بالسأم يتطرق الى نفسه ، ويعلم عن رغبته بالعودة الى باريس .

واثيرت اخيراً مسألة الاستيلاء على المدينة بالقوة ، ولكن قادة الجيش اعترضوا على تنفيذ هذه الفكرة ، لأن لاروشيل تبدو امنع من ان تنال عن هذه الطريق . . وبالإضافة الى ذلك فإن الكردينال نفسه لم يبد تحمسه لهذه الفكرة ، لعلمه الاكيد ان معركة دامية يقاتل فيها الفرنسيون مواطنيهم الفرنسيين ، معناه اعادة تمثيل مأساة « سان برتامي » التي كانت فرنسا مسرحاً لها

لستين عاماً خلّت . ومرت بذاكرة الكردينال ميلادي التي اوفدها
بمهمة خطيرة الى لندره ، وتساءل عن سبب سكوتها ، وهل خائنه
هذه المرأة ؟ ام تراها لاقت حتفها ؟

واخيراً قرر ان يواصل عمالياته الحربية دون ان يعتمد على
احد ما ، فانصرف الى متابعة بناء السد العظيم حول مدينة
لاروشيل ، ليعزلها عزلاً تاماً عن انكاثرا وفرنسا ويمنع وصول
المواد الغذائية اليها .

ولجأ الكردينال الى فكرة شيطانية مستمدة من المثل القائل :
« فرّق تسد » فقد قذف بآلاف النشرات الصغيرة من فوق اسوار
المدينة الى سكان لاروشيل ، يبين فيها لعامة الشعب تصرفات
زعمائهم وانايتهم في تخزين المواد الغذائية واللحوم والخمور داخل
اقبيتهم ، دون ان يوزعوا شيئاً منها على افراد الشعب الجائع .
وفعلت هذه النشرات فعلها السحري ، فأبدى فريق كبير من
سكان المدينة استعدادهم لفتح باب المفاوضات مع بعض قواد
جيش الملك .

ولكن في اللحظة التي اوشكت خطة الكردينال ان تنجح
ثمّارها الطيبة ، وصل الى داخل لاروشيل ، رسول قادم من ميناء
بورتسموث الانكليزي يحمل رسالة خاصة الى محافظ المدينة تعلمه
ان اسطولاً جباراً يستعد للابحار من ميناء بورتسموث الى
لاروشيل وسيصل الى ميناء المدينة قبل انقضاء اسبوع ...
وتضيف الرسالة ان الدوق دي بوكنفهام قد اعلن ان المساعي لعقد
حلف عسكري قوي ضد فرنسا قد اثمرت ، وسيعلن عنه في

القريب ، وعندها استغزو القوات الانكليزية والاسبانية فرنسا في
عقر دارها .

وقد أمر محافظ المدينة بتلاوة هذه الرسالة في ساحات لاروشيل
وشوارعها علناً . وكان من جراء ذلك ان توقفت المفاوضات
بانتظار النجدة .

وضاعت هذه الحادثة من قلق الكردينال وراح يفكر في
وسيلة اخرى لانهاء هذه الحرب التي باتت مصدر قلق دائم له .
وفي ذات يوم خرج الكردينال على صهوة جواده يرافقه
القائدين كاهوساك ولاهودينيير ، وافضى به المسير الى اكمة صغيرة
تطل على البحر ، ولشد ما كانت دهشته عندما وقعت عيناه على
سبعة رجال يفترون الرمال ، وحولهم عدة زجاجات من النبيذ
المعتق ... وكان اربعة من هؤلاء هم الفرسان الاربعة ، مع ثلاثة
من خدمهم ، وكانوا يستمعون بانتباه ظاهر الى احدهم يتلو رسالة
تلقها . ويبدو ان الرسالة كانت على جانب من الاهمية ، بدليل ان
الرفاق توقفوا عن الشرب واللعب ، وارهقوا اذانهم لسماع ما
تضمنته الرسالة ، بينما راح الخدم الثلاثة يحاولون فتح برميل صغير
من النبيذ المعتق .

ولما كان الكردينال في حالة عصبية ، فقد ضاعف غضبه رؤية
هؤلاء الرفاق في حالة نشوة وطرب . فاشار الى مرافقيه ان يتوقفوا
عن السير ، وترجل عن جواده ، واقترب بخطى متمهلة من الفرسان
مستعيناً باخفاء نفسه وراء سياج قريب ، ولما اصبح على قيد
خطوات قليلة منهم استطاع ان يسمع بعض الكلمات وان يتبين

الفارس العاسقوني دارتنيان ، فثبت لديه اذ ذاك ان الثلاثة الباقين هم ولاشك آتوس وبورتوس وارانيس .
وترامى الى سمعه طرفاً من الحديث الذي يجري بين الرفاق ،
وفي تلك اللحظة ، دوى صوت الخادم غريمو ينبه الفرسان :
- ضابط ...

فالتفت آتوس الى ناحية خادمه يستوضحه ، فراح هذا يغمز بعينه مشيراً الى المكان الذي يجتمى فيه الكردينال ، فانتبه الرفاق الى هذه الإشارة ، وهبوا بقفزة واحدة واقفين وحيوا الكردينال باحترام .
وبدا الغضب على وجه الكردينال وخاطب الفرسان بلهجة جديدية :

- يبدو لي ان السادة الفرسان يقيمون افراداً على حراسهم ، فهل هو الخوف من نزول انكليزي الى الشاطئ ، او انه حب الظهور بمظهر كبار الضباط ؟
فأجابه آتوس :

- اعتقد يا سيدي الكردينال ، انه من حق الفرسان عندما تنتهي نوبتهم في الخدمة ، ان يرفهوا عن انفسهم بالشراب واللعب ، وهم بالنسبة لخدمهم بمنزلة كبار الضباط .
فقال الكردينال :

- ان الخدم الذين يتولون تحذير اسيادهم لدى مرور شخص غريب ، ليسوا خدماً بل هم حراس .
فأجابه آتوس وهو ما يزال محتفظاً برباطة جأشه :

- لو لم نتخذ مثل هذه الاحتياطات يا سيدي الكردينال ، لما اتبعت لنا الفرصة لتأدية فروض الاحترام والشكر العميم لماقت به نحو رفيقنا دارتنيان والحافه بفرقة فرسان الملك . هيا يا دارتنيان ، تقدم واشكر نياقة الكردينال على صنيعه .
واقترب على الاثر دارتنيان واحنى رأسه امام الكردينال وهو يتم بمبارات غير مفهومة .

وتابع الكردينال كلامه متجاهلاً بادرة دارتنيان وقال :
- اني اكره ايها السادة ان ارى جنوداً عاديين ، يستغلوث انباءهم الى فرقة فرسان الملك ليظهروا بمظهر كبار الضباط ...
وعليهم ان يراعوا النظام كغيرهم من الجنود .
فعاد آتوس يناقشه بلهجته الهادئة وعباراته الشديدة :

- اعتقد يا سيدي الكردينال اننا لم نخالف النظام ، فقد وجدنا ان لدينا متسعاً من الوقت بعد ان قمنا بواجبنا ، فظننا انه بإمكاننا قضاء هذا الوقت على الشكل الذي يروق لنا ، واذا كان لنياقة الكردينال او امر خاصه فنحن على أتم الاستعداد لتنفيذها في الحال .
وكما ترى نياقتك فاننا نحسباً لاي طارئ قد خرجنا مزودين بأسلحتنا الكاملة .

قال عبارته الاخيرة وأشار باصبعه الى البنادق الاربعة المنصوبة على مقربة من الفرسان على شكل هرم .

وألقى الكردينال نظرة عابرة على البنادق وقال :
- ان منظركم على هذا الشكل ، يوحي بانكم تحيكون مؤامرة ما في هذا المكان المنعزل !

فأجابه آتوس :

- اذا كان ثمة من تأمر فعلى اعدائنا سكان لاروشيل .
والثقت الكردينال الى اراميس وقال بلهجة الآمر :
- ما هذه الرسالة التي كنت تقرأها ، واسرعت الى اخفاؤها فور
وصولي ٢٠!

فأجابه اراميس متلعشماً :

- انها رسالة من امرأة ياسيدي الكردينال !
فقال الكردينال :

- اعلم انه من حقا ان تحتفظ بها ، ولكن ذلك لا يمنع من عرضها
على رجل دين يملك سرية الاعتراف وانت تعلم ان ذلك من حقي .
فأجابه آتوس بلهجة هادئة ، وهو يعلم انه يجازف برأسه :
- تلك الرسالة من امرأة ياسيدي الكردينال ، ولكنها لا
تحمل توقيع ماريون دي لورم ولا مدام داغليون .
فامتقع وجه الكردينال لهذا التعريض السريع به شخصياً ،
ولمعت عيناه ببريق مخيف ، وساورته نفسه بان يقدم على عمل ما...
الا انه ادرك ان النتيجة ستكون فضيحة مدوية .. وبحركة بارعة
من يده ، التفت الى الفرسان الاربعة بعد ان تمكن من السيطرة
على اعصابه وقال :

- بورك فيكم ايها الفرسان البواسل ، ولست اعارض في سهركم
على حراسة انفسكم ولن انسى تلك الليلة التي سهرتم فيها على راحتي
ذهاباً واياباً . هيا عودوا الى اقداحكم وتابعوا سرحكم .
قال هذا واسرع يمتطي صهوة جواده وحياهم بإشارة من يده

وابتعد مسرعاً يتبعه مرافقاه ، بينما وقف الرفاق الاربعة مسمرين في اماكنهم وهم يشيعونه بانظارهم حتى توارى وراء الالكمة .
وتبادل الفرسان النظرات ، وكانت قسجات وجوههم مكفهرة اذ لم يخف عليهم ما يضره لهم الكردينال من حقد دفين .
وقطع جبل السكوت آتوس وقال وهو يبتسم ابتسامة الواثق من نفسه :

- هل كنت تنوي تسليمه الرسالة يا اراميس ؟

اجابه اراميس :

- كنت انوي ان اجعل سيفي يخترق جسده .

فقال آتوس بهدوء :

- ولكنك رأيت ان الوقت المناسب لم يحن بعد . في الحقيقة ان هذا الرجل يرهن على انه احق عندما حاول مخاطبتنا بتلك اللهجة الجافة ، ويظهر انه لم يسبق له ان اصطدم الا بنساء واطفال ...
ثم التفت الى اراميس وقال :

- هيا تابع قراءة الرسالة .

فتناول اراميس الرسالة من جيبه وراح يتلوها من البداية وهذا ما جاء فيها :

« ابن عمي العزيز ، لقد قررت ان اذهب الى « ستيني » لزيارة خادمنا التي ادخلتها شقيقتي الى دير الكرمليت ، وقد زال الخطر الذي كان يهددها في السابق ، وهي الان في صحة جيدة ، وكل ما ترجوه ان تحظى برسالة من حبيبها ، وتأكد بأنني سأتولى بنفسي ايصال مثل هذه الرسالة .

شقيقتي تشكرك على الهدية الثمينة التي ارسلتها اليها . وقد
اوفدت رسولا من قبلها الى هنالك لتمنع حدوث اشياء غـيـر
منتظرة .

وداعاً يا ابن عمي العزيز . . . ولا تنس ان توافينا باخبارك
كلما اقتضى الامر ذلك .

اقبلك

ماري ميشون ،

وكانت هذه الرسالة واردة من تورس وتحمل انباء سارة
لدارتنيان عن السيدة بوناسيو ، اذ لم يكـد اراميس ينتهي من
قراءة الرسالة حتى هتف دارتنيان قائلاً :

— يا الهي انها ما تزال على قيد الحياة . . . مقبحة في دير امين
في ستييني . . وهنا التفت الى آتوس وسأله :

— واين تقع ستييني هذه ؟

— في مقاطعة اللورين ، وعندما ينتهي حصار لاروشيل
سنبادر فوراً الى زيارة تلك المقاطعة والاطمئنان على حبيبك .

وقال بورتوس :

— وقد لا يطول انتظارك ، فالدلائل تشير الى ان سكان
لاروشيل اصبحوا في حالة يرثى لها ، اذ ليس لديهم ما يقتاتون به .
فقال آتوس وهو يحرج كأساً من النبيذ :

— حقاً ان سكان لاروشيل حمقى ، فما ضرهم لو اعتنقوا المذهب
الكاثوليكي ووضعوا حداً لهذه المعارك الدامية .

وحانت منه التفاتة فوجد اراميس يدس الرسالة في جيبه ،

فيخاطبه بقوله :

— ما الذي تفعله يا اراميس ، هل تحبىء الرسالة في جيبك ؟

فبادره دارتنيان :

— يجب ان تحرق هذه الرسالة في الحال .

وهنا نادى آتوس خادمه غريمو ، وتناول الرسالة من يد

اراميس وقال :

— بما انك تكلمت منذ لحظة بدون استئذان ، وعقاباً لك

على هذ الهفوة ، عليك ان تبتلع هذه الورقة وتجرح بعدها كائناً

من هذا النبيذ .

فابتسم غريمو ، واسرع ينفذ اوامر سيده دون تردد .

وفي هذه الاثناء كان الكردينال يتابع جولته حول المعسكر

وهو يحدث نفسه بقوله :

— يجب ان يصبح هؤلاء الفرسان الاربعة من رجالي .

اليوم الاول في الاسر



ولنعد الى ميلادي ، بعد ان ألقينا نظرة خاطفة على الموقف الحربي على طول جبهة لاروشيل ، فنجدها منطرحـة في ركن الغرفة خائـرة القوي ، قلقـة ، موزعة الافكار ، ذلك انـها لاول مرة تشعر بالشك والخوف يتطرق الى نفسها ، وانـها مغلوبـة على امرها بعد ان اذلها دارتليان وتلاه اللورد دي ونتر فوضعها سجينـة في هذه الغرفة .

واعتزمت امرآ ... اعتزمت ان تثار لنفسها ، ولكن كيف السبيل الى ذلك وهي غير طليقة ؟ اذن يجب ان تحاول جهدـها الفرار من هذا السجن ... لا سيما وان المكلف بجراستها ضابط شاب ، وهي ما زالت تتمتع بشيء من الجاذبية والفتنة .
وراحت تتمرن امام المرأة على اعطاء وجهها صوراً متعددة ، ثم مدت يدها الى شعرها فاصلحت من شأنه ثم ألقت على وجهها

نظرة اخيرة وغمغت بارتياح :

- لم افقد شيئاً ... فاننا ما ازال جميلة . وخطر لها ان تنام لتريح اعصابها وجسدها ، وتستعويض بالرقاد عما فقدته من قوى وجاذبية ، فنامت ، وعند الساعة الثامنة مساءً ، استيقظت من رقادها وهي على احسن حال ، ورأت نوراً يسطع خارج الغرفة ، فاستلقت على مقعد مواجه لباب الغرفة وتعمدت ان تبرز مفاتن جسدها فازاحت الثوب عن الجزء الاعلى من نهديهما ، كما جلست بوضع مفر يثير الفرائز الجنسية ... وكانت ترمي من وراء ذلك ان توقع الضابط او اي شخص من الخدم فريسة جمالها . وبعد مضي لحظات قليلة سمعت صرير المفتاح في القفل وارتفع صوت عرفت فيه ميلادي بانه صوت الضابط فلتون يقول :

- ضع الطعام على المائدة ، واسرع في احضار المشاعل ، ولا تنس ان تستبدل الحارس . .

وعندما ألقى فلتون نظره على ميلادي قال :

- انها نائمة الآن ، وعندما تستيقظ ستتناول طعامها .

فقال الجندي الذي يحمل الطعام للسجينة :

- انها ليست نائمة يا سيدي الضابط ، بل مغشى عليها .

فهدق الضابط فلتون بوجه ميلادي من المكاث الذي يقف فيه وقال :

- اصبت ، اذن فامرع الى اللورد ونتر واخبره ان سجينته مصابة بالاغواء .

وخرج الجندي مسرعاً ينفذ اوامر ضابطه ، بينما جلس فلتون

قرب الباب مولياً ظهره لميلادي كأنه لا يشعر بوجودها .
وكانت تراقبه من خلال اهدابها الطويلة ، فوجدته يوليها
ظهره دون اكتراث ، فرأت ميلادي ان الوقت قد حان لتستفيق
من اغماؤها المصطنع ففتحت عينيهما وتنفست بصوت مسبوع ،
فالتفت الضابط اليها وقال :

- ها قد استفتقت من اغمائك ، اذن فلم يعد هناك ما يستدعي
بقائي هنا، واذا احتجت لشيء فاقرعي الجرس ... فقالت ميلادي
بنغمة عذبة ، بعد ان جلست بوضع اشد اغراء من الوضع الاول :
- يا الهي كم تعذبت ..!

وبينا كان الضابط فلتون يهم بالخروج من الغرفة، ظهر اللورد
ونتر ويده زجاجة صغيرة تتضمن كمية من الاملاح المنعشة .
فقال بسخرية لاذعة :

- أجبثل هذه السرعة عادت الميتة الى الحياة ؟

ثم استوقف الضابط بحركة من يده وقال :

- أولم تدرك ماذا يجري هنا في هذه الغرفة ؟ .. ان هذه المرأة
تحسبك ساذجاً ، وانها بدأت تلعب عليك اولى ادوارها ، ولا بد
ان تتبع الفصول الباقية في المستقبل القريب .
فقال الضابط :

- لقد احتطت الامر يا سيدي اللورد ، ولم اقع في احابيلها .
ومع ان عبارة الضابط فلتون قد جعلتها ترتجف ، إلا انها تماكنت
نفسها وتظاهرت بالاعياء .
والتفت اللورد الى الضابط فلتون وقال :

.. لندع ميلادي نتناول طعامها بهدوء وهم بنا ..
وامسك بذراعه يقوده الى الخارج وقد ارتسجت على شفتيه
ابتسامة طافحة بالسخرية .
وما ان اغلق الباب دونها حتى صاحت تخاطب نفسها قائلة :
- لقد خسرت كل شيء ! لقد اصبح الضابط مزوداً بكل
سلاح لمقاومتي ، ولكنني لن استسلم لليأس والقنوط .

٥٣

اليوم الثاني في الاسر

•

وفي صبيحة اليوم التالي، عندما دخل الحارس الى الغرفة كانت ميلادي ما تزال مستلقية على فراشها ، وكانت دلائل الاعياء قد نالت منها بعد ان قضت الليل بطوله تتقلب على زيران القلق .
ووصل الضابط فلتون الى الرواق وبصحبه امرأة احضرها اللورد ونتر ، لتساعد ميلادي وتراقب حركاتها وسكناتها .
ودخلت هذه المرأة الى غرفة ميلادي ، واقتربت من سريرها تعرض عليها خدماتها فتظاهرت ميلادي بالضعف وقالت :
- لقد امضيت الليلة عرضة لحمل شديدة، فلم اذق طعم الكرى وكل ما اطلبه هو ان يسمح لي بالبقاء في فراشي ، لأستعيد بعض الراحة .

فأالت المرأة :

- هل تريد السيدة ان آتيها بطبيب ؟

وكان الضابط فلتون يستمع الى هذا الحوار دون ان ينبس
ببنت شقة .

وفكرت ميلادي ان الطبيب قد يقف على الحقيقة فيعلن ان
مرضها مصطنع ، وينقل ذلك الى اللورد ونتر فيشدد عليها التكبير
والرقابة ، فقالت :

- ان اللجوء الى طبيب لا فائدة منه ، طالما انهم اعلنوا امس
ان مرضي هو عبارة عن مهزلة ، ولا شك انهم سيقولون نفس
القول اليوم .

فقال الضابط فلتون وقد نفد صبره :

- ماذا تريد السيدة ان نفعل لها ؟

- لا ادري ... وكل ما اشعر به انني اتالم !

فالتفت فلتون الى الحارس وقال :

- اسرع وادع اللورد ونتر الى هنا .

فصاحت ميلادي بنبرة :

- لا .. لا تدعه يورك ، فانا بخير ولم اعد بحاجة الى شيء

مطلقا ...

قالت هذه العبارة بلهجة مؤثرة جعلت الضابط فلتون يقترب

منها ويتفحصها بنظرات ثاقبة ويقول لها :

- اذا كنت حقيقة تتألمين ايها السيدة ، فلا بأس من

استدعاء الطبيب في الحال . اما اذا كنت تحاولين خداعنا فانت
وشأنك ..

ولم تجب ميلادي على عبارته القاسية ، بل تعمدت ان تلقى

وأمرها على الوسادة وراحت تنسج بالبكاء وترسل الزفرات ،
وظل الضابط فلتون يراقبها ببرودة المعتاد ، ولما رأى ان
النوبة قد تطول ، انسحب من الحجرة ، وقبعته على الاثر المرأة
التي جاءت خصيصاً لمساعدة ميلادي .

اما اللورد دي ونتر فلم يحضر ..
ومرت ساعتان على تظاهرها بالمرض ، ثم رأت ان الوقت قد
حان للنهوض من الفراش والتظاهر بان بعض التحسن قد طرأ
على صحتها ..

وفي صبيحة اليوم التالي احضر الخادم طعام الافطار لها ، وبعد
ساعة من الزمن ، حضر الضابط فلتون مع اثنين من الحراس
طلب اليهما ان يرفعا المائدة .

وبعد ذهاب الحارسين بقي فلتون وحده في الحجرة . وكان
يحمل في يده كتابا . وحانت منه التفاتة عابرة فشاهد ميلادي
مستلقية على مقعد وثير وقد بدت جميلة فائنة رغم شحوب وجهها ،
واقترب منها الضابط الشاب ووضع الكتاب الذي يحمله وقال :
- ان اللورد دي ونتر وهو كاثوليكي مثلك ، يحرص على ان لا
تحرمي من ممارسة طقوس مذهبك في هذا القصر ، ولذلك فقد
كافني ان اعمل اليك هذا الكتاب الذي يتضمن الطقوس الكاثوليكية
وصلواتها بكاملها .

فأدركت في الحال ان الضابط فلتون ينتمي الى البروتستانت
المتعصبين ، فقررت ان تستغل هذه الناحية بالذات ، فالتفتت الى
فلتون وقالت بلهجة استهزاء :

- ما الذي تقوله ايها الضابط ؟ وهل تعتقد انني كاثوليكية ،
ان اللورد دي ونتر الكاثوليكي يعلم جيداً انني لست من اتباع
مذهبه ...

فسأها الضابط فلتون بدهشة :

- ومن اي مذهب انت يا سيدتي ؟

فأجابته بحماس مصطنع :

- سأقول لك ذلك في اليوم الذي ارى فيه انني قاسيت اسمه

ما يجب ان اعانيه في سبيل مذهبي .

وفي ذلك الحين ظل الضابط فلتون صامتاً وقد اعربت

قسمات وجهه عن مدى التأثير الذي أحدثته في نفسه تلك

العبارات ...

وتابعت حديثها قائلة :

- انني الان في قبضة اعدائي ، وارجو من الله ان ينقذني او

ان اهلك من اجل الله .. وهذا هو الجواب الذي اتمنى ان تنقله الى

اللورد دي ونتر . اما بصدد هذا الكتاب فيمكنك ان تعيده الى

اللورد ليستخدمه .

ولم يجب الضابط فلتون الذي كان بروتستانتيّاً متعصباً ومن

جماعة «المطهرين» بشيء ، فتناول الكتاب باشمئزاز وانصرف بهدوء .

وفي المساء حضر اللورد دي ونتر الى غرفة ميلادي وبعد ان

جلس على مقعد بقرب المدفأة قال :

- يبدو لي انك غيرت مذهبك منذ ان افترقنا للمرة الاخيرة

في باريس ، فهل تزوجت بزواج ثالث يعتنق المذهب البروتستانتي ؟

فقلت ميلادي متظاهرة بالدهشة :

- وما الذي تعنيه بقولك هذا ؟ ..

- اعني انه لا فرق عندي اذا كنت كاثوليكية او بروتستانتية .

- لا اظنك ايها اللورد تجرؤ على المجاهرة باستهتارك بالدين ،

على الرغم من فجورك وجرائمك المعروفة .

فانتهرها اللورد بلهجة حائقة وقال :

- انت تتحدثين عن الفجور والاثام وانت غارقة فيها الى اذنيك . . . وهل بلغت بك الوقاحة الى هذا الحد ؟

- لست اجهل ما ترمي اليه من وراء هذه الاقوال والانتهاكات

فانت تعلم ان رجالك في الخارج يستمعون الى حديثنا وتريد ان

توغر صدور جميع الحراس ضدي ..

فقال اللورد :

- ارى ان مهزلة الامس قد انقلبت اليوم الى مأساة . . .

فالزمي مكانك ، ولن تمضي ثمانية ايام حتى تكوني في المكان الذي

يصلح لاقامة امثالك ، وعندئذ تفتني مهوتي ..

فمتظاهرت ميلادي بالجزع وصاحت :

- يا لها من مهمة شائقة اثيمة !

والنفث اليها اللورد ونثر وقال وهو يهيم بالانصراف :

- هدئي روعك ايتها المرأة البروتستانتية المحافظة ، والا

اضطرت الى نقلك الى زنزانة منعزلة . . . ولا شك ان التبيذ

الاسباني الذي امرت بتقديمه لك هو السبب في جعلك تفقدن

صوابك وتتمسكين بالجنانين في تصرفاتك وهياجك .

وكان الضابط فلتون ، كما توقعت ميلادي ، ملتصقاً بالباب يصغي الى الحوار ولم تفته كلمة واحدة منه .

وفي المساء عندما احضر الحراس طعام العشاء لميلادي ، وجدوها جاثية على ركبتيها وقد طأطأت رأسها الى الارض كما يفعل البروتستانت المطهرين عند الصلاة ، وراحت تتلو صلاة بصوت مرتفع تعلمتها من خادم كان في قصر زوجها الثاني اللورد ونتر ، وتظاهرت بانها لم تشعر بدخول احد الى الغرفة ، واستمرت في خشوعها .

واشار الضابط فلتون الى الحراس بان لا يقطعوا عليها صلاتها . وتوقف احد الحراس عن السير امام باب الغرفة ينصت اليها وهي تصلي . ولما انتهت من صلاتها ، تناولت قليلاً من الطعام ولم تشرب سوى الماء القراح .

وجاء الحراس بعد مضي ساعة ليرفعوا المائدة ، ولاحظت ان الضابط فلتون خلافاً لعادته لم يرافقهم هذه المرة . فادارت ظهرها الى الحائط وابتسمت ابتسامة الفوز لنجاح خطتها .

واقبل الليل ينشر ظلاله على القصر ، وخفت الحرة ، فقد استسلم الجميع الى النوم ، ولم يعد يسمع سوى هدير الامواج المتلاطمة ، ووقع حوافر الحارس على بلاط الرواق ، الذي كان يخطو امام بابها خطوات منتظمة . ورأت ميلادي ان الوقت حان لتقوم بمحاولتها الثانية ، فشرعت ترتل بصوت عذب هادئ المقطع الاول من احد الاناشيد الدينية الشائعة .

واحست ان الحارس المكلف قد توقف عن السير ، وراح

يستمع اليها ، ثم سمعته يصيح بها بصوت مرتفع من خلف الباب :
- الزمي الصمت ايها السيدة ، وكفّي عن انشاد هذا النشيد
الحزين ...

وفي تلك اللحظة بالذات سمعت صوتاً جهورياً عرفت فيه
صوت الضابط يصيح بالحارس منتهراً ويقول :
- لقد عهد اليك حراسة هذه المرأة فقط ، وليس من حقك
ان تمنعها من ممارسة طقوسها الدينية بحرية ...

فباتت على قسماث وجه ميلادي دلائل الغبطة ، وتابعت
انشادها بصوت تعمدت ان تجعله رخيماً هادئاً .

وخيل للضابط فلتون انه يسمع صوت احد الملائكة ، فاسرع
يفتح الباب بعنف ، ورأته ميلادي يقف امامها مكفهر الوجه
تأه النظرات وقال بصوت مضطرب :

- لماذا تنشدين هذا النشيد المؤثر ايها السيدة ؟

فقال متظاهراً بالجزع :

- ارجو ان لا اكون قد اسأت الى معتقدك ايها الضابط ..
فاصفح عني وثق انني لم اتعمد ذلك ، بل كان بالرغم مني .

وكانت في وضعها وهي جاثية على ركبتها ، تبدو رائعة
الجمال وكأنها ملاك طاهر ، فقال لها فلتون :

- اجل ان ارتفاع صوتك على هذا الشكل ، قد يزعج سكان

القصر .

فحنّت رأسها بانكسار وقالت بلهجة تعمدت ان تجعلها عذبة :

- اذن سألزم الصمت ..

فاجابها فلتون :

- لا ... لا يا سيدتي ، يمكنك متابعة انشادك ، انما ليسكن
ذلك بصوت اقل ارتفاعاً ، خاصة في اثناء الليل .
وشعر الضابط فلتون بانه لن يستطع الاحتفاظ بوقاره وهيئته
امام فتنة هذه السيدة وسحرها ، فاسرع ينسحب من حجرتها بعد
ان اغلق الباب خلفه .

الايام الاخيرة في الاسر



وفي اليوم التالي تردد الضابط فلتون على حجرة ميلادي كعادته في مواعيد الطعام ، الا انه تحاشى التحدث اليها . ومضت الساعات الطويلة قطعتها ميلادي في مناجات نفسها ، وتدبير الحيلة الناجحة للخلاص من هذا الاسر .

وقبيل الظهر حضر اللورد ونتر ، وكانت ميلادي واقفة بالقرب من النافذة . وتظاهرت بانها لم تسمع ففتح الباب ، وبدأ عليها وكأنها غارقة في بحر من الافكار .

فبادرها اللورد ونتر بلمحة ساخرة :

— بعد ان انتهينا من تمثيل ادوار المهازل والمآسي ، جاء الآن دور المواقف الحزينة الصامتة !..

ولم تجب ميلادي على لهجه اللورد الساخرة ، وتعمدت الاعتصام بالسكوت ، بينما اردف يقول :

- اعلم جيداً انك تتمنين من صميم قلبك ان تكوني الآن
حرة طليقة تخزين عباب البحر على ظهر سفينة فضمة ... مهلاً ايتها
المرأة فلن تمضي اربعة ايام حتى تتحقق امنيتك ، فيفتح لك البحر
ابوابه لتخرجين نهائياً من هذه البلاد الى غير رجعة .
فجئت ميلادي على ركبتيها وضمت يديها الى صدرها ورفعت
رأسها الى السماء تبتهل قائلة :

- يا الهي اغفر لهذا الرجل .. فلقد صفحت عنه انا ...
فتجاهل اللورد دي ونتر عبارتها المصطنعة ومد يده الى جيبه
وتناول منه ورقة كبيرة مطوية فنشرها امام عيني ميلادي وقرأها
بصوت مرتفع :

« بموجب هذا الجواز الخاص يجب ان تساق المدعوة - شارلوت
باكستون المحكوم عليها من قبل القضاء الفرنسي الى بلدة ... على
ان تبقى فيها ولا يسمح لها بمغادرتها ، واذا حاولت الفرار تنزل
بها عقوبة الموت في الحال دون محاكمة وقد عين لها مبلغ خمس
شلنات في اليوم لنفقات سكنها وطعامها . »

واصيبت ميلادي بنوع من الوجوم والملع فلم تعد تستطيع
الكلام او التفكير ، فبادرته بصوت متلعثم :

- ان هذا الجواز لا يعنيني لانه يحمل اسماً غير اسمي ..
فأجابها اللورد بلهجة قاسية :

- وهل لك اسم آخر ؟

- اجل ... يمكنني ان احمل اسم شقيقك المرحوم .

- انك مخالة ايتها المرأة ، فشقيقي لم يكن سوى زوجك

الثاني ... مع ان الزوج الاول لم يزل على قيد الحياة . فقولي لي اسمه لاضعه مكان هذا الاسم المستعار . واذا رفضت فأنا اصر على ابقاء هذا الاسم .

وظلت ميلادي صامتة وهي في اقصى حالات الرعب والاضطراب ، وحانت منها التفاتة الى الجواز المنشور امامها على الطاولة فلم تر في ذيله اي توقيع رسمي يجعله امرأً نهائياً ، فتنفست الصعداء وعاولتها الاطمئنان والامل بالنجاة من جديد .

وادرك اللورد دي ونتر ما يجول في خاطرها من الافكار فقال :
— سارسل هذا الجواز غداً الى اللورد دي بوكنفهام ليوقعه وبعد غد سيعاد الي يحيل توقيع اللورد وخاتمه الرسمي ، وبعد اربع وعشرين ساعة من استلام الامر سأنفذه بكل دقة وصرامة .

فارتاعت لهذا القول وصاحت تقول :

— ولكن هذا الابعاد تحت اسم مستعار هو عمل شائن !
فاجابها اللورد ونتر بسخرية لاذعة :

— وهل تفضلين ان تموتي شقياً تحت اسمك الحقيقي ؟ لا اظنك تجهلين صرامة الشرائع الانكليزية في معاقبة العابثين بروابط الزواج المقدسة .

ولم تجب ميلادي على هذا التحدي وقد امتقع وجهها حتى اصبح كالاموات .

واردف اللورد :

— ارى انك تفضلين ولا شك الابتعاد عن الموت شقياً . .
وسأعود لأراك غداً لننتقاهم على التفاصيل ، بعد ان اوفد رسولاً

خاصاً الى اللورد بوكنغهام يحمل اليه الجواز .
 وخرج اللورد ونتر دون ان ينتظر جواب ميلادي على حديثه ،
 وقنفت ميلادي بعض الشيء ، فما يزال هناك بارقة امل يمكن
 خلالها اتمام محاولة اغراء الضابط فلتون والتغير به ليسهل لها
 سبيل الفرار .

واسرعت تجشو على ركبتيها وراحت تتلو صلاة بصوت مرتفع
 وكان الضابط فلتون واقفاً خلف الباب فرأى من خلال ثقب الباب
 ميلادي جاثية تقرع صدرها بجشوع وهي تتلو صلاتها ، وبعد ان
 انتهت من صلاتها خيل لها انها تسمع صوت نهد عميق ووقع
 خطوات خفيفة تبعد بتناقل عن حجرة .

وفي صباح الغد دخل فلتون الى حجرة ميلادي ، فوجدتها
 واقفة على كرسي وهي تحمل بين يديها حبلاً جددته من عدد من
 المناديل والاشربة ووصلتها الى بعضها بعضاً ، وكانت تحاول ربط
 هذا الحبل بقطعة من الحديد مثبتة في اعلى الجدار ، وما ان شعرت
 بالضابط الشاب يدخل غرفتها حتى فحزت بسرعة عن الكرسي
 وحاولت اخفاء الحبل وراء ظهرها ، فاسرع بانتراع الحبل من
 يدها وقال لها بصوت مرتجف :

— لا تنسي ايها السيدة ان الله ينهي المرء عن الانتحار .

فأجنت رأسها متصنعة الذل واليأس وقالت :

— ولكن الله عندما يرى احدى خلائقه معرضة للاضطهاد

والعذاب الشديدين ظمأ وبدون مبرر ، وامامها احد الطريقين

الانتحار او العار ، فثقي يا سيدي الضابط انه يغفر لها اقدامها على الانتحار ، لان موتها اذ ذاك وعلى هذا الشكل هو الاستشهاد في اروع معانيه .

- سيدي انا جندي وعلى ان انفذ بدقة ماطلب مني ، وسأسهر على حياتك وامنعك من الاقدام على مثل هذا العمل الفظيع ...
فقلت ميلادي :

- الم تعرف بعد من انا يا فلتون ، انا لست ملاكا ولا شيطانا بل امرأة من هذه البسيطة واختك بالايان .
فأجابها فلتون :

- لقد كنت في الماضي اشك بذلك ، اما الان فقد اصبحت مقتنعا بصحة ما تقولين .

- انك تؤمن بما اقله ، ومع ذلك فلن تتأخر عن مساعدة اللورد دي ونتر والقائي بين ايدي ذلك الرجل الذي يلوث الكون بهرطقته وفجوره ، ذلك الذي يدعونه الدوق دي بوكنفهام .
فانتفض الضابط الشاب وقال :

- انا اسلمك الى بوكنفهام ؟ .

ومر بيده على جبينه يمسح العرق المتصبب ، وكأنه يزيل من رأسه آثر الشك العالقة في ذهنه .

وظهرت فجأة على محيا ميلادي موجة من الغبطة لنجاح خطتها في جعل الضابط فلتون يؤمن بانها بروتستانتية محافظة ، وانها ضحية بريئة للورد دي ونتر وسيده الدوق دي بوكنفهام .
وفي تلك اللحظة سمع وقع اقدام اللورد ونتر ، تقرب من

الحجرة ، وبعد ان تبادل مع الحارس بعض الكلمات ، فتح باب الحجرة ودخل ، فوق نظره على ميلادي جالسة في ركن الغرفة بينما وقف الضابط فلتون امام الباب وهو مستند بظهره الى الحائط ، فالتفت للورد اليه وخاطبه :

- تخيل لي يا جان انك قضيت مدة طويلة هنا ، فهل قصت عليك هذه المرأة جرائمها واعمالها ؟
فامتقع وجه فلتون ولم يدر بماذا يجيب ، واسرعت ميلادي تنقذ الموقف وقالت :

- لقد طلبت من سجانك هذا ، ان يقدم لي خدمة بسيطة ، ولكنه رفض باصرار .
فسألها اللورد :

- وما نوع هذه الخدمة ؟
- طلبت اليه ان يأتيني بمدينة حادة .
- وهل هناك شخص معين تريد ان تقضي عليه ؟
اجابته في الحال :
- اجل ... ان هذا الشخص هو انا ...
فأجابها اللورد ساخراً :

- لقد خيبرتك بين النفي والشنق ، فاذا كنت ترغبين في قتل نفسك ، فاؤ كذلك ان حبل المشنقة اهون بكثير من الموت في خنجر او مدينة حادة .

وتأبط اللورد ذراع ضابطه الشاب وخرجا من الحجرة معاً .
وانتظرت ميلادي عودة فلتون بفارغ الصبر ، وساورتها شتى

المواجس ، ولم يطل انتظارها اكثر من ساعة ، اذ ترمى الى سمعها صوت فلتون يتحدث بصوت خافت في الخارج ، وبعد لحظات فتح الباب ودخل ، فأشار اليها بطرف عينه ان تلزم الصمت ، ثم قال بصوت منخفض :

— امهمي ، لقد صرفت الحارس الآن ، ليتسنى لي التحدث اليك بعيداً عن انظار الرقباء واسماعهم . لقد قص عليّ اللورد اشياء مخيفة عنك . فأما ان تكوني شيطاناً رجيماً ، او ان يكون اللورد وحشاً مخيفاً . وانا لا اعرفك الا منذ اربعة ايام ، بينما اللورد فاني اعرفه منذ سنتين واحبه . . . ولا تقلقي بما اقوله لك ، ولكنني اريد اولاً ان اقتنع ، ولهذا فسأعود اليك بعد منتصف الليل لاقف منك على الحقيقة المجردة .

فهزت ميلادي رأسها بأسى ويأس وقالت :

— لا تجازف بنفسك يا اخي فلتون ، فانا امرأة هالكة حتماً ، فدعني اموت بهدوء ، لأن موتي ابلغ من الكلام الذي تطلبه لاقناعك .

فصاح الضابط فلتون :

— اسكتي يا سيدتي ولا تعودي الى الكلام عن الموت ، وارجو ان تعطيني بان لا تقدمي على اية حماقة من هذا النوع . فتظاهرت ميلادي بالامتنال وقالت :

— اعدك بذلك ، شرط ان تقبلي بوعدي لي وتأتيني بالمدية .

فهز الضابط رأسه وخرج من الحجرة ، بعد ان اقفل الباب خلفه .

وفي ذلك المساء قام اللورد ونتر بجولة مفاجئة في الجناح الذي تقيم فيه ميلادي ، وعند انصرافه امر بان يسرّ لوح من الحشب على الكوة الوحيدة الموجودة بباب حجرتها ليمنعها من الاتصال بالخارج ، وذلك زيادة في الاحتياط .

وما ان تجاوزت الساعة منتصف الليل بدقائق معدودة حتى سمعت خطوات الضابط الشاب تقترب من باب غرفتها ، ثم سمعته يهمس الى الحارس المكلف بحراسة باب غرفتها ، ببضع كلمات ، انصرف على اثرها الحارس ، بينما فتّح الضابط باب الحجرة ودخل بهدوء ..

ونفضت ميلادي من سريرها وقالت بصوت خافت :
- هذا انت ؟

- لقد وعدتك بالجيء وها قد وفيت بوعدى !
- لقد وعدتني بشيء آخر ايضاً .

فتردد فلتون بالجواب ، وكان العرق يتصبب من جبينه
وركبته تصطكان من فرط القلق ، ومد يده بالمديّة قائلاً :

- هو ذا المديّة .. ولكن لن اسلمها لك الا اذا وعدتني بان
لا تستخدمها في إلحاق الاذى بنفسك .

اجابته :

- اقسم لك بانني لن استخدمها الان .

وبدأت ميلادي تسرد على مسامع الضابط الشاب الخدوع
رواية نسجتها من خييلتها فقالت :

- اسمع يا اخي فلتون ، انني ضحيّة مكيدة مدبرة ،

فقد كنت في صغري فتاة فائنة وفي ربيع الحياة ، فحاولت المقاومة ولكن مقاومتي انهارت ، عندما تعمدوا مزج الماء الذي اشربه بمادة مخدرة ، فقدت على اثر تجربتها صوابي ، ولما استفتت ألفت نفسي ملقاة على فراش في غرفة فخمة الرياش ، لا ينفذ اليها النور الا من نافذة صغيرة في السقف .

واستطعت ان اجزم استناداً الى ضعف نور الشمس انه قد مضى علي يومان في تلك الحجرة .

فنهضت مترنحة وانا اشعر بصداع اليم في رأسي ، واسرعت الى ارتداء الملابس ، ورحلت ابحت عن الباب لانجو بنفسي ، الا ان بحشي ذهب سدى واخيراً احسست بالتعب الشديد فارتميت على مقعد واسلمت نفسي للقدور .

واقبل الليل يرخي ظلاله على المسكونة ، وفجأة سمعت باباً يفتح ، وظهر من النافذة الزجاجية التي بالسقف مصباح اضاء الحجرة .

وتبينت يجزع شديد وجلاً يقف على بعد خطوات مني ، وبالقرب منه مائدة وُضع عليها طعام جاهز لائنين . ولم يكن ذلك الرجل سوى ذلك النبيل الذي لم ينقطع عن مطاردتي ، والذي قرر اذلا لي وثلم عقابي .

واذكرت من العبارة الاولى التي قلّفت بها ، انه تمكن من تنفيذ قراره الاثيم في الليلة السابقة ونال بغيته مني وانا غائبة عن الوعي !

واحتجزني في تلك الحجرة ثلاثة ايام ، تمكن خلالها من اغتصابي

مرة ثانية بعد ان دس لي بخدراً في قدح الماء ، كما فعل في المرة الاولى ..

وفي اليوم الرابع ، حضر الى حجرتي نهائياً ، وكنت انتظر حضوره بفارغ الصبر ، لانتقم لشر في المثلوم منه ، اذ كنت احتفظ بين فيا في ثيابي بمذبة قورت ان اعدها في صدره ، ولما دخل اندفعت نحوه اوجه طعنة قوية الى صدره ، ولكن ارتدت يدي كليله ، فقد كان يلبس تحت ثيابه درعاً من الفولاذ .

فأمسك ببدي بعنف وانتزع المذبة منها وقال :

- يا لك من ناكرة الجليل ايبتها البروتستانتية ، الان تأكدت من انك لا تحببني ... ولهذا قررت ان اطلق سراحك تحذراً .
فصحت به :

- احذر يا هذا ، ان استعادة حريتي معناه فضيحتك .

فسألني بأزدراء :

- وماذا تعنين بذلك ؟

اجبته :

- في الساعة التي اصبحت فيها طليقة ، سأعلن على الملأ كل شيء ، وافضح تصرفاتك الشائنة نحووي وكيف لجأت اليها ، ولن يحملك مقامك الرفيع ايها اللورد من الجزاء العادل ، فهناك الملك ، وفوق كلمة الملك يوجد الله .

فقال بجدة :

- اذن لن تخرجي من هذا المكان .

- لا فرق عندي ، وسأموت ههنا ، وسيلحقك طيفي اينما

سرت ليذكرك بجريمتك .

فحاول للمرة الاخيرة ان يحملني على السكوت وقال :

- كوني عاقلة ولا ترفضى عروضي ، اني مستعد لان اطلق
مبيلك في الحال ، وامنعك ما تريد من مال وجاه ، اما اذا
اصررت على عنادك فاني سأحكم عليك بالذل والعار طيلة حياتك .
فصحت به قائلة :

- ان تهديداتك لا تخيفني ، ولن اقبل عروضك الخزية ... ولم

يدخل بروعي بانه يعني ما يقول .

فهن رأسه مهدداً وقال :

- سأمنحك مهلة للتفكير فاختاري بين السكوت والعار .

ثم انصرف من الحجرة .

٥٥

مأساة كلاسيكية



وتوقفت ميلادي عن الحديث ، لتقرأ على قسبات وجه الضابط
تأثير روايتها المعلقة عليه ، ثم تابعت حديثها :
- وفي مساء ذلك اليوم عاد ذلك الرجل ، وكنت في حالة
اعياء تام ، وكان برفقته هذه المرة رجل يضع قناعاً اسود ليخفي
معالم وجهه ، فخطبني بقوله :
- جئت لأسمع قرارك الاخير .
فاجبته بلهجة حازمة :
- لقد صارتك بقراري الاخير ولن احيد عنه قيد شعرة ،
وهو ان اطاردك حتى النهاية امام المحاكم الارضية ، كما سأقتص
منك امام محكمة الله في العالم الآخر .
- اذن فانت تصرين على موقفك ؟
- لقد اقسمت على ذلك امام الله ، ولن اعود عنه حتى اجد من

يثأر لشرفي .

- انك الآن امرأة عاهرة في نظر القانون ، ولهذا قررت ان احملك بوصمة المومسات الساقطات ...

ثم التفت الى الرجل المقتنع وقال :

- قم ايها الجلاد بوظيفتك !

واسرع الرجل المقتنع ينفذ الاوامر بشيء من القسوة والعنف ، ففي اقل من طرفة عين طرحنى ارضاً ، وبعد ان ازال طرف الثوب عن كتفي اليسرى ، قرب منه قضيباً حامياً من الحديد ، وشعرت بألم مبيت في كتفي ، وتناهت الى انفي رائحة لحي المحروق فأغمي عليّ من شدة الألم والرعب .

فأرسل الضابط فلتون زفرة عميقة من هول ما سمع ، وفي تلك اللحظة نهضت ميلادي من مقعدها وازاحت الثوب عن القسم الاعلى من جسدها البض ، متعمدة ابراز نهديها وكتفيها الناصعتي البياض ، وعرضت على انظار الضابط الشاب كتفها اليسرى المرسومة .

فصاح فلتون مندهلاً :

- انها زهرة الزنبق ...

قالت وهي تهز رأسها بمرارة :

- انها منتهى النذالة ، فلو ان ذلك السفاح وسمني بما يوسم به مجرمو انكلاترا لاحتاج عند الاقتضاء الى ذكر المحكمة التي قضت عليّ بهذا القصاص ... ولهذا تعمد ذلك الرجل ان يشوه كتفي بالوشم الفرنسي .

فقال فلتون متألماً وهو يغمر يدي ميلادي بقبلاته المحمومة :

- اصفحي عني ... يا سيدتي اصفحي !

وقرأت ميلادي في عينيه معنى الحب باجلى مظاهره ... ولم
يكتف بتقبيل يديها ، بل انكب على قدميها يغمرهما بالقبلات ،
وصالحاً .

- والآن ارجوك يا سيدتي ان تذكرى امم جلادك الاثيم ..

فاجابت :

- انه دائماً هو بعينه ، ذلك الرجل الذي يعمل على خراب
انكاثرا ، ويضطهد المؤمنين البروتستانت ، وينتهك اعراض
الفتيات الجميلات ... وهو الذي يدعي حماية البروتستانت اليوم ،
ليتركهم غداً ...

فاجابها فلتون :

- لا شك انك تعنين ... اللورد دي بوكسغهام

فاخفت ميلادي وجهها بين يديها ، وكأنها لا تستطيع ان
تجعل العار الذي لحقها من ذلك الرجل .

وفي تلك اللحظة سمعت طرقات متواصلة على باب الحجرة ،
فتراجعت ميلادي بحفلة بينما تقدم الضابط فلتون يفتح الباب ،
فوجد الجاوبش المكلف بالاشراف على الحراسة ، وادركت
ميلادي انه يتوقف عليها انقاذ الموقف ، فاسرعت الى المائدة ،
وتناولت المدية وصاحت تخاطب فلتون :

- باي حق تريد منعي من الموت ؟

فصاح فلتون وهو يرى المدية تلمع بيد ميلادي :

يا الهي !

وتعالت في تلك اللحظة فقهة ساخرة تجاوب صداها في
الرواق ، فقد وقف اللورد ونتر امام عتبة الباب يشاهد هذه
المأساة ، وقال بلهجة ساخرة :

— انا قد وصلنا الى الفصل الاخير من المأساة ...

واذكرت ميلادي بانها ستفقد على الاقل ثقة فلتون اذا لم تقدم
دليلاً ساطعاً على صدقها فقالت :

— اخطأت يا سيدي اللورد ، فان الذي تراه ليس مأساة
تمثيلية ، بل حقيقة واقعة... وسترى .

وصاح فلتون صيحة فزع واندفع نحو ميلادي يحاول انتزاع
المديّة ، ولكن لحسن الحظ او بالاحرى لحرص ميلادي ، فقد
اصطدم نصل المديّة بالقضبان الرفيعة التي يتألف منها المشد الذي
يطوق صدر ميلادي .

وفي اقل من ثانية ظهرت بقعة من الدم على ثوبها ، وانطرحت
ارضاً متظاهرة بالاغماء .

وانتزع الضابط فلتون المديّة من يدها وقال مخاطباً اللورد
ونتر :

— ارايت يا سيدي ان المرأة التي عهدي الي بحراستها قد
انتحرت ...

فاجابه اللورد :

— كن مطمئناً يا فلتون ، انها لم تمت ، فالابالسة لا يموتون
بالسرعة التي تتوهم ، واذهب الان وانتظرنني في غرفتي ...

وحاول الضابط فلتون الاعتراض ، الا ان اوامر سيده ،
جعلته ينصرف ، بعد ان اخفي المديّة التي طعنت ميلادي نفسها
بها في صدره .
ودعا اللورد المرأة التي احضرها خصيصاً لمساعدة ميلادي
وطلب اليها ان تعني بالجريحة ، ثم غادر الغرفة .
ومع انه كان يشك بتصرفات ميلادي فقد ارسل احد خدمه
ليحضر طبيباً على جناح السرعة .

٥٦

الهرب



وكما توقع اللورد ونتر فان جرح ميلادي كان بسيطاً رغم
تظاهرها بالانغماء والضعف بقصد ان تمضي بتمثيل دورها الى النهاية
ووصل الطبيب في الساعة الرابعة صباحاً ، وكشف عن
موضع الجرح وقرر ان لا خطر منه وان حالة ميلادي لا تدعو
للقلق . وهكذا امر اللورد ونتر المرأة بالانصراف ، اذ لم يعد من
حاجة لوجودها بجانب ميلادي .

وانتظرت ميلادي عودة الضابط فلتون ، الا انه لم يأت .
واشدت جزعها وخوفها ، عندما رأت الحراس الجدد المكلفين
بجراستها يرتدون ازياء تختلف عن لباس الفرقة التي ينتمي اليها
فلتون .

واستجمعت شجاعته وسألت حارسها بلهجة مغرية ، عما
جرى للضابط فلتون . فأجابها الحارس بان فلتون قد امتطى

صهوة جواده منذ ساعة وغادر القصر الى جهة مجهولة .
 فشعب وجهها وأحست بالقلق والرعب يستوليان عليها
 ويشلان تفكيرها ، فانطرحت على سريرها وهي في اشد حالات
 اليأس ، وحدثت نفسها بقولها : لقد ارتاب اللورد في سلوك فلتون
 فابعده في الحال عن القصر .

وفي الساعة السادسة دخل عليها اللورد ونتر ، وكان يراعي
 ملائمة العسكرية وخاطبها بقوله :

- كل شيء يجري وفقاً للخطة المرسومة ، والآن يمكنك ان
 تسرعى بحزم امتعك ، استعداداً للسفر غداً .
 وخرج تاركاً اسيرته تندب حظها العاثر .

وعند الساعة العاشرة هبت عاصفة عاتية وبدأ البرق والرعد
 يقصف بشدة اهتزت لها جوانب القصر ، وشعرت ببعض الغراء ،
 لرؤية الطبيعة تشاركها في ثورتها ...

وظلت تنصت الى ثورة الطبيعة في الخارج ، وفجأة طرق سمعها
 نقرأ خفياً على زجاج النافذة المرتفعة والمظلة على البحر ، فاصغت
 بكل جراحة فيها لتتأكد من ذلك ...

ولمع البرق في تلك اللحظة ، وابصرت ميلادي وجه رجل يبدو
 خلف قضبان الحديد ، فاسرعت الى النافذة تفتحها بلهفة وصاحت
 بفرح :

- أهذا انت يا فلتون ؟ .. لقد كتبت لي النجاة ..

اجابها فلتون بصوت مرتجف :

- ارجو ان تلمي الصمت يا سيدتي ، ودعيني افرغ لثشري

القضبان الحديدية . والآن أقفلي النافذة واسرعي بارتداء ثيابك ومتى انتهيت من عملي فسأعلمك في الحال ، بأن انقر ثلاث ضربات على زجاج النافذة .

فامتثلت لأوامره دون تردد ، ونهضت من سريري وترتدي ثيابي ، وتنتظر إشارة منقذها فلتون على أحر من الجمر ، ومضت ساعة كاملة قضتها في الاستماع الى هدير العاصفة وصوت المبرد الذي يعمل بلا انقطاع وكلما لمع البرق كانت ترى ميلادي خيال فلتون منصرفاً الى عملة بهمة ونشاط ، ومضت ساعة أخرى ، سمعت ميلادي بنهايتها فلتون ينقر على الزجاج ثلاث نقرات ، فاسرعت الى النافذة وفتحتها ، فسمعت صوت منقذها يسألها :

— هل انت مستعدة ؟

اجابت :

— نعم اني مستعدة ، وهل يجب ان احمل معي شيئاً ؟

— اذا كان معك بعض النقود ، فأحضريها لاننا قد نحتاجها لنتمكن من الوصول الى الشاطئ بسلامة .

— لحسن الحظ انهم تركوا لي ما كنت احمله من مال وحلي .

— حسناً فعلوا فلقد اضطرت الى انفاق ما املك من نقود في

اكتواء المركب الذي استخدمته للوصول الى هنا .

وهنا مدت ميلادي يدها وناولته كيساً محشواً بالدنانير الذهبية . ثم صعدت حتى حافة النافذة واثقت نظرة فاحصة على الخارج فوجدت تحتها هوة سحيقة وان منقذها يربط نفسه بحبل . فبان عليها التردد والخوف ، وشعر فلتون بتوردها فقال :

- هل تثقين بي ؟
- كل الثقة ، سأهبط وأنا مغمضة العينين .
- هيا ضمي يديك الى بعضهما .
- ففعلت وربط يديها بجنديل ثم تناول من وسطه حبلاً متيناً وربط اليدين ربطاً محكمًا وقال :
- والآن ادخلي يديك حول عنقي ولا تخافي .
- قالت بشيء من التردد :
- ولكنني أخشى ان نفقد التوازن ، فنسقط الى الهاوية ...
- كوني مطمئنة ، فأنا بحار قديم وقد اتقنت مثل هذه الاعمال .
- وبعد لحظات قليلة كان الاثنان متدليين فوق الهوة ، وشرع فلتون ينزلق بحمله على الحبل متمهلاً ، واذا به يتوقف ويهمس باذن ميلادي :
- اسمع وقع اقدام تحتنا ..
- فتمتمت ميلادي في جزع :
- ماذا حدث ؟
- انها دورية من الحرس تقوم بنوبتها التفتيشية .
- اذن لقد افترض امرنا !
- لا اعتقد ذلك ، فالحبل يرتفع عن الارض ستة اقدام .
- وظل الاثنان معلقين في الفضاء وقد حبسا انفاسيهما وتوقفا عن الابيان بآية حركة .
- ومرت الدورية دون ان تلاحظ شيئاً ، وسمع فلتون وقع اقدام تبعد فتنفس الصعداء وقال :

- لقد نجونا !

فزفرت ميلادي زفرة عميقة ، ثم اغمى عليها ، وكان انماؤها
هذه المرة حقيقياً ، لفرط ما بذلت من جهد وما انتابها من جزع
واضطراب في تلك الليلة .

ولما بلغ فلتون نهاية الحبل ، قفز بحمله الى الارض ، ثم حمل
ميلادي بين ذراعيه واسرع بها نحو الشاطئ القريب ونفخ
بصفارته ، فجأوبه في الحال صوت صفارة ، وبعد لحظات قليلة ظهر
قارب وبدخله اربعة نوتية راحوا يجذفون نحو فلتون . ولما اقترب
القارب منه وضع المرأة في جوف القارب وكانت ما تزال مغمياً
عليها ، وصاح بالنوتية :

- الى السفينة وباسرع ما يمكن .

واندفع النوتية يجذفون بقوة ، بينما انصرف فلتون الى حل
الحبل والمندبل اللذين ربط بها يدي ميلادي ، ثم رش على وجهها
قطرات من ماء البحر ، وفرك جبهتها بيديه ، وما لبثت ان
تحركت ، ثم فتحت عينيها وقالت بصوت خافت :

- اين انا ؟

فأجابها فلتون :

- لقد نجوت ا

فاتسعت حدقتا عينيها وصاحت :

- أصبح ما تقول ؟ اجل فهذه هي السماء وهذا البحر

حقاً لقد نجوت ... فشكراً لك فلتون .

فضمها الضابط الشاب الى صدره ولم يفه بكلمة .

وبعد دقائق قليلة ظهرت السفينة تقف في عرض البحر ، فزاد
النوتية من سرعتهم ، حتى أصبح القارب بجاذاتها ، فصعد فلتون
مع رفبته الى ظهر السفينة ، وكان ربانها ينتظرهما على السطح
فخاطبه فلتون :

- هذا هو الشخص الذي كلمتك عنه والذي يجب ان توصله
الى فرنسا سالماً .

فتفرس القبطان بوجه ميلادي وقال :

- على ان تدفع لي مقابل ذلك الف دينار .

فأجابه فلتون :

- لقد نقدتك مقدماً خمسمية

ثم تناول الكيس المحشو بالدنانير وأردف يقول :

- وهذه هي الخمسمية الباقية .

فقال القبطان :

- لن اقبض هذا المبلغ الا بعد وصولنا الى ميناء « بولوتي

الفرنسي .

فقاتل ميلادي :

- اذن عند وصولنا سالمين الى بولوتي فسنأخذك الف دينار

بدلاً من خمسمية .

فصاح القبطان :

- مرحى لك ايها السيدة الجميلة ، وكم اتنى على الله ان يرسل

لي في كل رحلة اشخاصا اسخياء مثلك فطلب اليه الضابط فلتون

ان يتجه بسفينته اول الامر الى خليج صغير يقع بالقرب من ميناء

بورنسموث يرغب الضابط النزول به .
وفي اثناء هذه الرحلة القصيرة قصّ فلتون على ميلادي جميع
ما حدث له ، وكيف استأجر المركب واسرع الى قصر اللورد
ونترلاندزها . وطلبت اليه ان يلحق بها الى فرنسا الى دير
الكرملت في بلدة « بيتون » .

الحوادث التي جرت في بورتسموث



وافترق الضابط فلتون عن ميلادي ، تاركاً قلبه بين يديها ، ولم يحظَ منها بسوى قبلة طويلة طبعها على يدها الناعمة .
ونزل الى القارب الذي قاده الى اليابسة وهو في اشد حالات الاضطراب ، ووقف يلوح بقبعته الى ميلادي مودعاً ، ثم ما لبث ان توارى شخصها الحبيب عن ناظريه وراء الضباب الكثيف .
ووصل القارب الى الشاطئ ، فقفز منه فلتون وأسرع الى طريق بورتسموث التي لم تكن تبعد عن الخليج سوى نصف مرحلة .
واستعرض فلتون في اثناء سيره ، الاتهامات الموجهة الى اللورد دي بوكنهام ، فصور له حبه الاعمى الذي غزا فؤاده منذ ايام معدودة ، بان اتهامات ميلادي حقيقية لا ريب فيها .
ودخل الضابط فلتون بورتسموث عند الساعة الثامنة صباحاً ، وكانت المدينة بأجمعها في حركة غير عادية ، اذ كانت الطبول تفرع

والقوات تتجه نحو المرفأ ..

ووصل فلتون الى مقر الاميرالية ، ليقابل الدوق بوكنفهام هناك ، بوصفه قائداً للاسطول ، وكان قد علاه الغبار ونال منه التعب ، فحاول الحارس ان يمنعه من الدخول ، الا ان فلتون دعا اليه رئيس الحرس وابرز له الرسالة التي يحملها من اللورد ونتر فسمح له بالدخول .

واندفع فلتون الى داخل القصر الواسع ينشد مكتب بوكنفهام وفي الوقت الذي دخل فيه فلتون الرواق المؤدي الى مكتب الدوق بوكنفهام ، وصل الى باب القصر رجل آخر يلهث من شدة التعب ، فسمح له بالدخول ، ولما وصل امام مكتب بوكنفهام ، كان فلتون قد بدأ حديثه مع سكرتير الدوق الخاص باتريك ، فابرز له رسالة اللورد ونتر ، بينما رفض الرجل الواصل حديثاً ، ان يدلي باسم الشخص الموفد من قبله ، ولذلك فقد سمح السكرتير للضابط فلتون بان يقابل الدوق اولاً ، بينما اضطر الرسول الآخر الى الانتظار . ووصل فلتون الى قاعة الانتظار وكانت غاصة بعدد كبير من زعماء مدينة لاروشيل ، حضروا خصيصاً لمقابلة بوكنفهام . ودخل سكرتيه الخاص باتريك يعلن لسيده وصول الملازم فلتون من قبل اللورد ونتر ...

فردد الدوق العبارة وقال :

— ليدخل ...

ودخل الملازم فلتون الى جناح الدوق الذي كان قد ارتدى ثيابه ، والتفت يخاطب فلتون :

- لماذا لم يحضر اللورد بنفسه ، فقد كنت انتظر قدومه في هذا الصباح .

فاجاب فلتون :

- لقد كلفني بان اقول لكم انه يأسف اشد الاسف لعدم تمكنه من الحضور شخصياً ، لانه مضطر الى البقاء للقيام بنفسه على حراسة القصر .

فقال الدوق :

- نعم ... اعلم ان في قصره أسيرة ...

فقال فلتون :

- وهذه الاسيرة هي التي أود ان أحدثكم بشأنها يا مولاي ، ولكن ما ساقوله لكم يجب ان لا يسمعه غيركم ..
فالتفت الدوق الى سكرتيره الخاص وقال له :
- دعنا لوحدنا يا باتريك ، ولكن لا تبعد لاني سادعوك بعد قليل .

فامثل باتريك لاوامر سيده وخرج ، ثم التفت الدوق بوكنغهام الى فلتون وقال .

- لقد اصبحنا لوحدنا ايها السيد ، فقل ماتريد .

فقال فلتون :

- ان اللورد دي ونتر قد كتب اليكم يا سيدي رسالة منذ بضعة ايام ، يلتمس منكم ان توقعوا على امر يقضي بابعاد امرأة تدعى شارلوت باكسون .

فأجابه الدوق بوكنغهام :

- اعلم ذلك ، ولقد اجبت اللورد بان يبعث اليّ بالامر
للتوقيع عليه .

- هوذا الامر ياسيدي .

فتناول الدوق الامر ، وراح يمعن النظر فيه ، ثم اخذ قلماً
وهم بالتوقيع عليه ، فبادره الضابط فلتون بقوله :

- عفواً ياسيدي اللورد ، هل تعلم ان اسم شارلوت باكسون ،
هو اسم مستعار للمرأة الشابة .

فرفع الدوق نظريه الى فلتون وقال :

- اعلم ذلك ايها الضابط ، كما اعلم ان اسمها هو ميلادي او
اللاذي ونتر ...

- وهل ما زلت مصرّاً على توقيع الامر ياسيدي ؟

- اجل ... ان هذه المرأة مجرمة وتستحق العقاب الصارم ..

وكان الدوق في هذه الاثناء قد وضع الورقة على المائدة وادنى
القلم منها ليوقع بامضائه عليها ...

فخطا فلتون خطوة الى الامام وقال :

- لن توقع ياسيدي على هذه الوثيقة !

فرفع بصره الى فلتون بدهشة وقال :

- ولماذا ايها الضابط ؟ !

- لانها بريئة ياسيدي بما نسب اليها ...

- لا شك انك مجنون ايها الرجل حتى تجرؤ على توجيهه

مثل هذا الحديث إليّ !

فأجابه فلتون :

- معذرة يا سيدي الدوق ، انني مطلع على جميع اعمالك
ولهذا اطلب اليك ان توقع امرآ باطلاق سراح هذه المرأة .
فبلغ الخنق بالدوق اشده وقال :
- اغرب عن وجهي ايها الوغد ، والا قرعت الجرس وأمرت
بوضعك بالحديد .

فاسرع فلتون وكان في حالة هياج شديد ، يحول بين حلقة
الجرس وبين الدوق ، وهنا صاح الدوق باعلى صوته : « اليّ ايها
الحراس » وامتشق حسامه ، الا ان فلتون لم يدعه يستخدم
حسامه للدفاع عن نفسه ، فقد وثب عليه واغمد في صدره المديّة ،
التي طعنّت بها ميلادي نفسها فصرخ الدوق بوكنفهام بصوت
متحشرج :

- لقد قتلتني ايها الوغد !
وفي تلك اللحظة دخل باتريك يقول :
- رسالة من فرنسا يا مولاي !
وما ان رأى باتريك الدماء تنفجر من صدر سيده الدوق حتى
صاح باعلى صوته :
- القاتل ... القاتل !

والقى فلتون نظرة سريعة على الباب ، وفي لمح البصر وثب
الى خارج الغرفة ، متجهاً نحو السلم ، ولكنه لم يكدر يتخطى
الدرجات الاولى ، حتى اصطدم باللورد ونتر ، الذي رآه شاحب
اللون ، ملوثاً بالدم ، فاسرع يمسك به وهزّه بعنف ، ثم نادى
الحرس وطلب اليهم ان يحفظوا به ، واسرع اللورد ونتر راكضاً

الى غرفة بوكنفهام ، فوجده ممدداً على اريكة وقد وضع يده
على موضع الجرح وراح يضغط بشدة ، وسججه يقول بصوت
ضعيف :

- هل جاء لابورت من قبلها؟

فأجابه تابع الملكة وكاتم اسرارها وكان قد دخل الحجرة في
اللحظة نفسها :

- اجل يا مولاي ، لقد جئت من قبل الملكة آن دوتريش
واظني حضرت بعد فوات الاوان .

ففتح الدوق بوكنفهام فمه وغمغم :

- لا تقل ... ذلك يا لابورت ... باتريك لا تدع احداً
يدخل الى حجرتي .

قال عبارته الاخيرة واهمي عليه في الحال .

وفي اثناء ذلك انتشر النبا المروع في ارجاء القصر ، ونقل
بسرعة البرق الى انحاء المدينة . واطلقت طلقة مدفع دلالة على
وقوع حادث غير منتظر ..

وتجاوبت صدى هذه الطلقة في اذني اللورد دي ونتر ، فراح
يشد شعره غيضاً وكمدأ وقال يخاطب نفسه :

- لقد وصلت متأخراً دقيقة واحدة ..! يا لتعاسي !

وكان اللورد دي ونتر قد أبلغ عند الساعة السابعة صباحاً بان
سلكاً من الحبال يتدلى من إحدى نوافذ قصره المطلة على البحر ،
فأمرع في الحال الى حجرة ميلادي فوجدها خالية ، والنافذة المطلة
على البحر مفتوحة والقضبان الحديدية قد قطعت ببود ، وتذكر

في تلك اللحظة الرسالة الشفهية التي بعث بها اليه الفارس داونيات
عن الغاية التي حضرت من اجلها ميلادي الى انكثرا ، فارتجف
خوفاً على حياة الدوق بوكنفهام ، واسرع يتطير صهوة جواده ،
ويتجه لتوه الى بورتسموث... ولسوء حظه وصل متأخراً ، وكان
فلتون قد نفذ رغبة ميلادي ، وطعن الدوق بوكنفهام طعنة قاتلة
في صدره ...

واستعاد الدوق وعيه ، ولكنه كان يتنفس بصعوبة ، وفتح
عينيه ، والتفت الى المجتمعين في حجرة وقال بصوت خافت :
- ارجو ايها السادة ان تدعوني في خلوة مع باتريك ولا بورت.
وحانت منه التفاتة ، فرأى اللورد دي ونتر فخاطبه بقوله :
- هذا انت يا ونتر؟ لقد بعثت الي بوجل مجنون هذا الصباح ،
انظر ماذا فعل بي ؟

فصاح اللورد دي ونتر وقد خنقته العبرات :
- آه يا سيدي لن يعرف العزاء الى قلبي سبيلًا .
وبعد ان مدّ الدوق يده الى ونتر ليصافحه ، اشار اليه بالخروج ،
وظل الدوق الجريح يمدّ على الاركة المستطيلة ، وقد جثا الى
جانبه لا بورت رسول الملكة آن دوتريش ، بينما وقف باتريك ينتظر
قدوم الطبيب الذي تأخر وصوله .

وهنا قال الدوق مخاطباً لا بورت بصوت أشبه بالانين :
- هيا اقرأ لي مضمون رسالتها .
ففض لا بورت الرسالة وراح يقرأ :

« سيدي :

لقد تحملت منذ ان عرفتكم الآلام والعذاب ، فاذا كنت تريد ان تدخل الطمانينة الي قلبي ، فارجوك ان تتوقف عن هذه الاستعدادات العسكرية التي تعدها ضد فرنسا ، وضع حداً لهذه الحرب ، التي يقال ان السبب الظاهر لها هو لاسباب دينية ، بينما السبب الحقيقي هو حبك لي .

وفضلاً عن ان هذه الحرب تحمل الولايات لانكلترا وفرنسا معاً ، فهي في الوقت نفسه تعود عليك بالمصائب والويلات . . . اسهر على حياتك ، المهددة بالاختار ، والتي هي عزيزة لدي بقدر ما يعز علي ان ارى فيك عدواً لبلادي .

المخلصة آف »

وبعد ان انتهى رسول الملكة من تلاوة الرسالة ، قال الدوق

بصوت خافت :

- أهذا كل ما لديك يا لا بورت ؟

فاجابه لا بورت :

- نعم يا مولاي ، لقد كلفتني ان ارجوك ان تكون حذراً ويقظاً ، لأن هناك من يسعى لاغتيالك .

- ولا شيء غير ذلك ؟

- اجل يا مولاي ، لقد طلبت الي ان اقول لك بانها ماتزال تحبك ا

فارسل الدوق زفرة عميقة من صدره وقال :

- شكراً لك يا الهي !

والتفت الى باتريك الذي ظل مسمرآ وخاطبه :

- ائمني يا باتريك بالصندوق التي كانت تضم هديتها الغالية .
فأسرع باتريك يلبي طلب سيده بسرعة ، ووضع الصندوق
بين يديه .

فتلمسها الدوق باصابعه ثم قال :

- خذ يا لابورت .. هذا هو التذكار الوحيد الذي املكه منها ،
ومعه هاتان الرسالتان ، واني اعهد اليك باعادة هذه الامانة اليها ،
وكتذكار اخير مني اليها . . . رجال ببصره في الغرفة يبحث عن
شيء ثمين ، الا انه لم يقع على شيء يستحق ان يكون هدية جديته ،
رجال بعينه مرة اخرى ، وقد غشتها سحابة سوداء فلم تقعا الا على
المدية التي طعنه بها فلتون . فقال وهو يضغط على يد لابورت .
- اصف اليها هذه المدية . . !

وكان قد دخل في النزاع الاخير ، وفي لحظات قليلة لفظ
أنفاسه الاخيرة ، وخذت كل حركة في جسمه ذلك الرجل العظيم .
وأطلق باتريك صيحة فزع مدوية .
وفي تلك اللحظة بالذات حضر الطبيب ، فأسرع يحس نبض
الدوق وقال :

- لا فائدة من ذلك . . . لقد مات .

وغصت غرفة الدوق بكبار القوم ورجال القصر وقد بدت
على وجوههم امارات الحزن الشديد .
وأسرع ونتر الى شرفته الصغيرة المطلة على البحر حيث وضع
فالتون بجراحة عدد من الجنود .
وكان قد استعاد هدوءه ورباطة جأشيه ، فتقدم منه اللورد

ونتر وانتهموه بعنف قائلًا :

- يا لك من رجل وغد... حقير ، لقد كنت اداة طيعة في يد تلك المرأة الماكرة ، وستكون هذه الجريمة آخر جرائمها .
واذا بالشاب فلتون يرتجف فجأة ، وهو يرمي بنظره الى ناحية معينة من البحر ، فقد شاهد السفينة التي تقل ميلادي تبصر بسرعة باتجاه الاراضي الفرنسية ، وقد ادرك في تلك اللحظة فظاعة الخيانة التي ذهب ضحية لها .

والفتت الى اللورد متوسلاً :

- لي رجاء اخبر يا سيدي ؟

فسأله ونتر بازدياء .

- قل ماذا تريد ؟

- كم الساعة الآن ؟

فنظر اللورد الى ساعته وقال .

- انها التاسعة الا عشر دقائق .

فحدث فلتون نفسه بقوله : « اذن فقد قدمت ميلادي سفرها ساعة ونصف الساعة ، ومنذ اللحظة التي سمعت فيها طلقة المدفع تعلن النبا المشؤوم ، أوعزت الى القبطان بان يرفع المرساة ويسرع بمغادرة المياه الانكليزية ... »

٥٨

العودة الى فرنسا



وكان همّ ملك انكلترا شارل الاول ، عندما علم بمقتل الدوق دي بوكينغهام ، ان يكتّم الخبر اطول مدة ممكنة ، فامر باقفال الموانئ الانكليزية ليحول دون خروج اي مركب من الاراضي الانكليزية قبل اقلاع الاسطول الذاهب لنجدة قوات لاروشيل . ولكن قبل ان يذاع امر الملك ، غادرت سفينتان ميناء بورتسموث ، وكانت على احدى السفينتين ميلادي ، التي لم تتأكد من الخبر الا بعد ان رأت الراية السوداء ترتفع على سارية سفينة الاميرالية ، فطلبت من قبطان السفينة ان يسرع بالخروج من الميناء حالا ، وتمكنت ، رغم العقبات ، من ان تصل الى ميناء بولوني الفرنسي سالمة .

اما السفينة الثانية التي تمكنت من مغادرة ميناء بورتسموث قبل صدور امر الملك ، فسنتأني على ذكرها فيما بعد .

ولم يقع خلال هذه الفترة ابي حادث يذكر في معسكر الملك
يس الثالث عشر ، وكان جلالاته كعادته يبدي تبرمه وضجيره
من الحياة الهادئة التي تسير على وتيرة واحدة خالية من المسرات
والمتع .

وفي ذات يوم قرر الملك الذهاب متنكرآ الى سان
جرمان ، لحضور حفلات عيد سان لويس ، وطلب الى
الكردينال ان يُعدّ له عشرين فارساً من الاسماء المخلصين لمرافقته
بهذه الرحلة . فامرع الكردينال ينغذ رغبة الملك بسرور ، بعد ان
نال وعدآ من جلالاته بان يعود الى المعسكر قبل الخامس عشر من
شهر ايلول ، وطلب الى القائد دي تريفيل ان يتولّى اختيار عشرين
فارساً لمرافقة جلالة الملك في رحلة سرية .

وكان دي تريفيل يدرك مبلغ شوق الفرسان الاربعة ، وخاصة
دارتنيان لزيارة العاصمة ، ولو انه يجهل الدافع الحقيقي لهذا الشوق
ولهذا كان طبيعياً ان يقع عليهم الاختيار قبل غيرهم من الفرسان
الذين سيرافقون الملك .

وكان دارتنيان قد حصل على أمر من الملكة عن طريق سيدة
نورس ، يسمح باخراج حبيبته السيدة بوناسيو من دير راهبات
الكرمليت نهائياً ، ولهذا كان ينتظر الفرصة المناسبة ليلتقي
بحبيبة قلبه .

ورافق الكردينال الملك حتى بلدة « مونرو » وهناك استأذن
الملك بالعودة الى المعسكر ، بينما واصل الملك رحلته الى
باريس .

وكان الفرسان الاربعة أسبق الجيوش الى نيل اجازاتهم ، فلم يضيع دقيقة واحدة من وقتهم ، بل ساروا سن ساعتهم في الطريق المؤدي الى « بيتون » يتبعهم خدمهم الاربعة .

وتوقف الراكب في مدينة « ارامس » ودخلوا حانة تقع الى جانب الطريق ، ليأخذوا قسطاً من الراحة ، ويتناولوا بعض الطعام والشراب .

ولما استقر بهم المقام حانت من دارتنيان التفتاة ، فوقع نظره على رجل يسرع بالحروج من فناء دار البريد المجاورة للحانة ، ويمتطي صهوة جواده ، وينطلق به راكضاً نحو باريس ، وراح دارتنيان يراقب باهتمام زائد الرجل ، الذي كان يرتدي معطفاً طويلاً يخفي تقاطيع جسمه ووجهه ، وازاح الهواء طرف المعطف عن وجهه ، فارتجف دارتنيان ، وسقط القدرح من يده دون ان يشعر ، واذا به يشب نحر السلم بهم باللهاق به ، فاسرع رفيقه آتوس يسلك به قائلاً :

- ماذا بك يا عزيزي ، الى اين انت ذاهب على هذا الشكل ؟

فصاح دارتنيان وقد اصفر وجهه وتصبب العرق البارد من

جبينه :

- انه هو بعينه .

فسأله آتوس :

- ومن هو ؟

فقال دارتنيان :

- انه ذلك الرجل اللعين ، نذير الشؤم ، الذي يعترض طريقي

في كل مرة اكون فيها مهدداً بالخطر ... فهو الذي التقيت به
عدة مرات ... وانتهت كل مقابلة بأمانة جديدة كان له اليد
الطولى في تدبيرها ... لنسرع بالهياق به والقبض عليه ...
فبادره اراميس بقوله :

- ولكنك نسيت يا عزيزي انه يسير في طريق معاكسة
للطريق التي تسير فيها ، فلندعه الى فرصة اخرى ، ولنسرع بانقاذ
السيدة بوناسيو .

ومر بهم في تلك اللحظة غلام يركض في أثر الفارس صائحاً :
- قف ايها السيد ، فهذه الورقة قد سقطت من قبعتك !
فاسرع دارتنيان يستوقف الغلام وقال له :
- اعطني هذه الورقة ، وخذ نصف دينار ...
فصاح الغلام مبتهجاً :

- بكل سرور يا سيدي ، فها هي الورقة خذها ...
وتلقى نصف الدينار بلهفة زائدة وعاد الى الاسطبل القريب من دار
البريد ، بينما تناول دارتنيان الورقة ، والقى عليها نظرة فاحصة
وقال :

- ولكني لا ارى فيها الكلمة واحدة .. هي « ارمنتير »
فصاح اراميس :
- انها اسم بلدة او قرية على الاغلب .
فقال دارتنيان :

- سأحتفظ بهذه الورقة ، فلعلها تكون ذات فائدة لنا في
المستقبل . والان هلموا ايها الرفاق نمتطي جيادنا ونتابع سيرنا .

٥٩

دير الكرمليت



وكانت ميلادي في ذلك الوقت الذي وصل فيه الفرسان
الاربعة ، الى بيتون ، في دير الكرمليت تتحدث الى رئيسة
الدير ، فقد وصلت الى الدير في ذلك الصباح وبرزت للرئيسة
بطاقة توصية رسمية من الكردينال ، فأحسنت الرئيسة استقبالها ،
وافردت لها غرفة في الدير .

وكانت ميلادي قبل قدومها الى الدير قد ارسلت الى
الكردينال ويشليو الرسالة التالية :

« ليتق نيافتك بان الدوق دي بوكنفهام لن يحضر بعد اليوم
الى فرنسا !... »
ميلادي

ملاحظة : اما انا فقد ذهبت بناء لاوامر نيافتك الى دير
الكرمليت في بيتون ، وسأبقى هناك انتظر اوامرك ... »
ولحظت ميلادي خلال الحديث ان رئيسة الدير من المتحمسين

للك ، الناقمين على الكردينال ريشليو فتعمدت ميلادي الطعن به
وانتقاد تصرفاته ضد خصومه السياسيين .

وسألها بعد ذلك رئيسة الدير :

- اذن فلست من اعداء مذهبنا المقدس يا سيدتي ؟

فصاحت ميلادي باستنكار :

- وهل يتبادر الى ذهنك انني بروتستانتية ؟ كلا يا سيدتي فانا
كاثوليكية راسخة العقيدة .

ثم لفقت ميلادي للرئيسة قصة جديدة ملخصها ان الكردينال
يسعى الى اضطهادها ومطارقتها بعد ان كانت من اعوانه ، وانها
تخشى ان تقع بين دقيقة واخرى في قبضة اتباعه الكثير الذين
يتعقبون خطواتها .

وكانت الرئيسة تعلم ان ضيقها الجديدة بحاجة ماسة الى الراحة
والنوم بعد تكبدها مشاق السفر الطويل ، فقادت الى حجرتها ،
وتركتها بعد ان وعدتها بالعودة اليها لايقظها ساعة الغداء .

واستسلمت ميلادي لسلطان النوم ، وقد غمرها سروو عميق ،
لاعتقادها بان دارتليان بات في قبضتها ، فقد وعدا الكردينال
بالقضاء عليه اذا نجحت بمهبتها في انكلترا . وهي قد اصاب من
النجاح في مهبتها ، ما لم تكن تلتظره ، فقد تمكنت بواسطة
ذلك المعتوه فلتون من قتل الدوق بوكنفهام ، دون ان يلحق
بها ادنى تهمة من جراء هذا العمل الفظيع !

واستفاقت ميلادي على صوت ناعم ، ففتحت عينيها ، وابصرت
رئيسة الدير تقف الى جانب سريرها وبرفقتها امرأة شابة ، رائعة

الجمال ترتدي زي الرهبان المتدئات .
وانصرفت الرئيسة تاركة الراهبة الشابة في حجرة ميلادي ، ولما
همت الراهبة الناشئة بالانسحاب استوقفتها ميلادي ودعتها للجأوس
على مقعد قريب من سريرها قائلة :
- أرجو ان تبقي هنا ، فأنا بحاجة الى من يؤنس وحشتي .
فقال الراهبة الناشئة :
- أما انا فقد قضيت ستة أشهر وحيدة في هذا الدير ، ولكفي
سأبرحه قريباً .
- اذن ساقى وحيدة بين جدوان هذا الدير .
ثم مالت على الراهبة الناشئة وهمست باذنها قائلة :
- علمت انك كنت ضحية بريئة للكردينال ، فكلانا لاقى من
ذلك الرجل الرهيب مُرّ العذاب .
وقالت الراهبة الشابة :
- نعم انني ضحية للكردينال .. وكان ذنبي الوحيد انني
اخلصت لامرأة طيبة القلب ، ضحيت من اجلها حياتي وما ازال
اضحي .
- وامن هي هذه المرأة الطيبة القلب ؟
- انها الملكة يا عزيزتي ، فقد اسأت الظن بها ، ولكفي وجدت
نفسي بعد حين انني مخطئة .
وقالت ميلادي متظاهرة بالاعتناع بقول الفتاة :
- حقاً ان الملكة طيبة القلب .
فسألتها الفتاة بحماس :

- وهل قابلتها شخصياً ؟
- لم اقابلها بالذات ، لكنني اعرف عدداً من الاشخاص هم من اخلص المقربين لجلالته امثال القائد دي تريفيل .
- فهمت الفتاة بغبطة :
- وهل تعرفين القائد دي تريفيل ، وأبرز فرسانه البواسل ؟
- .. أجل .
- هل تعرفين فارساً شهماً يدعى آتوس ؟
- فامتقع لون ميلادي عند ذكر هذا الاسم ، وبأن عليها الارتباك الشديد فبادرت الفتاة تسألها :
- ما بالك لا تجيبين يا عزيزتي ، هل قلت شيئاً أساء اليك ؟
- فأجابت ميلادي ببرود :
- كلا ... الا ان هذا الاسم قد استلقت نظري لاني اعرف صاحبه .
- وانا اعرف رفيقيه الفارسين بورتوس و اراميس ايضاً .
- وانا اعرفهما ايضاً ، عن طريق رفيق لهم يدعى دارتنيان .
- فامسكت الفتاة بيد ميلادي وسألتها بلهفة ظاهرة :
- وهل تعرفين حقاً الفارس دارتنيان ؟
- فصمت الفتاة قليلاً ثم اردفت تقول :
- لا شك انك كنت عشيقته .
- فصاحت بها ميلادي :
- لا بل انت عشيقته يا سيدتي ... فقد عرفتك الان فانت السيدة بوناسيو .

فتراجعت الشابة منذهلة جزعة وقالت :

- حسناً ... وهل نحن عدوتان متنافستان ؟

فبرقت عينا ميلادي بنيران الغيرة والحقد وقالت :

- كلا ... فانا لم اكن عشيقته ولن اكون ابداً ... ولكن

دارتنيان كان مجرد صديق ، وقد ائتمني على اسراره الخاصة ،
فمنذ الساعة التي اختطف فيها وهو ما يزال في حالة يرثى لها ،
وسيكون مروره عظيماً عندما يعلم بوجودك في هذا المكان .

فمدت ميلادي ذراعيها وطوقت عنق السيدة بوناسيو ، متظاهرة
بالغبطة للعثور عليها ، بينما هتفت هذه الاخيرة تقول :
- إن دارتنيان سيصل الى هنا قريباً .

فاجابتها ميلادي :

- هذا مستحيل فهو الان في حصار لاروشيل ، ولن يعود الا
بعد الاستيلاء على المدينة .

وعرضت على انظار ميلادي رسالة قرأت فيها العبارات التالية :

« عزيزي : كوني على تمام الاستعداد ، لان صديقنا سيحضر
لرؤيتك قريباً ، ولاخراجك من السجن الذي لم يكن منه
بد ، حرصاً على سلامتك ، كوني مستعدة للرحيل .. ان صديقنا
الفاسقوني الشاب قد برهن على انه شجاع ومخلص ، فلا تنسني ان
تشكرك بالنيابة عني المعلومات التي وافانا بها . »

وحدثت ميلادي نفسها قائلة : « انه خط السيدة دي شيفروز » ..

ثم اردفت تقول :

- اجل إن الرسالة واضحة ... ولكن هل تعرفين ما هي تلك

المعلومات ؟

- كلا ... ولكنني اعتقد انه حذر الملكة من بعض تصرفات
الكردينال .

وقطع عليها الحديث وقع حوافر حصان يقترب من باب الدير ،
فصاحت السيدة بوناسيو قائلة :

- رباه هل يكون هو القادم ؟!

اما ميلادي فقد تولاها الرعب فانظرت على سريره ، بينما
كانت جرمين بوناسيو تثب الى النافذة لتري القادم .

وفي تلك اللحظة دخلت رئيسة الدير الى الغرفة ، وقالت ان
بالباب رجلاً من قبل الكردينال يطلب مقابلة السيدة القادمة من
بولوني ...

فأجابت ميلادي متظاهرة بالخوف :

- دعيه يدخل لاري ماذا يريد .

فقالت السيدة بوناسيو جزعة :

- يا الهي ارجو ان لا يكون حاملاً انباء مزعجة لك ،
وسأتركك الآن على ان اعود اليك بعد ذهاب رسول الكردينال .
ثم ما لبثت ان خرجت مع الرئيسة ، تاركة ميلادي وحدها في
الحجرة .

وبعد لحظات قليلة دخل الغرفة الكونت دي روشفور ساعد
الكردينال الايمن ، فارسلت ميلادي صيحة ارتياح لرؤية هذا
الرجل .

٦٠

عندما تتلاقى الابالسة



- فهمت الكونت دي روشفور قائلاً :
- هذه أنت يا عزيزي ميلادي ؟!
- اجل ... ومن اين أنت قادم ؟
- من معسكر لاروشيل ، وانت ؟
- من السكاتوا ...
- وماذا حل بالدوق بوكنفهام ؟
- لقد فاجأه احد المتعصبين بطعنة مدمية في صدره ، ولا ادري
- اذا كان قد فارق الحياة ام اصيب بجرح خطر ...
- وهل انبأت نيافته بما حدث ؟
- نعم ، فقد كتبت اليه رسالة مطوالة فور وصولي الى مرفأ
- بولوني .
- والظاهر ان نيافته قلق ، ولهذا ارسلني للبحث عنك .

ثم راحت تقص على الكونت دي روشفور، بانها صادفت عشيقه
الفارس دارتنيان في هذا الدير ، وأن هذه المرأة تنتظر وصول
دارتنيان مع رفاقه الى هنا .

ووعده دي روشفور بان ينقل الى نياقة الكوردينال تفاصيل
هذه الحوادث ، كما سيطلعه على نشاط هؤلاء الفرسان ومساعدتهم
المعاكسة لمشاييع نياقته .

وقبل ان يغادر الكونت دي روشفور الدير ، وعده ميلادي
بارسال العربة على جناح السرعة اليها ، وانه ينتظرها في بلدة
« ارمافتيير » الواقعة على الضفة الاخرى من النهر .

فقالت ميلادي :

- وداعاً ايها الكونت ...

- الى اللقاء ايها الكونتس .

وتبادل الاثنان ابتسامة ذات معنى وخرج الكونت مسرعاً
ليتمطي جواده ، ويسرع في الطريق التي قدم منها .

٦١

كأس الخمر



وما ان غادر الكونت روشفور الدير ، حتى دخلت السيدة
 بوناسيو غرفة ميلادي ، فوجدتها باسمه الثغر ، فسألته عن شخصية
 القادم ، فزعمت انه شقيقها ، وقد حضر خصيصاً لانقاذها . .
 عندما علم بأن رجال الكردينال يجردون في البحث عنها لالقاء
 القبض عليها ، وازافت بان شقيقها قد التقى في اثناء الطريق
 برسول الكردينال فتمكن من القضاء عليه ، وانتزع منه الاوراق
 التي يحملها من الكردينال وادعى امام رئيسة الدير بانه هو رسول
 الكردينال . وقد قرر ان يرسل الي عربة خاصة لتتقلني من هذا
 الدير الى مكان أمين . وقد علمت ايضاً ان الرسالة التي وصلت
 اليك هي مزورة ، وما هي الا شرك للايقاع بك وجعلك لاتبدن
 اي مقاومة في مغادرة هذا الدير الامين .
 ثم استطردت قائلة :

- لا تندفعي مع الأوهام ، فان صديقك لن يحضر . . . لانه
ورفاقه هم الآن في حصار لاروشيل
فاقتنعت السيدة بوناسيو بجديث ميلادي وشكرتها على
اهتمامها وعطفها . .

وفي ذلك المساء ، بينما كانت ميلادي تتناول طعام العشاء على
مائدة رئيسة الدير والى جانبها السيدة بوناسيو ، طرق سمعها
وقع حوافر جياذ عديدة تقترب من الدير ، فانتفضت ، واسرعت
الى النافذة وما ان رمت بنظرها الى الخارج حتى تسمرت في
مكانها ، فقد رأت دارتنيان ورفاقه الثلاثة على بعد خمسين
طوة من باب الدير ، فصاحت بالسيدة بوناسيو قائلة :

- انهم رجال الكردينال وقد اقبلوا لالقاء القبض علينا ! . .
فاستولى الرعب الشديد على المسكينة جرمن بوناسيو ،
وتشبثت بالمائدة لكي تحفظ توازنها ، واخيراً اقتربت منها ميلادي
قائلة :

- تعالي نهرب معاً عن طريق الحديقة قبل ان يدركنا هؤلاء
الاوغاد . . .

وفي تلك اللحظة سمع صوت عربة تسير سيراً حثيثاً ، ثم دوت
بضع طلقات نارية ، وابتعدت العربة بسرعة .
فقابلت ميلادي بلهفة :

- هل تريدان ان تأتي معي ؟
فاجابتها السيدة بوناسيو وهي ترتجف فرقاً :
- ما العمل . . . انني لا اقوى على المشي ، فاذهبي وحدك

ودعيني لشأني .

- وهل تريدان ان أنجو بنفسي وادعك رحيدة؟

وبرقت في رأسها فكرة جهنمية ، فأسرعت تتناول كأس
جرمين المملوء خمرآ وتفرغ فيه مسحوقاً كانت تضعه في تجويف
الفص من خاتمها ، ثم ادنت القدح من شفهي المرأة وقالت لها :
- اشربي يا عزيزتي فالخمر يعطيك قوة ويعيد اليك نشاطك ...
فلم تتود جرمين لحظة واحدة ، واخذت الكأس وجرعت
دفعه واحدة وما ان استقرت الخمر في جوفها ، حتى شعرت بدوار
ينتابها وغشاوة كثيفة تسدل على عينيها ، واحست بثقل في اطارفها
وشلل في اعضائها لا تقوى معه على الحركة ، وانتظرت عودة
ميلادي الا انها لم تعد ... وطرق سمعها صوت حركة غير عادية في
الرواق المؤدي الى غرفتها ، وسمعت وقع اقدام عديدة تقترب
منها ، وخيل لها انها تسمع اسمها يتردد مرارآ ، واذا بها تصيح
صيحة الفرح وتثب نحو الباب المقل رغم ضعفها وتحاذلها ، فقد
عرفت من بين الاصوات العديدة صوت الفارس دارتنيان
حبيبها ، وراحت تصيح بلء فيها :

- دارتنيان .. انا هنا في هذه الغرفة !

فرد عليها دارتنيان :

- جرمين حبيبتي .. انني قادم لنجدتك !

وبعد لحظات قليلة تحطم الباب ، ووثب الى الغرفة اربعة
رجال دفعه واحدة واسلحتهم بايديهم ، واسرع دارتنيان يحمل
حبيبته بين يديه وهي عاجزة عن الحركة ؛ وراح يغمرها بقبلاته

المجموعة .

ولاحظ آتوس تخاذلها فسألها :

- لمن هذا القديح يا سيدتي ؟

فأجابته بصوت خافت :

- انه قدحي وقد سكبت الخمر فيه .. هي ..

فسألها آتوس بلهفة :

- ومن هي ؟

فتمتمت قائلة :

- .. انها .. الكونتس دي ونتو !.

فارسل الفرسان الاربعة صيحة واحدة وقد ارتسم على

قسمات وجوههم الرعب المجسم .

وكان وجه السيدة بوناسيو الجميل يزداد شحوباً ، واخذ

جسدها البديع يتشنج تدريجياً والعرق البارد يتصبب غزيراً .

ولما شاهد دارتنيان حبيبته على هذه الصورة المفجعة شرع

يصرخ بلا انقطاع :

- النجدة ايها الرفاق ..

فقال آتوس بمرارة والم :

- واية فائدة من طلب النجدة ان السم الذي تسكبه تلك

المرأة الشريرة لا ينفع فيه ترياق في الوجود !

وارسلت المسكينة زفرة اخيرة ، ولفظت اسم حبيبها

دارتنيان ، الذي كان يحتويها بين ذراعيه ، وحدقت في عينيها

لحظة ، كأن كل كيائها قد تحول الى هذه النظرات ، ثم الصقت

شقيتها بشفتيه ، وخرجت من صدرها أنثة عميقة لفظت معها
انفاسها الاخيرة ..

ولم يشأ دارتنيان المسكين ان يصدق ان التي يضمها الى
صدره قد اصبحت جثة هامة ، فراح يناجيها باعذب الالفاظ
وكأنها ما تزال على قيد الحياة ..

واجهش بورتوس بالبكاء ، ورفع اراميس رأسه نحو السماء
يستشهدا على فظاعة هذه الجريمة النكراء ، اما آتوس فقد رسم
على صدره علامة الصليب وراح يتلو صلاة عن نفس المسكينة ..
وفي تلك اللحظة الحرجة وقف امام باب الغرفة رجل غريب ،
وكان وجهه لا يقل اصفراراً عن وجوه الرفاق الاربعة ، ونظر
الرجل الغريب الى ما حوله ، فشاهد السيدة بوناسيو جثة هامة
والى جانبها حبيبها دارتنيان يندب حظه العاثو وهو لا يعي شيئاً .
فقال بصوت متهدج :

— لم يخطيء ظني ، فهذا هو الفارس دارتنيان ، وانتم رفاقه
الفرسان الثلاثة : آتوس وبورتوس وaramيس أليس كذلك ؟

فتبادل الفرسان النظرات وتخليل اليهم انهم يعرفون هذا
الرجل الغريب الذي أردف يقرل :

— ايها السادة انتم تبهشون عن امرأة مجرمة ، ولقد مررت ولا
شك بهذا المكان ، بدليل اني ارى جثة لضحية جديدة من
ضحاياها .. انني أدعى اللورد ونترايها السادة ، وانا شقيق زوج
تلك المرأة المجرمة !

فصاح الفرسان صيحة الدهشة ، ومد آتوس يده الى اللورد

يصافحه قائلاً :

- اهلاً بك ياسيدي ، وتأكد بانك أصبحت مناساً في محاربة تلك المرأة الماكرة .

فقال اللورد ونتر :

- لقد غادرت ميناء بورتسموث بعد خروجها بخمس ساعات ووصلت الى بولوني بعد وصولها بثلاث ساعات ، ورحلت اتببع آثارها خطوة بخطوة حتى وصلت الى بلدة « ليليه » حيث فقدت أثرها .. واخيراً رأيتمكم تمرون بي مسرعين فناديتكم فلم تسمعوا ، فاسرعت في اثركم ، وها اني ارى ويا للأسف انكم زغم اسراعكم قد وصلتكم بعد فوات الاوان !

فقال آتوس بمرارة مشيراً الى السيدة بوناسيو :

- كما ترى ياسيدي اللورد ..

وفي تلك اللحظة رفع دارتنيان رأسه بعد ان تولى كل من بورتوس وارانيس تدليك جبهته ، وما ان تمالك قواه حتى ارمى على جثة حبيبته يذرف الدموع الغزيرة ، فاسرع آتوس يحتضنه محاولاً تعزيته وخاطبه بلهجة النبيلة قائلاً :

- كن رجلاً يا عزيزي .. فالنساء فقط هن اللواتي يذرفن

الدموع على الاموات ، اما الرجال فعليهم ان يثأروا لموتاهم !

فرفع الفارس الشاب عينيه وقال :

- أصبت ايها الصديق ، فسأنتقم لها.. ولهذا فانا مستعد للحاق

بك الى حيث تشاء ...

وغادر الفرسان الاربعة الدير ، يرافقهم اللورد ونتر ، وطلبوا

من الرئيسة ان تتولى دفن جثمان حبيبة دارتنيان والصلاة لراحة
نفسها .

وبعد ان قطعوا مسافة قصيرة توقفوا امام باب الفندق الوحيد
الموجود في تلك البلدة .

فقال آتوس :

— من الافضل ان نقضي ليلتنا في هذا الفندق ، ودعوا الامر لي .

الرجل ذو الرداء الاحمر



وخلق اليأس القاتل في صدر آتوس الكبير عوامل شتى ، جعلته يواجه همّة الوحيد الى ناحية معينة لا سيما بعد ان تحمل هذه المسؤولية امام رفاقه الفرسان ، وكان اول عمل قام به ان طلب من الفندق ان يأتيه الى غرفته بخريطة مفصلة عن المنطقة ، فانصرف الى دراستها بدقة ، وتبين له ان هناك اربع طرق مختلفة تؤدي من بيتوك الى بلدة ارمانتيير ، التي اتى ذكرها في الورقة التي اشتراها دارتنيان من الغلام بنصف دينار .

فبعد ان وضع الخطة بكاملها ، نادى الخدم الاربعة ، وراح يدرّجهم على القيام بالمهمة المطلوبة منهم .

وكان على الخدم الاربعة ان يسير كل منهم بمفرده عند الصباح الى ارمانتيير ، متخذاً خطة سيره طريقاً من الطرقات الاربعة المؤدية الى تلك البلدة ، وطلب اليهم ان يسألوا كل من يصادفونه

في الطريق عن المرأة الهاربة .
 وادرك آتوس بشاقب فكره ان تسيير الخدم الاربعة ، لا
 يلفت الانظار ، وانهم يستطيعون الاحتكاك بسهولة بافراد الشعب
 دون ان يثيروا حولهم الشبهات .
 وكان في جملة التعليمات التي تلقاها الخدم ، ان يتلاقوا جميعاً في
 بلدة ارمانيير . . . وفي حال عثورهم على مقر ميلادي يتوجب على ثلاثة
 منهم ان يترصدوا حركاتها ، بينما يعود رابعهم الى الفندق لابلغ
 آتوس النتيجة .

ولما انصرف الخدم نهض آتوس وتقلد سيفه وارتنى معطفه
 وخرج من الفندق مستتراً بالظلام الدامس .

وكانت الساعة العاشرة وشوارع البلدة خالية من المارة ،
 والاشخاص القلائل الذين كان آتوس يصادفهم في الطريق ، ويسألهم
 ان يرشدوه الى المكان الذي يقصده ، كانوا يترددون عند سماعهم
 اسم الشخص الذي يسأل عن منزله وكانوا يكتفون بان يشيروا
 باصبعهم الى الطريق .

وسار آتوس حتى وصل الى مفرق طرق ، فوقف متردداً ،
 وشاء الحظ ان يجده ، فمر من امامه متسول يتعثر في اسناله
 البالية ، فاقرب منه آتوس ووضع بيده قطعة ذهبية وطلب اليه
 ان يرشده الى المكان الذي يقصده . فرحب المتسول بهذا العرض
 واثار الى الفارس ان يتبعه .

ولما بلغا زاوية الشارع توقف المتسول عن المسير وامسار
 باصبعه الى منزل منعزل . والمنزل الذي اشار اليه المتسول ، كان

يبدو مظلماً وكأنه غير مأهول بالسكان. وراح آتوس بطرق الباب بشدة ، وبعد انتظار دام لحظات ، برز رجل طويل القامة ذو لحية سوداء ، من خلف الباب ، وبعد ان تبادل مع آتوس بعض الكلمات بصوت خافت ، سمح له بالدخول وقاده توأ الى مختبره وكان زائراً بالهياكل العظمية المعلقة بالاسلاك الحديدية وشتى انواع الحيوانات والزواحف والاعشاب الغريبة .

فبسط آتوس لذلك الرجل العجيب الغاية من زيارته ، وما ان سمع الرجل ما يطلبه آتوس حتى بان عليه الرعب والتودد . . . وفي الحال اخرج آتوس من جيبه ورقة مطوية عرضها على انظار الرجل الغريب ، وبعد ان قرأ مضمونها ، أبدى استعداده لتلبية ما يطلبه .

وبعد أن أنهى آتوس مهمته عاد الى الفندق ، ونام ملء جفنيه .

وفي الصباح دخل عليه دارتنيان وسأله بلفظة :

— وماذا علينا ان نفعل الان ؟

اجابه آتوس بهدوء :

— لننتظر .

وانقضى معظم النهار في انتظار قاتل لم يخفف من وطأته سوى

استراك الرفاق الاربعة في تشييع جثمان السيدة بوناسيو .

واخيراً عاد بلانشيه قبل مغيب الشمس وقدم الى آتوس ما

لديه من معلومات ، وفي الساعة الثامنة مساءً ، امر آتوس بامراج

الجياذ والتأهب للمسير .

وفي لحظات معدودة كان الفرسان الاربعة وبرفقتهم اللورد

ونتر على صهوات جيادهم .

فالتفت آتوس الى رفاقه وقال :

- انتظروني هنا ، فسأعود بعد دقائق قليلة .

فلكز جواده وانطلق به بسرعة خاطفة ، وما هي الا ربع ساعة حتى عاد وبرفقته رجل مقنّع ، متدثر بمعطف احمر اللون يغطي جميع اجزاء جسمه .

فتبادل الرفاق النظرات مع اللورد ونتر ، وتساءلوا عن
يكون هذا الرجل الغريب ، ولكنهم كانوا على يقين من ان
وجوده ضرورياً لنجاح خطتهم ، ففضلوا السكوت تاركين لآتوس
مهمة العمل .

٦٣

الحكيم ...



كانت ليلة عاصفة يكتنفها الظلام الدامس، وكانت البروق والرعود تقصف بشدة بين فترة وأخرى ...

وفي هذا الجو القاتم سار الراكب الصغير يتقدمه بلانشيه، وبعد ان قطع قرية « فستوبوت » وغابة « ريشبورغ » اتجه بلانشيه شمالاً في الطريق المؤدية الى بلدة « فروميل » ، وما ان وصلوا الى هذه البلدة حتى بدأت السماء تمطر بغزارة ، وكان امامهم قطع ثلاث مراحل قبل الوصول الى ارمانتيير ، ولما اجتازوا قرية « غوسكال » برز لهم شبع رجل خرج من وراء شجرة كبيرة كان يتقي تحتها المطر . وتقدم الرجل الى وسط الطريق وهو يضع سبابته على فمه ، فعرف آتوس في الحال خادمه غريو وسأله :
- ما وراءك ... هل تركت المرأة ارمانتيير ؟
فأشار الخادم برأسه بالاجاب .

وعاد آتوس يسأله :

- وأين هي الآن ؟

فأشار غريمو بيده ناحية نهر « الزنبقة » وقال : « إنها هناك » .

- وهل هي وحدها ؟

فأشار غريمو بالإيجاب .

وهنا التفت آتوس الى رفاقه وقال :

- ايها السادة ، ان المرأة التي نبحث عنها هي على بعد نصف

مرحلة من هنا في منزل منعزل يقع على ضفة نهر « الزنبقة » .

فقال دارتديان وقد نفذ صبره :

- حسناً سر أماننا، يا غريمو ...

فمشى غريمو في طبيعة الركب واحتازوا الحقول غير عابئين بما

ينصب عليهم من الامطار الغزيرة . وفي نهاية المسير وقف غريمو

ومد يده مشيراً الى جهة معينة ، وفي تلك اللحظة لمع البرق ،

وابصر الرفاق على نوره منزلاً صغيراً قائماً على الشاطئ ، على بعد مئة

خطوة من قارب معد لعبور النهر .

فقال آتوس بصوت خافت :

- لقد وصلنا ايها الرفاق ، فارجو ان تتجنبوا كل حركة من

شأنها ان تذبذبه اليينا الانظار .

وفي تلك اللحظة ظهر رجل آخر كان مخبئاً في خندق بجوار ذلك

المنزل ، ولم يكن ذلك الرجل سوى موسكينون ، فرفع اصبعه

مشيراً الى غرفة مضادة وقال يخاطب آتوس الذي اقترب منه :

- انها ما تزال في المنزل يا سيدي لم تهرحه .

فسأله آتوس :

- واين بازان ؟

- لقد تركته يتولى حراسة الباب ، بينما كنت أحرس النافذة .
- حسنا انتم جميعاً مثال الخدم الامناء المخلصين .

وترجل آتوس عن جواده ورمى بالعنان الى غريمو ، وتقدم يقصد نافذة المنزل بعد ان اشار الى رفاقه بدخول المنزل من الباب ، وتحطى السياج غير مبال بوخز الاشواك واقترب من النافذة بجذر فوجد ان الستارة قد انزلت عليها باحكام يستحيل معه رؤية ما في الغرفة ، فاضطر الى الصعود على حافة النافذة الحجرية ليرى ما يجري في الغرفة من القسم الاعلى من النافذة . وابصر على ضوء المصباح امرأة متدثرة بمعطف قاتم اللون ، وقد جلست على مقعد خشن الى جانب موقد كانت تشتعل فيه نار خفيفة ، ووضعت رأسها بين يديها واستسلمت لافكارها ...

ومع ان آتوس لم يتبين وجهها ، فقد تأكد ان هذه المرأة هي ميلادي ، زوجته السابقة والحية الرقطاء ... وحديثه نفسه بان يحطم زجاج النافذة ويدخل عليها ويزهق انفاسها الحبيثة ، الا انه احبهم وقد تذكر بانه رسم خطة للاقتصاص منها واذقتها ألوان العذاب .

وفي تلك اللحظة صهل احد الجياد بشدة ، فأجفلت المرأة ورفعت رأسها نحو النافذة وما أشد ذعرها عندما وقعت عينها على وجه آتوس المستقع ، فارسلت صرخة مدوية تجلت فيها معاني الذعر ، واسرع آتوس الى تحطيم الزجاج ، وقفز الى الحجرة في

اللحظة نفسها التي اندفعت فيها ميلادي نحو الباب محاولة الفرار ،
ولكنها اصطدمت على العتبة بدارتنيان وقد انتصب جامداً
كالتمثال فنكصت على عقبيها وخرجت من صدرها صرخة
هلع مدوية ..

وخشي دارتنيان ان تتمكن من الفرار بطريقة من الطرق ،
فتناول غدارته من وسطه وصوبها الى صدرها ..
فبادره آتوس قائلاً :

- ارجع غدارتك الى جيبك ، فهذه المرأة يجب ان تحاكم قبل
أن تموت .

ثم التفت الى الرفاق وأردف يقول :
- ادخلوا ايها السادة ، ولنبدأ عملنا في الحال ..
فدخل اللورد ونتر ومن خلفه بورتوس وارانميس والرجل
المقنع .. وبقي الخدم في الخارج يحرسون المنزل .
وكانت ميلادي اثناء ذلك قد تمالككت على مقعد خائفة القوى
وما ان ابصرت شقيق زوجها اللورد حتى أرسلت صرخة هي اشبه
بعواء الذئب ، واستجمعت قواها وقالت بصوت متهدج :
- ماذا تطلبون ايها السادة .. ولماذا اقتحمتم غرفتي ؟

فأجابها آتوس :
- جئنا لمحاكمة المرأة شارلوت باكسون التي دعت اولاً
الكونتس دي لافير ، ثم حملت لقب اللادي ونتر بارونة ستيفيلد
مع انها كانت متزوجة قبل ذلك وزوجها على قيد الحياة .
فتمتمت قائلة :

- انا هي المرأة التي تطلبونها ! .
 فتقدم اولاً دارتنيان وقال :
 - انني اتهم هذه المرأة بانها سممت السيدة بوناسيو التي ماتت
 يوم امس .
 والتفت يستشهد برفاقه ، فأجابه بورتوس وارانيس بصوت
 واحد :
 - التهمة صحيحة ونحن الشهود على ذلك .
 وأردف دارتنيان يقول : .
 - وانني اتهم هذه المرأة ايضاً امام الله والناس بانها حاولت
 سميحي بواسطة خمرة مسمومة ، وقد ذهب ضحية هذه المرأة
 رجل من أعوانها يدعى « بريمون » .
 فايّد بورتوس وارانيس قوله .
 فقال آتوس مخاطباً اللورد :
 - ياسيدي ما هو إلتامك ضد هذه المرأة ؟
 فاقرب اللورد وقال :
 - انني اتهم هذه المرأة امام الله والناس بانها دبرت مؤامرة
 لاختيال الدوق بوكنفهام .
 فصاح الفرسان الاربعة بصوت واحد وقد صعبوا للنبأ :
 - الدوق بوكنفهام !
 - نعم ايها السادة فقد قتل غدرآ وخيانة ، وقد وصلتني
 رسالتكم في حينها وامرت بالقبض عليها ، الا انها تمكنت
 بكرها ان تغوي احد خدمي المخاضين وتستخدمه اداة طبيعة

لاغتتيال الدوق .

واستطرد اللورد قائلاً :

- لقد اصيب اخي برص غريب لم يممه سوى ثلاث ساعات
واننى اتهم هذه المرأة الشريرة بانها قتلتته ايضا . ولذلك اطلب
ان تنفذ العدالة حكمها .

وخبات ميلادي وجهها بين يديها محاولة ان تستجمع افكارها
المضطربة .

واخيرا جاء دور آتوس ، فقصّ على رفاقه مأساته مع هذه المرأة
وكيف خاصم أهله واقاربه من اجلها ، فاتضح له بعد ذلك انها
امرأة مجرمة تحمل سممة المجرمين على كتفها ...

فصاحت ميلادي في وقاحة :

- انني اتحداك ان تذكر اسم المحكمة التي حكمت علي هذا
الحكم الشائن ، واسم الشخص الذي نفذه .

. وهنا انبرى الرجل ذو الرداء الأحمر وقال بصوت رهيب :

- اسمعوا ايها السادة فهذه المسألة تتعلق بي .

وخطا الرجل خطوات متزنة نحو ميلادي ، ولما اصبح على
مقربة منها لا يفصله عنها الا المائدة مدّ يده الى قناعه وانترعه عن
وجهه بسرعة . وحدقت ميلادي برهة في ذلك الوجه الخفيف ،
وما لبثت ان صاحت برعب وهي تنهض من مقعدها وتتراجع
نحو الحائط لتستند اليه خشية الوقوط :

- لا ... لا .. هذا مستحيل ان عيني تخدعاني !

فبانث الدهشة والخيرة على وجوه الحضور وصاحوا بصوت

واحد :

- ولكن من انت ايها الرجل ؟
فأجاب الرجل ذو الرداء الاحمر بهدوء
- اسألوا هذه المرأة ، وقد رأيتم انها عرفتني
فصاحت ميلادي بصوت مبحوح وقد التصقت بالجدار تفادياً
من السقوط :

- انه جلاد ... « ليل » ...
فتراجع الجميع ، ونقي الرجل وحده في وسط الغرفة
ورددت ميلادي وهي ترتقي على ركبتيها :
- الرحمة .. لاصفح عني ..
وسكت الرجل ريثما ساد السكون التام ثم قال :
- نعم انا هو جلاد « ليل » فاسمعوا لاروي لكم قصتي مع
هذه المرأة الماكرة :

كانت هذه المرأة فيما مضى راهبة في دير القديس « بنديكتوس »
في ضواحي بلدة « تاهيلمار » وكان يتردد على ذلك الدير كاهن
شاب يقوم بوظيفة المرشد للراهبات في اوقات الرياضة الروحية ،
وبعد حين تمكنت من اغوائه واقنعهته بالقرار معها من الدير .
ولما كان ينقصها المال الذي يساعدهما على الهرب الى جهة نائية من
فرنسا لا يعرفها فيها احد ، فقد دفعته الى سرقة بعض الاواني
الكنسية الثمينة وبيعها .. الا ان رجال الشرطة تمكنوا من
اكتشاف مقرهما والقاء القبض عليهما في الوقت الذي كانا يستعدان
فيه للسفر . وطرح العاشقان في السجن بانتظار يوم المحاكمة ،

وتمكنت المرأة اللعينة من اغواء ابن السجان الذي سهل لها سبيل
الفرار من سجنها . اما الكاهن المسكين فقد حوكم وحكم عليه
بالسجن عشر سنين وبوسمه بسمة المجرمين .

و كنت في ذلك الحين جلاداً لمدينة « ليل » فاضطرت بحكم
وظيفتي الى تنفيذ عقوبة الوشم بذلك المسكين ، الذي لم يكن
سوى أخي !..

فاقسمت ان انزل بالمرأة التي أغوته نفس العقاب واجعلها
تشاركه العار .

فتمعت اثرها وبعد مشقات تمكنت من القاء القبض عليها
ودمغت كتفها اليسرى بزهرة الزنبق .

وفي اليوم التالي لرجوعي الى « ليل » تمكن أخي من الفرار
من سجنه ، فاتهمت بان لي ضلعاً في تسهيل سبيل فراره وحكم علي
بالسجن بدلاً منه .

وكان أخي يجهل هذا الحكم ، وقد بحث عن وفيقته حتى اهتدى
الى مقرها وهربا معاً الى مقاطعة « بري » حيث عين كاهناً هناك
وكان الناس يعتقدون ان ميلادي شقيقته . وكانت الكنيسة التي
يخدم فيها الكاهن الجديد ، تقع في املاك احد نبلاء تلك المقاطعة ،
وشاء الصدق ان يقع النبيل بحب الفتاة ويعرض عليها الزواج
فتقبل وتقر معه .

وهكذا تخلت هذه المرأة الخائنة عن الرجل الذي ضحى في
سبيلها بشرفه ومستقبله ، لتعيش مع الرجل الذي كتب له سوء
الحظ ان يكون ضحيتها الثانية وأصبحت بين ليللة وضجاءها

الكونتس دي لافير وعاد اخي الى « ليل » يائساً ، ولما علم بما نزل
 بي من مصائب ، اسرع الى تسليم نفسه فأعيد الى السجن وأطلق
 سراحي ، ولكنه في الليلة التي عاد فيها الى السجن انتهر شتقاً .
 هذه هي الجريمة التي من اجلها دُمِغَتْ بِسْمَةِ المجرمين ..
 وبعد صمت قليل قال آتوس موجها كلامه الى دارتنيان
 والورد دي ونتر والجلاد :

- ما هو العقاب الذي تطلبون انزاله بهذه المرأة ؟

فأجاب الثلاثة بصوت واحد :

- عقاب الموت .

ثم سأل آتوس بورتوس وراميس :

- ايها السيدان ، ما هو العقاب الذي تطلبان لهذه المرأة ،

استناداً الى الجرائم الفظيعة التي ذكرت امامكما ؟

فأجاب الفارسان بصوت أجش :

- عقاب الموت .

وهنا صرخت ميلادي صرخة هائلة ،

وراحت تتمرغ ضارعة متوسلة .

ومد آتوس يده اليها وقال بوقا

- يا شارلوت باكسون ، كونت.

إن جرائك كثيرة تصرخ امام الله والبشر طالبة الانتقام ، فاذا

كنت لا تزالين تذكرين بعض الصلوات فيمكنك تلاوتها في الحال

لأننا قد حكمنا عليك بالموت .

وسقطت هذه الكلمات على اذنيها كالقضاء المحتوم ، وعلمت

انها فقدت كل امل بالنجاة ، فانتصبت واقفة لمحاولة الكـلام ،
ولكنها شعرت وكأن قوة خفية قادرة تمسك بشعرها وتجرفها
جراً الى مصيرها المشؤوم ، فلم تحاول المقاومة وسارت امام الجلاء
صاغرة مستسلمة ، بينما سار اللورد دي ونتر والرفاق الاربعة مع
خدمهم في اثرهما .

٦٤

التنفيذ...



كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل عندما بلغ الموكب الصامت ضفة النهر ، فاسرع الجلاذ من ميـلادي واحكم وثاق يديها ورجليها ، وكأن هذا العمل قد جعلها تدرك مصيرها فراحت تصرخ بـلاء فيها :

- ايها الانذال ، ايها القتلة لقد تألبتم جميعكم على قتل امرأة ضعيفة ... كونوا على حذر، فان قتلت ، فهناك من سيشار لي منكم فأجابها آتوس ببرود :

- ما انت امرأة ، بل انت الشيطان بنفسه أفلت من الجحيم، وها نحن نعيدك اليه الان .

- لا تنسوا ان من يمس شعرة واحدة من رأسي فهو قاتل سفاك ..

فانتهرها ذو الرداء الاحمر وقال :

- اما الجلاد فيستطيع ان يزهق روحك الحبيشة ، دون ان يكون قاتلاً ، فهو بحكم وظيفته القاضي الاخير المنفذ .
وعادت ميلادي الى الصراخ وهي تحاول الافلات من وثاقها
ثم عادت الى الضراعة والتوسل :
- اعفوا عني .. واعدكم بان انزوي في دير منعزل وأغدو
راهبة .

فمزها الجلاد وقال :
- ولكنك كنت في الدير وخرجت منه ، لتكوني مسبباً في
موت اخي وغيره من الابرياء .
قال ذلك وحملها بين ذراعيه يريد وضعها في القارب ، فصرخت
بها قائلة :

- يا إلهي هل تريد اغراقي وأنا على هذه الحالة ؟؟
ويبدو ان دارتنيان قد تحركت في صدره عوامل الشفقة
والرحمة ، وخطا نحوها خطوة واحدة ، فما كان من آتوس إلا ان
امتشق سيفه وسد عليه الطريق قائلاً :
- مكانك يا عزيزي دارتنيان ، ان هذه المرأة لا تستحق الشفقة .
ثم التفت الى الجلاد هو قال :

- هيا ايها الجلاد ، قم بوظيفتك !
وأمرع الجلاد ينفذ الأوامر ، فحملها بين يديه وألقاها
في قاع القارب ، وجلس الى جانبها ، وقبل ان يتحرك القارب
تقدم آتوس من الجلاد ونقده مبلغاً من المال قائلاً :
- خذ هذا المال مقابل قيامك بهذا العمل ، لكي تعلم هذه المرأة

اننا نقوم بدور القضاة العادلين .

. فقال الجلاد : .

- وانا ايضاً اريد ان تعلم هذه المرأة انني انفذ فيها هذا الحكم
العادل ليس طمعاً بالمال ، بل قياماً بالواجب .

قال ذلك ورمى النقود في النهر .

وراح المركب ينساب ببطء متجهاً نحو الضفة الاخرى ، بينما
شرع اللورد والفرسان الاربعة يتلون صلاة قصيرة عن نفس تلك
المرأة .. وبعد حين ترامى الى سمعهم من الضفة الاخرى ضربة
صماء ، فعلموا ان ميلادي اصبحت في عالم الاموات .

وبعد ذلك لفّ الجلاد جثة المرأة في رداؤه الاحمر وألقاها في
قعر النهر .

وبعد ثلاثة ايام عاد الرفاق الاربعة مع خدمهم الى باريس ،
وفي المساء نفسه قصدوا الى قصر القائدي تريفيل ، الذي تلقاهم
ببشاشة وترحاب وسألهم :

- عسى ان تكونوا قد امضيتم اجازة ممتعة ايها الابطال ؟

فأجابه آتوس باسم رفاقه :

- نعم يا سيدي لقد كانت رحلتنا موفقة جداً .

الخاتمة



وبرء الملك لويس الثالث عشر بوعده الذي قطعه لالكردينال ريشليو، وعاد الى معسكر لاروشيل في السادس من الشهر التالي. وكان نبأ مقتل الدوق دي بوكسغهام قد ذاع في انحاء فرنسا، ووصل الى مسامع الملك قبل مغادرته باريس عائداً الى لاروشيل. اما الملكة آن دوتريش فلم تصدق الخبر الا عندما عدد رسولها دي لا بورت من لندره حاملاً اليها كلمات الدوق الاخيرة والتذكارات المؤلم الذي شاء ان يقدمه لها وهو يجود بانفاسه الاخيرة .

كان سرور الملك عظيماً لموت عدوه ومزاجه على قلب الملكة ، حتى انه لم يكلف نفسه عناء اخفاء سروره مراعاة لشعور الملكة ، ذلك ان الملك لويس السادس عشر ، كسواه من ذوي القلوب الضعيفة ، كان ينقصه الشيء الكثير من كرم الاخلاق .

ولم يدم فرح الملك طويلاً ، فما ان ابتعد عن باريس حتى عاوده القلق والانتعاج ، لانه كان يشعر في قرارة نفسه ان عودته الى معسكر لاروشيل معناه رجوعه الى حياة السأم ، فقد

كان الكرد ينال بالنسبة للملك ، الحية التي تسحر العصفور الذي يحاول التملص فيطير من غصن لآخر دون ان يستطيع الافلات .
وكذلك كان حال الفرسان الاربعة ، فقد ادهش تصرفهم وفاقهم في الفرقة ، فقد كانوا في السابق يحبون المرح والدعابة ، فاذا بهم بعد هذه الرحلة الى باريس ، لا يفتقرون عن بعضهم ، يسيرون جنباً الى جنب مطأطأ الرؤوس .

وكان الملك ينزل للاستراحة في كل مدينة يمر بها في طريقه ، وما ان يستقر في القصر المعد له ، حتى يبادر الفرسان الاربعة الى الانزواء اما في خيمتهم ، او في احدى الحانات ، يقضون الوقت في التفكير او في التحدث فيما بينهم بصوت منخفض .

وذات يوم ابدى الملك رغبته في صيد البجع ، فقرر الرفاق الاربعة كعادتهم ان لا يشتروا في الصيد ، فدخلوا حانة قريبة من المكان وجلسوا فيها ينتظرون .

واذا برجل قادم من طريق لاروشيل ، ولما بلغ الحانة ترجل عن جواده ودخل وطلب كأساً من النبيذ ليروي عطشه ، وفيما كان ينتظر عودة الخادم ، حانت منه التفاتة في ارجاء الحانة ، فوقع نظره على الرفاق الاربعة وقد انصرفوا الى الحديث باهتمام ففرك يديه سروراً وصاح :

— أولست أنت الفارس دارتنيان ؟

وما كاد دارتنيان يسمع صوت الرجل حتى وثب نحوه وسيفه في يده ، اذ لم يكن الرجل سوى خصمه اللدود الذي اعترض سبيله في فندق « مينغ » ، وفي هذه المرة لم يفر الرجل المجهول هارباً

كعادته في المرات السابقة ، بل تقدم من دارتنيان بجراحة فبادره
الفارس الشاب بقوله :

— واخيراً لقد التقيت بك ايها السيد ولن تنجو مني هذه المرة ! .
فقال الرجل :

— انني مكاف بان ابحث عنك ايها الفارس ، وان القي القبض
عليك باسم الملك ! . .

فقال دارتنيان بحدة :

— ولكن من انت يا هذا ؟

فأجابه الرجل بعظمة :

— انني الكونت دي روشفور ، مرافق نيافة الكردينال
الخاص ، ولديّ اوامر صريحة بات القي القبض عليك واسوقك
الى نيافته .

فبادره آتوس بقوله :

— نحن عائدون على كل حال يا سيدي الكونت الى حيث يقيم
نيافته ، واظنك لا تشك في صدق وعد الفارس دارتنيان اذا قال
لك انه سيمثل امام نيافته فور وصوله الى المعسكر .

فالتقى روشفور نظرة سريعة حواليه ، فالتقى بورتوس وارانيس
واقفين بينه وبين الباب وادرك انه بات تحت رحمة هؤلاء الرفاق
الاربعة .

فقال روشفور :

— ايها السادة اذا كان الفارس دارتنيان يوافق على ان يسلمني
حسامه ويقسم بشرفه بالمثل امام نيافته فور وصوله الى معسكر

لاروشيل ، فانني اكتفي بذلك .
فقال دارتنيان بهدوء :
- اني اعدك بشرفي ايها السيد ، وهوذا سيفي فخذهُ ..
فقال دي روشفور :
- اذن يمكنني الآن ان اتابع طريقتي ...
فبادره آتوس ببرود :
- اذا كنت تسعى لمقابلة ميلادي ايها السيد ، فقد وصلت
متأخرآ ، فالأفضل ان تعود ادراجك ، لانك لن تجد ا ؟
فسأل دي روشفور وقد بدا عليه الاضطراب :
- وماذا حل بها ؟
فاجابه آتوس بهدوء :
- عد الى المعسكر وستعرف ماذا حل بها .
وبعد تفكير طويل قرر دي روشفور العودة الى المعسكر ،
ووجدها مناسبة لمراقبة دارتنيان خشية ان يفر .
وفي بلدة « سرجير » ، التقى الملك بوزيره الكردينال ريشليو
واظهر الملك سروره للنتائج الاخيرة التي حصلت اثناء غيابه ،
وخاصة مقتل الدوق بوكنفهام .
ولما عاد الكردينال في المساء الى مقره ، وجد امام باب منزله
الفارس دارتنيان ورفاقه الفرسان الثلاثة . وبعد انلقى نظرة
عابرة ، اشار الى دارتنيان بان يتبعه ، فقال آتوس بصوت مرتفع
سمعه الكردينال :
- نحن بانتظارك هنا يا دارتنيان !

وقطَّب الكردينال حاجبيه وتوقف لحظة امام الباب، ولكنه ما لبث ان دخل الى منزله دون ان ينبس ببنت شفة .
وعندما اصبح الكردينال في حجرته اشار الى دي روشفور ان يدخل الفارس دارتنيان ، ولما وقع نظره على الفارس الشاب بادره بقوله :

- لقد امرت بالقاء القبض عليك ، فهل تعلم لماذا ؟
فقال دارتنيان بجرأة :

- كلا يا سيدي الكردينال ، لان الامر الوحيد الذي من اجله يمكن صدور امر نياقتك بالقاء القبض عليّ لم يزل مجهولاً منكم حتى الآن ...

فرمقه الكردينال بنظرة جائرة وقال :
- وما الذي تقصده بهذا القول ؟
فقال دارتنيان :

- هل لتبافة الكردينال ان يطلعني على الاسباب التي استند عليها لاصدار الامر باعتقالي .
فقال الكردينال :

- لقد نسبت اليك تهمة الاتصال باعداء المملكة واطلعتهم على اسرار الدولة ، وحاولت افساد خطط القائد العام ..!
فصاح الشاب بجدة :

- ومن الذي يتهمني بهذه التهم الباطلة غير ميلادي تلك المرأة الموسومة بسمة المجرمين من قبل العدالة ..؟ تلك المرأة التي لها زوج في فرنسا ، وآخر في انكلترا ..! تلك المرأة المجرمة التي

قتلت زوجها الثاني بالسهم ، كما حاولت ان تقتلني شخصياً بالطريقة نفسها !

فقال الكردينال بدهشة :

- ماذا تقول ايها السيد ، وعن اية امرأة تتحدث ؟

اجابه دارتنيان :

- انحدث عن ميلادي او اللادي ونتر يا صاحب النيافة ، ولا

شك انكم تجهلون جرائمها وماضيها عندما أوليتموها ثقتكم !..

فقال الكردينال بصوت أجش :

- اذا كانت ميلادي مجرمة حقاً ، فستنال عقابها ..

فاجابه دارتنيان بحزم :

- انها مجرمة يا سيدي الكردينال ، وقد نالت جزاء ما تستحقه

وهي الان في العالم الآخر !...

فردد الكردينال العبارة وهو لا يصدق ما سمعه :

- هل ماتت حقاً ؟!

فأجابه دارتنيان :

- اجل ماتت يا صاحب النيافة ، فقد حاولت اغتيالي ثلاث

مرات ، وصفحت عنها ، ولكنها عندما قتلت المرأة التي احبها

ألقيت القبض عليها مع رفاقي الفرسان وحاكمناها محاكمة عادلة ،

وحكمتنا عليها بالموت .

وراح دارتنيان يقص على مسامع الكردينال ، كيف عمدت

ميلادي الى تسميم السيدة بوناسيو في دير راهبات الكرمليت ،

ثم تفاصيل المحاكمة في الغرفة المنعزلة على ضفة النهر .

ومرت قشعريرة في جسد الكردينال لهول ما سمع ، وبعد
ان صمت برهة من الزمن قال :

- اذآ فقد قمت بأنفسكم مقام القضاة ، دون ان تفكروا بأن
الذين ينتحلون صفة لا يحملونها ويحكمون على شخص بالموت ، هم
قتلة مجرمون .. وثق ايها الفارس دارتنيان انك ستحاكم ، وتحكم
عليك بالموت !

فقال الشاب بهدوء :

- ذلك لا يخيفني يا سيدي ، فاني احمل في جيبى وثيقة
براءتي ..

فصاح الكردينال مندهلاً :

- وماذا تعني بوثيقة براءتك ، ومن الذي وقع هذه الوثيقة ،
هل هو الملك ؟!

فبادره دارتنيان ببرود :

- كلا ، بل نيافتك !

- موقعة مني ؟ هل انت مجنون يا هذا ؟ !

- لا شك ان سيدي الكردينال يعرف توقيعيه ..

قال ذلك وعرض على انظار نيافته الورقة التي انتزعها آتوس

من ميلادي في الفندق ، فقرأ الكردينال ما ورد فيها :

« ان حامل هذه الوثيقة قد فعل ما فعله بأمر مني ولمصلحة

المملكة .. ريشليو »

وبعد ان انتهى الكردينال من تلاوة الوثيقة ، غرق في تفكير

عميق دام بضع دقائق ، ولكنه لم يعد الورقة الى الفارس دارتنيان

بل احتفظ بها بيده ، وراح يعبت بها بعصبية ظاهرة ، وأخيراً رفع رأسه وحدق بنظره الحاد بذلك الوجه النبيل المائل امامه ، الذي يشع ذكاء وضراحة وإقداماً ، وقابل بها جرائم ميلادي ومقدرتها الهائلة وكل ذلك جعله يرتجف هولاً في قرارة نفسه . وتوقف الكردينال ريشليو عند هذا الحد ، وبمحنة لا شعورية راح يترق ببطء الورقة التي سلمه إياها دارتنيان ، بينما كان الشاب ينظر الى هذا العمل بكثير من القلق ويحدث نفسه قائلاً :

« لقد هلك ! »

وتقدم الكردينال من المائدة ودون ان يجلس تناول قلماً . وخط بضعة أسطر على ورقة كان أكثر من ثلثها مكتوباً من قبل ، ومن ثم ذيل الكتابة بتوقيعه وخاتمه . وقال دارتنيان يحدث نفسه :

- لا شك انه يوقع الأمر بأعدامي ...

ومدّ الكردينال يده بالورقة الى دارتنيان وقال :

- اليك بهذه ، وإذا كنت قد انتزعت منك وثيقة ، فاني ارد اليك وثيقة بدلاً منها ، وقد ابقيت مكان الاسم بياضاً فاكته انت بخط يدك .

فتناول دارتنيان الورقة مترددآ وألقى عليها نظرة خاطفة .

وخيل اليه انه يحلم ، فبدلاً من ان يجد حكماً بالاعدام ، وجد براءة بتعيينه ضابطاً في فرقة الفرسان . فأسرع دارتنيان بيدي لنيافته جزيل الشكر وقال بلمحة

صادقة :

- ان حياقي لك ياسيدي الكردينال ، غير اني لا استحق هذا
التقدير ، فهناك اصدقاؤني الثلاثة وهم اجدر مني بحمل هذه الرتبة .
فقال الكردينال وهو يربت على كتف الشاب باعجاب :
- انك شاب شهم يا دارتنيان ، فافعل في هذه الوثيقة ما
يحاولك ، وتذكر دائماً انني اذا تركت مكان الاسم خالياً فانما
فعلت ذلك من اجلك وحدك .

فقال دارتنيان :

- لن انسى ذلك ياسيدي ما حميت ..
والتفت الكردينال ونادى مرافقه الخاص دي روشفور ،
ولما حضر بادره الكردينال بقوله :

- انني اعتبر من الآن وصاعداً ان السيد دارتنيان هو من
عداد اصدقاؤني المقربين ، ويهمني الآن ان اراك تحتضن دارتنيان
وتتناسى ما بينكما من احقاد قديمة ...

فنفذ دي روشفور امر سيده في الحال واحتضن دارتنيان
ولكن ما ان اصبحا خارج غرفة الكردينال حتى بادره دارتنيان
بقوله :

- ارى من الافضل ان نلتقي قريباً لنصفي ما بيننا من
حساب قديم ..

فأجابه روشفور :

- دع ذلك للظروف ايها السيد دارتنيان ..
وفي تلك اللحظة برز الكردينال ريشليو من خلف الباب ،

فأمسح كل منهما بتظاهر بالابتسام .
ولما عاد دارتليان الى رفاقه الذين كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر
في الخارج بادره آتوس بقوله :
- لقد طال انتظارنا ايها العزيز وكاد صبرنا ينفد !
فقال الشاب بلهجة مريحة :
- ها اني عدت اليكم ايها الرفاق ، ليس طليقاً فحسب ، بل
مغموراً بانعام نيافته !
فقال آتوس :
- وستروي لنا ما حدث لك بالطبع ...
- سأفعل ذلك في هذا المساء ..
وفي المساء قصد دارتليان الى شقة صديقه آتوس فوجده
منصرفاً الى احتساء نبيذه المفضل .. فروى له بالتفصيل ما جرى
له مع الكردينال ، واطلعه على الوثيقة التي حصل عليها من
نيافته وقال :
- خذ يا عزيزي آتوس ، ان هذه الرتبة تليق بك .
فابتسم آتوس وقال بلهجته الندية :
- ان هذا الانعام على الفارس آتوس قد يكون كثيراً ،
ولكن لاكونت دي لافيرو هو اقل من القليل ... فاحتفظ
يا عزيزي بهذه البراءة فهي لك دون سواك ، ولعمري فلقد دفعت
ثمناً غالياً .
وانصرف دارتليان من غرفة آتوس ، وقصد بورتوس ، فوجده
واقفاً امام المرأة وقد ارتدى ثوباً جديداً ، ولما أحس بدخول

دارتنيان بادره بقوله :

- هذا انت يا عزيزي دارتنيان ، قل لي ما رأيك في هذا
الثوب الجديد ؟

فقال دارتنيان :

- انه بديع جداً ، ولكنني جئت اعرض عليك ثوباً اكثرو
ملاءمة لك .

- وما هو ؟

- ثوب ضابط في فرسان الملك !

وشرع دارتنيان يقص على صديقه مقابلته مع الكردينال ، ثم
تناول الوثيقة من جيبه وعرضها على انظار بورتوس قائلاً :

- خذ ايها الصديق واكتب اسمك في المكان الخالي ، وكن
رئيساً صالحاً لي .

فأعاد بورتوس الورقة الى دارتنيان وقال :

- انني افاخر بان اصبغ ضابطاً ، غير انني لا املك الوقت
الكافي للاستمتاع بهذا اللقب الرفيع ، ولا اخفي عليك سرّاً فان
زوج الدوق عشيقتي قد توفي منذ ايام ، وقد قررت ان اتزوج
الأرملة ، ولهذا اري ان تحتفظ بهذه الوثيقة لك فأنت جدير بها .
وخرج دارتنيان من غرفة بورتوس ، ليقتصد صديقه الثالث
اراميس ، فوجده منصرفاً الى الصلاة ، فروى له مقابلته الأخيرة
مع الكردينال ، ورجاه ان يقبل رتبة ضابط في فرقة فرسان الملك ،
فابتسم اراميس وقال بلهجة مريّة :

- يوسفني ايها الصديق ان اصارحك بأني لن استطيع تلبية

رغبتك ، فان مغامراتنا الاخيرة قد جعلتني انفر من صناعة
السيف ، وقد اتخذت قرارى النهائي بان ازوي بدير من اديرة
الآباء الاعاذرين فور انتهاء حصار « لاروشيل » . فاحتفظ ايها
العزيز بهذه البراءة لنفسك ، فانت خلقت لأن تكون فارساً بأسلاً.
وعاد الفارس دارتنيان الى صديقه آتوس ودموع الفرح والتأثر
تجول في مآقيه ، فوجده ما يزال جالساً الى المائدة يداعب بين
يديه آخر كأس من نبيذه الاسباني المفضل فقال له :
- وهما ايضاً لقد رفضا طلبي !

فقال آتوس :

- ذلك انه ليس فينا أحد أجدر منك بهذه الرتبة ، فاهناً بها
يا عزيزي ...

ثم تناول آتوس قلماً وكتب اسم دارتنيان على البراءة
وسلمه اياها .

فقال دارتنيان والغصة في صدره :

- سأصبح بعد قليل وحيداً بعد ان تفارقوني جميعاً ولا يبقى
منكم الا ذكريات أليمة تحز في نفسي .

وتما لك على مقعد ووضع رأسه بين يديه واخذ يبكي .

فقال له آتوس :

- هوّن عليك يا عزيزي دارتنيان ، فانت ما تزال في مستقبل العمر
والذكريات الاليمة لا تلبث ان تتحول الى ذكريات عذبة .



وفقدت لاروشيل كل امل بالحصول على مساعدة الاسطول

الانكليزي بعد موت الدوق بوكنفهام ، فاضطرت اخيراً وبعد حصار دام سنة كاملة الى التسليم . وفي اليوم الثامن والعشرين من شهر تشرين الاول عام ١٦٣٨ ، وقعت وثيقة التسليم . وعاد الملك الى باريس في الثالث والعشرين من كانون الاول من السنة نفسها ، فاستقبل استقبال الفاتحين ، وكأنه حقق نصراً ضد الاعداء وليس ضد مواطنين فرنسيين .

وما ان عاد دارتنيان الى باريس حتى وقي الى رتبة ضابط في فرقة فرسان الملك بموجب البراءة التي يحملها ، اما بورتوس فقد ترك الخدمة وتزوج ارملة السيد كوكينار عشيقته السابقة ، وقد وجد في خزانة زوجها مبلغ ثمانية الف دينار . وحصل الخادم موسكينون على امنيته وهي ان يركب في مؤخرة عربية مذهبة .

اما اراميس فقد اختفى فجأة بعد رحلة قام بها لمقاطعة اللورين وعلم فيما بعد عن طريق عشيقته مدام دي شيفروز بانه انضم الى سلك الرهبنة والتحق بدير في مدينة نانسي . ولحق بازان بسيدة وارثي ثوب الاخوة المبتدئين في الدير نفسه .

وظل آتوس فارساً في فرقة فرسان الملك تحت إمرة دارتنيان حتي عام ١٦٣١ ، حين قام برحلة مفاجئة الى تورين ، ترك بعدها الخدمة بعد ان حصل على ميراث لا بأس به في « روسيليون » . وظل غريبو ملازما لسيدة آتوس حتى النهاية . وبارز دارتنيان الكونت دي روشفور ثلاث مرات ، وفي كل مرة

كان يصيبه بحرج غير مبيت .
وعندما مدّ دارتنيان اليه يده في المرة الثالثة ليساعده على النهوض قال له :

- لا بد ان اقتلك في المرة الرابعة .

فقال روشفور :

- أرى انه من الأفضل لنا نحن الاثنين ان نقف عند هذا الحد ، وثق بأني سأكون لك خير صديق من الآن وصاعداً ، وقد كان في استطاعتي ان اقول كلمة واحدة للكردينال فيأمر بقطع رأسك في الحال .

وتعانق الحصان في هذه المرة عناقاً صادقاً .

وحصل بلانشيه خادم دارتنيان على رتبة جاويز في الحرس الملكي بفضل مساعي دي روشفور .

وكان السيد بوناسيو يعيش خالي البال غير عالم بما آلت اليه زوجته .

ولما علم من احد معارفه ان زوجته قد اصبحت في عالم الاموات ، تذكر ان الكردينال ملزم بان يمنحه تهويضا عن فقد زوجته . ودفعه طمعه وبخله الى تذكير الكردينال ، فأبلغه ريشليو بواسطة احد اتباعه بأنه سيهتم بأمره .

وفي اليوم التالي خرج بوناسيو من منزله في المساء قاصداً قصر اللوفر ، ولم يعد الى منزله بعد ذلك اليوم . وفهم فيما بعد ان بوناسيو يعيش في احد القصور الملكية برعاية نيافته .

- انتهى -

فهرس

الاجزاء الثلاثة

صفحة

٣	لمحة عن المؤلف
٥	بداية القصة
٢١	من هو دي تريفيل
٢٦	دارتنيان يقابل دي تريفيل
٣٧	مهاكل الفرسان الثلاثة
٤١	فرسان الملك وحرس الكردينال
٤٨	الملك لويس الثالث عشر
٦٤	عندما يلهو فرسان الملك
٦٩	مؤامرات البلاط
٧٤	دارتنيان يرسم الخطة
٨٩	المكيدة تفشل
١٠١	جورج فيليب او الدوق دي بوكنفهام
١٠٩	مصير بوناسيو
١١٥	رجل مينغ المجهول
١٢٤	رجال الكهنوت ورجال السيف
١٣١	رسالة المسكة
١٤٠	الوصيفة المختلصة

صفحة

١٤٨	•	•	•	•	•	•	•	•	•	بين الزوج والعشيق
١٥٥	•	•	•	•	•	•	•	•	•	خطة العمل
١٦٠	•	•	•	•	•	•	•	•	•	السفر الى لندره
١٧٥	•	•	•	•	•	•	•	•	•	الكونتس دي ونستر
١٨٢	•	•	•	•	•	•	•	•	•	الحفلة الراقصة
١٩٢	•	•	•	•	•	•	•	•	•	موعد غرامي
١٩٦	•	•	•	•	•	•	•	•	•	اختطاف جرمين يوناسيو
٢٠٢	•	•	•	•	•	•	•	•	•	الفارس بورتوس
٢٠٨	•	•	•	•	•	•	•	•	•	اراميس الراهب
٢١٤	•	•	•	•	•	•	•	•	•	زوجة آتوس
٢٢٤	•	•	•	•	•	•	•	•	•	العودة الى باريس
٢٢٧	•	•	•	•	•	•	•	•	•	محاولات للحصول على المعدات
٢٣١	•	•	•	•	•	•	•	•	•	ميلادي
٢٣٧	•	•	•	•	•	•	•	•	•	المبارزة الجماعية
٢٤٣	•	•	•	•	•	•	•	•	•	العشيق البغيلة
٢٤٦	•	•	•	•	•	•	•	•	•	بين الوصيعة والسيدة
٢٥٤	•	•	•	•	•	•	•	•	•	بورتوس وارايمس يبحثان عن المال
٢٦٠	•	•	•	•	•	•	•	•	•	عندما تطلقاً الانوار تتساوى نساء العالم
٢٦٨	•	•	•	•	•	•	•	•	•	حلم الانتقام
٢٧٢	•	•	•	•	•	•	•	•	•	سر ميلادي
٢٧٨	•	•	•	•	•	•	•	•	•	كيف حصل آتوس على ممداته
٢٨١	•	•	•	•	•	•	•	•	•	مقابلة
٢٨٨	•	•	•	•	•	•	•	•	•	مقابلة مفزعة
٢٩٩	•	•	•	•	•	•	•	•	•	حصار لاروشيل
٣١٣	•	•	•	•	•	•	•	•	•	خبرة اخو
٣٥٦	•	•	•	•	•	•	•	•	•	زل الحملة الجراء

صفحة

٣٣٩	سر المدفأة
٣٤٠	مقابلة بين آتوس وميلادي
٣٤٨	حصن سان جوفيه
٣٥٥	« مجلس حرب » الفرسان
٣٧٤	مشاكل عائلية
٣٨٦	تشاؤم
٣٩٣	حديث ذو شجون
٣٩٩	الضابط فلتون
٤٠٩	اليوم الأول في الأسر
٤١٣	اليوم الثاني في الأسر
٤٢١	الايام الاخيرة في الأسر
٤٣٣	مأساة كلاسيكيه
٤٣٧	الهرب
٤٤٤	الحوادث التي جرت في بورتسموث
٤٥٤	العودة الى فرنسا
٤٥٨	دير السكرمليت
٤٦٤	عندما تتلاقى الأبالساة
٤٦٦	كأس الخمر
٤٧٣	الرجل ذو الرداء الاحمر
٤٧٧	الحكيم
٤٨٧	التنفيذ
٤٩٠	الخاتمة

هَذَا الْكِتَابُ

- رَأَيْتُ الْكَاتِبَ الْفَرَنْيَّ الْكَبِيرَ
الْكَسَنَدَرِ دُومَاسَ .
- قِصَّةَ الْفُرُوسِيَّةِ وَالْبَطُولَةِ فِي الْقَرْنِ
السَّابِعِ عَشَرَ .
- صُورٌ صَادِقَةٌ لِحَيَاةِ الْبَلَاطِ الْفَرَنْيِّ
فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ وَالصِّرَاعِ الْعَنِيفِ
بَيْنَ السُّلْطَتَيْنِ الْمَدْنِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ
فِي قَالِبِ قِصَصِي مُشَوِّقٌ يَسْتَهْوِي
الْقَارِئَ .